المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير

(من سورة الروم إلى آخر القرآن الكريم)

بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب
عمر بن عطية الله بن عبد الكريم الأنصاري
٤٢٧٨٨١٠١

إشراف فضيلة الدكتور
أ.د. محب الدين عبد السبحان واعظ (حفظه الله)

١٤٣١-١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله رب العامين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين... وبعد

فعنوان البحث: **(تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير دراسة تأصيلية تطبيقية على الثلث الأخير من القرآن الكريم (من سورة الروم إلى آخر القرآن)**

يهدف البحث إلى بيان بلاغة القرآن الكريم من خلال دراسة التشبيهات الواردة فيه، مع إبراز المعاني المستفادة من التشبيه وإن لم تصرح بها الآية، واقتصر في البحث على التشبيه المصطلح عليه عن البلاغيين، دون الاستعارة التصريحية أو المكنية.

وقسمت البحث إلى فصلين:

الفصل الأول الدراسة النظرية: تتضمن ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: تعريف التشبيه.

المبحث الثاني: أركان التشبيه.

المبحث الثالث: أقسام التشبيه.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية: وهي تحليل التشبيهات القرآنية وتفسيرها، وبيان أثرها على التفسير.

الخاتمة ثم الفهارس.

و من نتائج البحث: أن دراسة التشبيهات القرآنية لها أثر كبير في فهم تفسير القرآن الكريم، مع ما تحتويه من دلالات تربوية، وتوجيهات إيمانية بأسلوب مؤثر ومقنع، وأثرها البين في إظهار إعجاز القرآن البلاغي، وأوصي طلبة العلم والمتخصصين بالدراسات التربوية باستخراج مكنونات المعاني التربوية من خلال دراسة تشبيهات القرآن الكريم.

الطالب:عمر بن عطية الله الأنصاري المشرف:أ.د. محب الدين عبد السبحان واعظ.

Research Summary

Praise be to Allah and peace be upon Prophet Mohammed and his followers.

Research Title: ***Similes of the Holy Quran and their Impact on Interpretation; Fundamental Study Applied on the Last One Third of the Holy Quran (from Sura Arrom to the last Sura)***

The research aims at highlighting the Holy Quran eloquence though studying the Similes stated in the holy Quran as well as clarifying the benefits of Simile stated by the verses. The research is limited to studying the similes without referring to metaphors.

The research is divided into two chapters;

First Chapter: Theoretical study including Third sections;

First Section: Definition of Simile

Second Section: Pillars of Simile

Third Section: Simile Sections

Second Chapter: Applied Study including the analysis of Quranic similes and their impact on interpretation.

Conclusion and index.

Research results included: studying similes of the Holy Quran has a great role in understanding the interpretation of the Holy Quran besides what they contain of educational references, faith instructions via an impressive method. Similes also have a great impact on highlighting miraculous state of eloquence in the Holy Quran. I recommend students and the educationalists to study the educational meanings through studying the Quran similes.

Student: Omar Attiah Alansari

Supervisor: Prof. Mohibuddin Abdulsabhan Waez

الإهداء

- إلى والديَّ الكريمين

لإدخال البهجة و السعادة على نفسيهما

- إلى أبنائي

رجاء ارتباطهما بكتاب الله تعالى

- إلى زوجي الحبيبة الراغبة في فهم القرآن

تقريبا لها لفهمه

- إلى عموم المسلمين

للعودة إلى كتاب الله

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين... وبعد...

فإن الصلة بكتاب الله تعالى، وبالكتب المفسرة لمعانيه، والمبينة لمقاصده ومراميه، تجعل الإنسان يحلق بروحه عاليا، مستمدا سموه من سمو كلام الله، ومسلتهما رفعته من رفعة كتاب الله، إذ إن القرآن الكريم بما حواه من فصاحة، وبلاغة، وتشريعات حكيمة، وأخلاق رفيعة، وآدب عالية، يترقى دائما بالمعتنين به في هذه المجالات رقيا لا توقف له، ويعلو بهم علوا لا هبوط له. كيف وهو كلام رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

و تتنوع الصلة بكتاب الله تعالى، وجامعها هو خدمة كتاب الله بأي نوع من أنواع الخدمة، تعلما وتعليما، وتلاوة وإقراء، وتفسيرا وتجويدا، وإعرابا وبلاغة، وغيرها.... ولن يعدم الصادق في رغبته من سبيل يخدم به كتاب الله تعالى.

و من أهم أنواع الصلة بكتاب الله التفهم والتدبر لما حواه من تشبيهات بليغة، لا نظير لها، تجلي الحقائق بأوضح بيان، وأحسن أسلوب، وهذه التشبيهات عند التأمل والتمعن نجدها ترمي إلى معاني عظيمة، وفيها عظات جليلة، حري أن تفرد بالتأليف والتصنيف، والشرح والتوضيح، وبيان أقوال المفسرين فيها، ليتحقق التدبر الأمثل لكتاب الله، ومن ثم التطبيق والعمل بما فيه.

و هذا الموضوع ـ أعني موضوع التشبيهات القرآنية ـ لا يزال بحاجة إلى مزيد بحث، وجمع، لما فيها من العظات والعبر، ولما فيها أيضا من البلاغة الفائقة، ولأجل ذلك رغبت في أن يكون الموضوع الذي أتقدم به لنيل درجة الماجستير بعنوان (تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير دراسة تأصيلية تطبيقية على الثلث الأخير من القرآن الكريم من سورة الروم إلى آخر القرآن)، أحلل فيه التشبيه بذكر أركانه أولا، ثم أفسر الآية تفسيرا موجزا، ثم أفرد أثر التشبيه على تفسير الآية، وما يضفيه إليه من جمال الدلالة، وحسن البيان عن المعنى المراد، وأعقبه بالعظات والعبر المستفادة من هذا التشبيه.

فبالله أستعين، وأسأله سبحانه أن يوفقني للفهم الصائب، والبيان السهل الواضح، وأن يخلص فيه نيتي، ويتقبله مني، إنه سميع قريب مجيب.

۞أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. تعلق الموضوع بكتاب الله تعالى، وبيان معانيه، واستخراج عظاته وعبره، وهذا من أهم الأسباب التي أنزل الله تعالى كتابه من أجلها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ ص: ٢٩

٢. تعتبر الكتابة في هذا الموضوع من تدبر كلام الله تعالى.

٣. قلة الدراسات التطبيقية في هذا المجال المهم.

٤. إبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز البياني.

٥. اعتماد البحث في هذا الموضوع على الجمع والدراسة والتحليل، مما يكسب الباحث قوة وملكة في جانب تفسير القرآن الكريم.

۞الدراسات السابقة:

ذكر الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان[١] أن الإمام أبا القاسم بن البندار البغدادي (المعروف بابن ناقيا البغدادي ـــ ت:٤٨٥ـــ) له كتاب في تشبيهات القرآن أسماه: (الجمان في تشبيهات القرآن).

و طريقته فيه أنه يأتي بالتشبيه القرآني، ثم يتبعه بنظم الشعراء المناسب للمعنى، ولكنه قد يصل أحيانا إلى الاستطراد والبعد عن مفهوم الآية الكريمة.

و للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كتاب في أمثال القرآن و هو منتزع من كتابه القيم (إعلام الموقعين عن رب العالمين) يذكر فيه كثيرا من تشبيهات القرآن، ويتبعها بما فيها من الأحكام والدلالات باختصار شديد فمثلا يقول:"فصل: ومنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي، ١٢٨/٣.

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ الجمعة: ٥

فقاس سبحانه من حمَّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك و لم يحمله إلا على ظهر قلب فقرأه بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره.

فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به و لم يؤد حقه و لم يرعه حق رعايته(١)".

فيلاحظ اختصار الإمام ابن القيم فيه.

هذا ما وقفت عليه من كتب الأقدمين.

وأما من المعاصرين فللأستاذ: دخيل الله الرحيلي رسالة علمية تقدم بها لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية لعام ١٤٠٧هـ موضوعها:(التشبيهات القرآنية وتأثيرها في النفوس). اقتصر فيها المؤلف على نماذج من التشبيهات القرآنية، وركز فيها النظر على الجوانب البلاغية للتشبيه، ثم أثرها على النفس دون استخلاص العظات والمعاني من خلال تفسير الآية، والرسالة في تخصص البلاغة وليس التفسير.

كما أن للأستاذة: ملك بخش رسالة تقدمت بها لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٤٠٩هـ بعنوان: (أسرار التنوع في تشبيهات القرآن). ركزت فيها النظر على الآيات المتشابهة المتضمنة للتشبيهات، والتنبيه على ما بينها من فروق ثم بيان أسرار تنوعها، وقد عالجت الموضوع من الجهة البلاغية دون التفسيرية نظرا لكون الرسالة في تخصص البلاغة وليس التفسير.

و قد قُسِّمت التشبيهات القرآنية في البحثين السابقين باعتبار الموضوعات مثل: التشبيهات التي تمثل الحياة الدنيا، التشبيهات التي تمثل أعمال الكافرين... ونحوها.

إضافة إلى هذا فإن هناك متفرقات في كتب التفسير، وكتب البلاغة التي عنيت بالتشبيه فيها لفتات مهمة، وإشارات نافعة، توضح هذه التشبيهات، وما تحتويه من المعاني والدلالات وهي بحاجة إلى جمع وترتيب، وما يميز بحثي هو دراسة هذه التشبيهات من الناحية التفسيرية،

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ١٦١

وبيان ما يدخل تحتها من المعاني، رغبة في الوصول إلى النتيجة العملية لتدبر القرآن وفهم مراده ومعانيه.

۞خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وفهارس، وتفصيلها على ما يلي:

المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وحدوده.

الفصل الأول: تعريف التشبيه وأركانه وأقسامه:

المبحث الأول: تعريف التشبيه لغة، واصطلاحا.

المبحث الثاني: أركان التشبيه.

المبحث الثالث: أقسام التشبيه.

الفصل الثاني: دراسة آيات التشبيه حسب ترتيب المصحف الشريف.

الخاتمة: ضمنتها نتائج البحث، والتوصيات المهمة.

الفهارس والكشافات:

١. فهرس المصادر والمراجع.
٢. فهرس الموضوعات.

۞منهج البحث:

اتبعت في بحثي الخطوات التالية:

١. ذكر الآيات بالرسم العثماني.
٢. عرض الآيات وفق ترتيبها في المصحف الشريف.
٣. أذكر تحليل التشبيه، مكتفيا بذكر أركانه الأربعة الرئيسة، وهي: (المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه)، وما زاد على ذلك كنوع التشبيه، والغرض منه، فأذكره في أثر التشبيه في الآية.
٤. بيان تفسير الآية تفسيرا موجزا من خلال أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

٥. ذكر أثر التشبيه القرآني على تفسير الآية.

٦. عزو الآيات إلى سورها، وبيان أرقامها.

٧. عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها المعتبرة، وبيان حكم العلماء عليها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإلا توسعت في ذلك حسب ما تقتضيه الصنعة الحديثية.

٨. نسبة الأقوال إلى أصحابها.

حدود البحث:

أولا: الاقتصار على الثلث الثالث من القرآن الكريم ـــ من سورة الروم إلى سورة الناس ـــ نظرا لكثرة التشبيهات.

وفي نهايةِ هذه المقدمةِ أشكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ على ما مَنَّ به عليَّ من تيسيرِ هـذا البحثِ وإتمامِه

فله المحامد والمدائح كلها   بخواطري وجوانحي ولساني

كما أسألُه سبحانَه أن يجعَلَني ممن سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً يُسهِّل اللهُ له به طريقاً إلى الجنة.

ولا يفوتني في هذا المقامِ أن أبعثَ رسائلَ شكرٍ لمن لهم عليَّ بعدَ اللهِ عزَّ وجلَّ فضلٌ ونعمةٌ، انطلاقاً من قولِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم:«من لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ اللهَ»(١).

- فأشكرُ والديَّ -الكريميْن الحبيبيْن- على ما أَوْلياني مِن عنايةٍ ورعايةٍ، وتوجيهٍ وإعانةٍ، على طلبِ العلمِ وتحصيلِه، وأسألُه سبحانَه أن يحفظَهُما ويَمُدَّ عمرَهُما في طاعتِه، ويرزقَني برَّهُما إنه سميعٌ مجيب.

- ثم أشكرُ فضيلةَ المشرفِ على الرسالةِ الشيخَ الدكتورَ محب الدين عبد السبحان واعظ، أسأل الله تعالى أن يحفظه لأهل القرآن والعلم معلما وموجها ومربيا، ويبارك في عمره بالعلم النافع والعمل الصالح.

---

(١) أخرجه: أحمد (٤٧٢/١٢)، (ح٧٥٠٤)، وأبو داود (ص٧٢٣)، ك: الأدب، ب: في شكر المعروف، (ح٤٨١١)، والترمذي (ص٤٤٥)، ك: البر والصلة، ب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (ح١٩٥٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للترمذي وقال: « هذا حديث صحيح»، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٦١/٢).

وما حالي وحالُه إلاَّ كما قالَ الشاعر:

أرُوح بأفْضالٍ وأغْدُو بأنْعُـــمٍ ويَمْنحُـــنـــي ورِدْدَ المحبـــّة صـــافيًا
وفُزتُ بعلمٍ منه عزَّ اكْتسابُـــه وأصبَحتُ من حَلْيِ الفضائل حـــالِيًا
إذا ما دَجَى بحثٌ وأظلمَ مُشكلٌ أضـــاءَ بنور الفكرِ منه الدياجيـــــَا

● وً أشكر كلَّ من أعانني على إنجازِ هذا البحثِ وإخراجِه، وأخصُّ بالشكر أخي أبـــا عمار ياسر بن محمد، وأخي عبد الله بن عمر الزبيدي، على ما قدماه لي من خدمات جليلة لإنجاز هذا البحث فلهما مني الدعاء بالتوفيق والسداد، والهدى والرشاد.

● وأخيرا أشكرُ التي كانت خيرَ مُعينٍ لي على مواصلةِ مسيرتي التعليميَّة، بالصبر عـــن الرغائب، وتحمل المصاعب، «أمَّ عبد الله"الزوجةَ الوفية، حفظها الله لي سندا، وللأمة ذخرا وفخرا.

والحمد للهِ الذي بنعمته تتمُ الصالحاتُ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصـــحبه وسلَّم.

* * *

الفصل الأول:

- تعريف التشبيه لغة، واصطلاحا:
- أركان التشبيه:
- أقسام التشبيه:

تعريف التشبيه لغة:

التشبيه في اللغة يطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول: المماثلة. تقول: أشبه الشيءُ الشيءَ وتشبه به وشابهه، أي ماثله.

قال ابن منظور:"(شبه) الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ والجمع أَشْباهٌ وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله... وأَشْبَهْتُ فلاناً وشابَهْتُه واشْتَبَه عَلَيَّ وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها أَشْبَهَ كلٌّ واحدٍ صاحِبَه... والتَّشْبِيهُ التمثيل"[1].

و في القاموس المحيط:الشِّبْهُ، بالكسر والتَّحْريكِ وكأميرٍ المِثْلُ ج أشْباهٌ. وشابَهَهُ وأشْبَهَهُ ماثَلَهُ[2].

و في المصباح: وَالشِّبْهُ مِثْلُ حِمْلٍ: الْمُشابهُ وَشَبَّهْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ أَقَمْتُهُ مُقَامَهُ لِصِفَةٍ جَامِعَةٍ بَيْنَهُمَا وَتَكُونُ الصِّفَةُ ذَاتِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةً فَالذَّاتِيَّةُ نَحْوُ هَذَا الدِّرْهَمُ كَهَذَا الدِّرْهَمِ وَهَذَا السَّوَادُ كَهَذَا السَّوَادِ وَالْمَعْنَوِيَّةُ نَحْوُ زَيْدٌ كَالْأَسَدِ أَوْ كَالْحِمَارِ أَيْ فِي شِدَّتِهِ وَبَلَادَتِهِ وَزَيْدٌ كَعَمْرٍو أَيْ فِي قُوَّتِهِ وَكَرَمِهِ وَشَبَهِهِ. وَقَدْ يَكُونُ مَجَازًا نَحْوُ: الْغَائِبُ كَالْمَعْدُومِ[3].

و منه: قوله تعالى:﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩ ﴾ الأنعام: ٩٩

وجائز أن يكون مرادًا به: مشتبهًا في الخلق، مختلفًا في الطعم[4].

قال قتادة وغيره: يتشابه في الورق، قريب الشكل بعضه من بعض، ويتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعا[5].

و منه أيضا قوله تعالى:﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ الأنعام: ١٤١

---

(1) لسان العرب ١٧/٨ مادة (شبه).

(2) القاموس المحيط ١٢٤٧ مادة (شبه).

(3) المصباح المنير ٣٥٨/١.

(4) جامع البيان ٣٤٢/٧.

(5) تفسير القرآن العظيم ١٣٣٨/٣.

قال ابن جُرَيْج: متشابه في المنظر، وغير متشابه في الطعم[١].

و منه كذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ الزمر: ٢٣

قال الإمام الطبري: (مُتَشَابِهًا) يقول: يشبه بعضه بعضا، لا اختلاف فيه، ولا تضادّ[٢].

و قال الشيخ السعدي: متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع[٣].

المعنى الثاني: الالتباس. تقول: اشتبه عليه الحق بالباطل أي التبس عليه و لم يعرف التمييز بينهما.

قال ابن منظور:"والشُّبْهةُ الالتباسُ وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بعضاً... وشَبَّهَ عليه خَلَّطَ عليه الأَمْرَ حتى اشْتَبه بغيره... وقال الليث المُشْتَبِهاتُ من الأُمور المُشْكِلاتُ وتقول شَبَّهْتَ عليَّ يا فلانُ إذا خَلَّطَ عليك واشْتَبَه الأَمْرُ إذا اخْتَلَطَ واشْتَبه عليَّ الشيءُ[٤]".

و في القاموس:"وتَشابَهَا واشْتَبَها أَشْبَهَ كُلٌّ منهما الآخَرَ حتى الْتَبَسا[٥]".

و في المصباح:"اشْتَبَهَتْ الْأُمُورُ وَتَشَابَهَتْ الْتَبَسَتْ فَلَمْ تَتَمَيَّزْ وَلَمْ تَظْهَرْ وَمِنْهُ اشْتَبَهَتْ الْقِبْلَةُ وَنَحْوُهَا[٦]".

و فيه أيضا:"الشُّبْهَةُ فِي الْعَقِيدَةِ الْمَأْخَذُ الْمُلَبِّسُ سُمِّيَتْ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ... وَشَبَّهْتُهُ عَلَيْهِ تَشْبِيهًا مِثْلُ: لَبَّسْتُهُ عَلَيْهِ تَلْبِيسًا وَزْنًا وَمَعْنًى[٧]".

وسبب الالتباس بين الشيئين هو التشابه بينهما على من لا يستطيع التفريق، وهو أمر نسبي فما يكون مشتبها على شخص قد لا يكون مشتبها عند آخر.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٣٧٣/٣

(٢) جامع البيان ٢٤٤/٢٣

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٧٢٣

(٤) لسان العرب ١٧/٨ مادة (شبه)

(٥) القاموس المحيط ١٢٤٧مادة (شبه)

(٦) المصباح المنير ٣٥٨/١.

(٧) المصباح المنير ٣٥٨/١.

و على هذا المعنى قولــه تعــالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧

قال الشيخ السعدي:(و) منه آيات (أخر متشابهات) أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة[١]".

و منه أيضا قوله تعــالى:(أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾) الرعد ١٦

قال الإمام أبو جعفر الطبري:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخَلَق أوثانُكم التي اتخذتموها أولياء من دون الله خلقًا كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرُها فيما خَلقت وخَلَق الله فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهابُ عن الصواب؟ فإنه لا يشكل على ذي عقل أنّ عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع من الفعل جهلٌ، وأن العبادة إنما تصلح للذي يُرْجَى نفعه ويُخْشَى ضَرَّه، كما أن ذلك غير مشكل خطؤه وجهلُ فاعله، كذلك لا يشكل جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويَمُونه، من لا يقدِرُ له على ضررٌ ولا نفع[٢]".

التشبيه في الاصطلاح:

قال الخطيب القزويني في الإيضاح: التشبيه: الدلال على مشاركة أمر لآخر في معنى. والمراد بالتشبيه ها هنا: ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٢٢

(٢) جامع البيان ١٣/١٥٩-١٦٠.

التجريد[١].

وقال التفتازاني معلقا على هذا التعريف: وينبغي أن يزاد فيه قولنا: بالكاف ونحوه لفظا أو تقديرا؛ ليخرج عنه نحو: قاتل زيد عمرا، وجاءني زيد وعمرو[٢]".

و قال الجرجاني:"وفي اصطلاح علماء البيان: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس[٣]".

و زاد التعريف وضوحا الدكتور عبد الفتاح لاشين بقوله: عقد مماثلة بين شيئين أو أشياء لاشتراكهما في معنى ما، بأداة ملفوظة أو ملحوظة كالكاف ونحوها لغرض مقصود[٤].

و شرح التعريف بقوله: (فالجمع بين شيئين): يدخل فيه التشبيه المفرد، (أو أشياء) يدخل فيه التشبيه المركب.

(ومعنى ما): شامل لجميع الأوصاف الحسية والعقلية والمفردة والمركبة.

(بأداة): ليتميز من الاستعارة.

(كالكاف ونحوها): ليخرج العطف لأنه جمع بين شيئين أو أشياء.

(والأداة الملحوظة): ليدخل التشبيه المضمر الأداة.

(لغرض مقصود): لئلا يكون عبثا[٥].

و مما سبق يتضح لنا أن التشبيه في الاصطلاح يعتمد على أربعة أركان هي: المشبه، والمشبه به، ويسميان طرفا التشبيه، وأداة التشبيه ووجه الشبه.

أركان التشبيه:

الأول والثاني: المشبه والمشبه به:

و يسميان أيضا ركنا التشبيه لأنه لا غنى عنهما في أي تشبيه، إذ لو استغني عن أحدهما لخرج الكلام عن التشبيه إلى معنى آخر وهو الاستعارة.

---

(١) الإيضاح ١٦٤

(٢) المطول ٣١١

(٣) التعريفات ١/١٨

(٤) البيان في ضوء أساليب القرآن ٣٧

(٥) البيان في ضوء أساليب القرآن ٣٧ في الهامش

قال التفتازاني في المطول:"قدم ــ أي الخطيب القزويني في تلخيص المفتاح ــ البحث عن طرفيه لأصالتهما لأن وجه الشبه معنى قائم بالطرفين، والأداة آله لبيان التشبيه، ولأن ذكر أحد الطرفين واجب ألبتة بخلاف الوجه والأداة(١)".

و قد يحذف المشبه للعلم به(٢).

كما في قوله تعالى:(صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾)البقرة: ١٨

فالمشبه محذوف تقديره:(هم) يعود على المنافقين، والمعنى: هم كالصم وكالبكم وكالعمي.

و ينقسم الطرفان إلى عدة أقسام بعدة اعتبارات. فباعتبار الاستناد إلى الحس ينقسمان إلى أربعة أقسام:

الأول: أن يكون الطرفان حسيين.

أي يدركان بأحد الحواس الخمس الظاهرة إما البصر أو السمع أو الذوق أو الشم أو اللمس. ومن ذلك قوله تعالى:(وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾) يس.

فشبه سبحانه القمر في منازله الأخيرة بالعرجون القديم وهذا مما يدرك بالبصر.

و قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشورى: ٣٢

فشبه تعالى وتقدس السفن الكبيرة وهي تجري في البحر بالجبال. وهذا مما يدرك بالبصر أيضا.

و قد جمع أبو العتاهية في مدح هارون الرشيد بين ما يدرك بالبصر والسمع فقال:

وزحف له تحكي البروق سيوفه … وتحكي الرعود القاصفات حوافره

فشبه لمعان السيوف وهي هاوية على الأعداء بالبروق وهذا مما يدرك بالبصر، وشبه أيضا صوت وقع حوافر الخيل بالرعود القاصفة، وهذا مما يدرك بالسمع.

و يلتحق بالحسي: الأمور المتخيلة أو تسمى الخيالية وهي:الأمور المعدومة التي فرضت

---

(١) المطول ٣١١

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن ٣٧

مجتمعة من أمور كل واحد منها مدرك بالحس[1].

كقول ابن المعتز:

كأن عيون النرجس الغض حولنا   مداهن در حشوهن عقيق

فالمداهن؛ وهي ما يوضع فيها الطيب من واقع الناس، ومدركة بالحواس، وكذلك الدر، والعقيق، ولكن الناس لا يتخذون مداهن من الدر ولا يحشوها بالعقيق، فهي صورة مركبة من خيال الشاعر.

و منه أيضا قول أحمد بن محمد الصنوبري[2]:

وكأن محمر الشقيق   إذا تصـــوب أو تصـــعد

أعلام ياقوت نشـــر   ن على رماح من زبرجـــد

قال سعد الدين:"فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية ممـــا لا يدركـــه الحس؛ لأن الحس إنما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عند المدرك على هيئات محسوسة مخصوصة به، لكن مادته التي يتركب هو منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوسة بالبصر[3]".

قال السكاكي:"النظر في طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به، إما أن يكونا مســـتندين إلى الحس... وإما ما يستند إلى الخيال: كالشقيق عند التشبيه بأعلام ياقوت منشرة على رماح من الزبرجد، فهو في قرن الحسيات ملزوز، تقليلا للاعتبار وتسهيلا على المتعاطي[4]".

الثاني: أن يكون الطرفان عقليين.

أي يدركان بالعقل كتشبيه الإيمان بالحياة، والعلم بالنور. والكفر بـــالموت، والجهـــل بالظلام.

و يلحق بالعقلي الكيفيات الوجدانية التي تدركها النفس مثل الحب والبغض والألم واللذة والفرح والحزن، وإنما ألحقوها بذلك لأنها لا تدرك بالحواس.

و يلحق به أيضا نوع آخر سمي بالوهمي وهو: ما لا وجود له في الخارج ولـــو وجـــد

---

(1) المطول ٣١٢

(2) أسرار البلاغة ١٥٨ والمطول ٣١٣

(3) المطول ٣١٣

(4) مفتاح العلوم ٤٣٩ ــ ٤٤٠

لأدرك بالحواس ويمثل له بقول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فشبه أسنان الحربة بأنياب الأغوال والغول مما لا وجود له في الخارج ولو وجد لأدرك بالحواس وقد كثر إيراده في أشعار العرب.

و الفرق بين الوهمي والأمور المتخيلة التي ألحقت بالتشبيه الحسي ظاهر، فالأمور الخيالية أجزاؤها التي ركبت منها موجودة في واقع الناس ومدركة بالحواس. أما الوهمي فلا وجود له في الخارج لا من حيث التركيب ولا من حيث الأجزاء.

قال السكاكي:"و أما الوهميات المحضة... فملحقة بالعقليات، وكذا الوجدانيات كاللذة والألم، والشبع والجوع، فاعرفه(١)".

و أما عن ورود تشبيه العقلي بالعقلي في القرآن الكريم فاختلف فيه فقال بعضهم:"أما تشبيه المعقول بالمعقول فلا يوجد في القرآن أصلا(٢)".

و عَدَّ بعض البلاغيين منه قوله تعالى:(طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾)الصافات: ٦٥.

باعتبار أن كلا من ثمر الزقوم ورؤوس الشياطين عقلي لا يدرك بالحواس.

قال ابن عاشور:"و رؤوس الشياطين يجوز أن يكون مراداً بها رؤوس شياطين الجنّ جمع شيطان بالمعنى المشهور ورؤوس هذه الشياطين غير معروفة لهم، فالتشبيه بها حوالة على ما تصوّر لهم المخيّلة، وطلع شجرة الزقوم غير معروف فوُصف للناس فَظيعاً بَشِعاً، وشبهت بشاعته ببشاعة رؤوس الشياطين، وهذا التشبيه من تشبيه المعقول بالمعقول كتشبيه الإِيمان بالحياة في قوله تعالى:﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ يس: ٧٠ والمقصود منه هنا تقريب حال المشبّه فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف ولا كون المشبه كذلك(٣)".

فاعتبره من تشبيه المعقول بالمعقول.

و لعل الكلام المفصل عن هذه الآية يأتي في موضعها من البحث بمشيئة الله تعالى

(١) مفتاح العلوم ٤٤٠

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن ٥٣

(٣) التحرير والتنوير ١٢٤/١١.

الثالث: تشبيه المعقول بالمحسوس:

أي أن يكون المشبه معنى من المعاني والمشبه به أمر حسي مدرك بالحواس. ومن أمثلة ذلك تشبيه المنية بالسبع، والعزم بالسيف، والأخلاق الكريمة بالعطر، ونحو ذلك.

و قد كثر هذا النوع في القرآن الكريم فمثلا: يشبه الله تعالى أعمال الكافرين بالرماد الذي تطير به الرياح الشديدة فقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ إبراهيم: ١٨

و قوله سبحانه ﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ ﴾ الزخرف: ١١

فشبه خروج الناس من القبور عند البعث والنشور وهو أمر معقول لا يدرك بالحواس في الدنيا بما نشاهده ونراه من حال الأرض الميتة عندما ينزل عليها الماء فتحيا بعد موات.

و قوله تعالى: (كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ٥١) المدثر.

فشبه إعراض الكافرين ونفرة قلوبهم من سماع الحق وهو أمر معنوي معقول بنفرة الحمر الوحشية مما يرهبها ويفزعها وهو أمر حسي.

قال ابن عاشور: وشُبهتْ حالة إعراضهم المتخيَّلة بحالة فرار حُمُر نافرة مما ينفرها...وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس[1].

و أمثلة هذا في القرآن كثيرة لا تخفى على من أراد الاستقصاء.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/٣٢٩.

الرابع: تشبيه المحسوس بالمعقول:

أي أن يكون المشبه محسوسا والمشبه به معقولا: كتشبيه العطر بالخلق الكريم، وتشبيه النجوم بالسنن، وتشبيه الدجى بالبدعة، ونحو ذلك.

و اختلف أهل البلاغة في جوازه، فمنعه العسكري والسكاكي والخطيب القزويني وغيرهم بحجة أن الحسي أقرب إلى الإدراك من العقلي ومعرفة المحسوس والإلمام بأحواله أيسر من تمثل المعقولات بل إن المعارف الحسية أساس المعرف العقلية غالبا فالمعقول فرع عن المحسوس لأنه مستفاد منه ومنته إليه(١)".

و أجازه الرماني مع استقباحه لأن التشبيه عنده على ضربين حسن وقبيح؛ فالحسن الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بيانا، والقبيح ما كان خلاف ذلك. وشرحه بقوله: أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة، والمشاهد أوضح من الغائب... وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره، والقريب أوضح من البعيد في الجملة.

و أجازه كثيرون غيره مع استحسانه كابن رشيق وابن السبكي وابن الأثير والعلوي وقال: هو من لطيف التشبيهات، وأرقها، وأدخلها في البلاغة وأدقها، ووجه البلاغة فيه: هو إلحاق المعاني بالأمور المحسوسة المدركة في الظهور والجلاء فيصير في الحقيقة كأنه تشبيه محسوس بمحسوس وهذا في نهاية البلاغة(٢).

و نظرا لوجود هذا النوع بكثرة في أشعار العرب كقول أمين الدولة التنوخي:

أتانا بكانون يشب ضرامه   كقلب محب أو كصدر حسود

كأن احمرار النار من تحت فحمه   خدود عذارى في معاجر سود

فقد اعتذر السعد التفتازاني في المطول بأن هذا من باب المبالغة فقال:"و أما ما جاء في الأشعار من تشبيه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة فيصح التشبيه حينئذ(٣)".

---

(١) المطول ٣١٢. وفن التشبيه ٩٦/٢

(٢) فن التشبيه ٩٧ ــ ٩٨

(٣) المطول ٣١٢

و ينقسم التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب إلى أربعة أقسام كذلك:

الأول: أن يكون الطرفان مفردين: كتشبيه الخد بالورد، والشمس بالحجة، والحسناء بالقمر، ونحو ذلك. وقد يكون الطرفان في التشبيه المفرد مطلقان عن أي قيد من صفة أو حال أو ظرف أو إضافة وغيرها، وقد يكونا مقيدين بشيء من ذلك أو أحدهما مقيد والآخر مطلق[1].

و من المفردين المطلقين قول الله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الرحمن: ٥٨

فشبه الحور العين بالياقوت وشبههن كذلك بالمرجان بدون قيد أو وصف يتعلق بالمشبه أو المشبه به.

و منه قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ﴾ المرسلات: ٣٢

فشبه شرر النار بالقصر.

ففي هذه الأمثلة تجد أن المشبه والمشبه به كلاهما مطلقان عن أي قيد.

و مما ورد في كتاب الله تعالى من تقييد المشبه به المفرد قوله سبحانه: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾) المدثر: ٥٠-٥١.

فشبه إعراض الكفار عن الذكر بالحمر التي نفرت من أسد أو صائد، وليس بمطلق الحمر.

و منه قوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ القمر: ٧

و قوله جل في علاه ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ القارعة: ٤

و قوله تعالى وتقدس: (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾)الفيل: ٥.

فكل هذه الأمثلة مقيدة بما ذكر من وصف للمشبه به.

و أما تقييد الطرفين فمنه قوله سبحانه: (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾) الصف: ٤.

قال الطبري رحمه الله: "يقاتلون في سبيل الله صفًّا مصطفًّا، كأهم في اصطفافهم هنالك

---

[1] المنهاج الواضح ٤٩

حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئًا، وكان بعضهم يقول: بني بالرصاص[1]". وعلى كلا القولين: بنيان محكم ومتقن أو مبني بالرصاص فهو مقيد بما ذكر من الوصف.

الثاني: أن يكون الطرفان مركبين:

و المقصود بالتركيب فيهما أن يكون كل من المشبه والمشبه هيئة حاصلة من عدة أمور. وقد يجوز أن يشبه كل جزء من أجزاء المشبه بجزء من أجزاء المشبه به. ولكن ذلك مع الفارق بحيث تفقد جمال الهيئة الكاملة التي قصد إليها المتكلم بالتشبيه.

قال الزمخشري:"والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه: أنّ التمثيلين جميعاً(يقصد التمثيلين في قوله تعالى:مثلهم كمثل الذي استوقد نارا... وما بعدها) من جملة التمثيلات المركبة دون المفرّقة، لا يتكلف الواحد واحد شيء يقدر شبهه به، وهو القول الفحل والمذهب الجزل، بيانه: أنّ العرب تأخذ أشياء فرادى، معزولاً بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها، كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامّت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً، بأخرى مثلها[2]".

و قال السعد في المطول:"و قد يكون بحيث يحسن تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر... لكن أين هو عن التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلب سرورا وعجبا[3]".

و من أمثلة ذلك من القرآن قوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ ﴾ الجمعة: ٥

و سيأتي الكلام مفصلا عند الحديث عنها في البحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) جامع البيان ٩٨/٢٨

(٢) الكشاف ٤٧/١

(٣) المطول ٣٣٦

و من أمثلته الشعرية قول بشار بن برد[١]:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فالمشبه: الهيئة الحاصلة من مثار الغبار فوق الرؤوس والسيوف المتلاحمة اللامعة تهوي على رؤوس الأعداء، والمشبه به هو الهيئة الحاصلة من الليل تتهاوى فيه الكواكب.

و يمكن القول بأن الشاعر شبه انتشار الغبار بالليل، وشبه السيوف بالكواكب، ولكن أين ذلك من الروعة التي يحسها السامع أو القارئ عندما يعرف التشبيه بهيئته الكاملة.

الثالث: أن يكون المشبه مركبا والمشبه به مفردا:

و من أمثلته في القرآن قوله تعالى:(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾) الإنسان.

فالمشبه هو الهيئة الحاصلة من تفرق الولدان المخلدون في خدمة أهل الجنة، والمشبه به هو اللؤلؤ المنثور وهو هنا مفرد مقيد بالانتثار، فلا يصلح اللؤلؤ المنظوم مشبها به في هذه الحال.

الرابع: أن يكون المشبه مفردا والمشبه به مركبا:

و من أمثلته الشعرية قول أحمد بن محمد الصنوبري[٢]:

وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

فيشبه شقائق النعمان حال ميلانها واعتدالها بسبب الرياح وهو مشبه مفرد مقيد، بأعلام الياقوت المنشورة على رؤوس الرماح الزبرجدية، وهي صورة مركبة.

و للتشبيه من جهة الطرفين أقسام أخر موجودة في مظانها من كتب البيان.

---

(١) ديوانه ١٦٧/١

(٢) أسرار البلاغة ١٥٨ والمطول ٣١٣

الركن الثالث: أداة التشبيه:

و أداة التشبيه هي: اللفظ الرابط بين الطرفين والدال على معنى التشبيه.

قال الطيبي:"و هي ما يتوصل به إلى وصف المشبه بمشاركته المشبه به في الوجه[١]".

و عبر عن الرابط بلفظ الأداة ليشمل الاسم والفعل والحرف.

قال البهاء السبكي:"كل ما كان بمعنى مثل وشبه أداة. فمن أدوات التشبيه: الكاف، وكأن، وياء النسب، ومثل، ومثيل، وشبه وشبيه، ونحو، ذكره جماعة... وضريب، وشكل، ومضاه، ومساو، ومحاك، وأخ، ونظير، وعدل، وعديل، وكفء، ومشاكل، وموازن، ومواز، ومضارع، وند، وصنو، وما كان بمعناها أو كان مشتقا منها، من فعل أو اسم وأشار الطيبي إلى أن من أدوات التشبيه (أفعل التفضيل) مثل: زيد أفضل من عمرو... ومن أدوات التشبيه (لعل) ففي البخاري في قوله تعالى(و تتخذون مصانع لعلكم تخلدون) عن ابن عباس: معناه كأنكم.

و قال العصام: ولا يبعد أن يجعل من التشبيه صيغة (التفعل) نحو: تحلم وتصبى وتشيخ، فإنه في معنى صار حليما، وصار صبيا، وصار شيخا... ولا يخفى أنه لم يصر شيخا بل صار كالشيخ في صدور أفعاله عنه، وظهور صفاته منه[٢]".

ولا يخفى أن هذه الألفاظ بعضها يصلح للتشبيه، وبعضها يصلح للمشابهة، لكن اسم التشبيه قد يطلق على الجميع[٣].

و أشهر هذه الأدوات وأكثرها استعمالا هو الكاف؛ ومرد ذلك إلى بساطتها وكونها حرفا واحدا لا تركيب فيها[٤].

لأن التركيب من شأنه أن يؤدي إلى خصوصية في المعنى، فالمركب يدل على أصل المعنى وزيادة كما هو الشأن في (كأن) من دلالتها على التشبيه المؤكد، أما الكاف فلا تدل إلا على الأصل وهو التشبيه[٥]؛ ولهذا السب فإن التشبيه عندما يكون محذوف الأداة يتعين أن تكون

---

(١) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ٢١٢

(٢) عروس الأفراح ٣ / ٣٩٢.

(٣) شروح التلخيص٣/٣٩٣.

(٤) شروح التلخيص ٣ / ٣٨٥.

(٥) أدوات التشبيه واستعمالاتها في القرآن الكريم ١٠٥

الأداة المقدرة فيه هي الكاف؛ نظرا إلى أنها هي الأصل، وتأتي للدلالة على مطلق التشبيه، فهي تصلح مع جميع الشواهد[1]. ونزيد البيان في أداتي التشبيه: الكاف وكأن.

أداة التشبيه الكاف:

و الأصل فيها أن يليها المشبه به دائما كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ القارعة: ٤

و قوله سبحانه: (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾)الفيل.

فالفراش المبثوث والعصف المأكول هو المشبه به في الآيتين.

و قد لا يلي الكاف المشبه به وذلك في التشبيه المركب فيليها أحد أجزاء الصورة المركبة كما في قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الكهف: ٤٥

فليس المشبه به الماء، وإنما المشبه به هو نزول الماء على الأرض الخصبة التي تنبت نباتا زاهيا ومخضرا ثم ييبس بعد ذلك ويصبح هشيما محطما، ولكن الماء أحد أجزاء الصورة المركبة.

أداة التشبيه كأن:

و الأصل في كأن أن يليها المشبه، كما في قوله تعالى: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾) المدثر.

و قوله سبحانه: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾) الرحمن

و أمثلتها في القرآن كثيرة.

و قد اختلف في كونها بسيطة أم مركبة؟ على قولين:

الأول: أنها بسيطة وهو مذهب بعض البصريين وعللوا ذلك بجمودها، وبأن التركيب خلاف الأصل، وبوقوعها في بعض الصور فيما لا يصح فيه التأويل بالمصدر المناسب لـ(أن)

---

(1) أدوات التشبيه واستعمالاتها في القرآن الكريم ٢٠٦

المفتوحة[1].

الثاني: أنها مركبة من الكاف و(أن) المشددة؛ نظرا لما يبدو من صورتها، وهو مذهب الخليل وسيبويه والفراء وجمهور البصريين، بل فيه من ادعى عدم الخلاف في تركيبها[2].

و ذكر سيبويه أنه سأل الخليل فزعم أنها لحقت الكاف للتشبيه وصارت معها بمنزلة كلمة واحدة[3].

و يختص التشبيه بكأن بخصائص منها[4]:

أولا: أن فيه من المبالغة والتأكيد ما ليس في الكاف وغيرها لذا فهي تستعمل حيث يقوى التشبيه ويتأكد، والمبالغة فيها ناشئة عن تقديم الكاف على (أن) وصيرورة المشبه داخلا في جنس المشبه به.

ثانيا: أن الاهتمام عند التشبيه بها يكون منصبا على المشبه؛ خاصة إذا كان له ذكر سابق أو ارتباط بمذكور سابق قبل جملة التشبيه، وربما جاء وجه الشبه في المشبه أعظم منه في المشبه به في بعض حالات التشبيه ويكون المقصود من التشبيه التقريب، ومنه قوله سبحانه:(وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)الصافات.

و قوله:(كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾)الرحمن.

و قد يأتي وجه الشبه في بعض الحالات الأخرى في المشبه به أعظم من المشبه في مثل قوله تعالى:(ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ)النور:٣٥.

و لكن في جميع الحالين يكون الاهتمام في الكلام منصبا على المشبه.

ثالثا: تتميز كأن بمجيئها في كل تشبيه فيه غرابة ناشئة من كون المشبه به غير محقق الوقوع لكونه مستحيلا عقلا أو عادة أو لبعده عن المشبه. ويشهد لذلك قوله تعالى:(يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾)الأنفال.

---

(1) مغني اللبيب ١٦٢/١، شروح التلخيص ٣٨٥/٣

(2) مغني اللبيب ١٦٢/١، شروح التلخيص ٣٨٥/٣

(3) الكتاب ١٥١/٣، انظر فيه ١٦٤ و٣٣٢.

(4) أدوات التشبيه واستعمالاتها في القرآن الكريم ١٨٩ وما بعدها.

فشبه تعالى حال من يسار بهم إلى النصر والغنيمة وهم خائفون فزعون بحال من يساق إلى الموت والصغار وهو ينظر إلى أسبابه ولا يشك في مصيره، فبين المشبه والمشبه به بعد من جهة اختلاف المآل فيهما؛ وذلك لأن الخروج إلى الجهاد ليس خروجا إلى مهانة وذل، وكذلك الموت فيه غير محقق بينما المشبه به سوق إلى موت محقق وحمل على مهانة وذل؛ فجاء التشبيه بكأن لما بينهما من الغرابة والبعد[١].

و ربما ظهر لأصحاب الذوق البلاغي جهات في التفريق بين الأداتين غير ما ذكر بتأمل الشواهد القرآنية والشعرية، ولكن حسبنا إشارة إلى بعض ذلك.

و لا يجب في التشبيه ذكر الأداة، فيجوز حذفها كقولك: العلم نور في الهداية، وهند بدر في الجمال، وزيد أسد في الشجاعة، ونحو ذلك.

أقسام التشبيه من جهة الأداة:

ينقسم التشبيه من جهة الأداة إلى قسمين:

الأول:التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة.

الثاني: التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت منه الأداة.

و المؤكد أبلغ من المرسل[٢]؛ فإن حذف الأداة مشعر بقرب اتحاد المشبه بالمشبه به، وذكر الأداة يذهب من النفس هذا المعنى، وكذلك لأن التشبيه الذي تحذف منه الأداة أوجز في العبارة فهو أبلغ. وقد يأتي المرسل أبلغ من المؤكد أحيانا فقد يبدع المتكلم في تشبيه ذكرت أداته ويقصر في تشبيه لم تذكر أداته. ولكن إذا تساوت الصورتان ووجه الشبه فالمؤكد أبلغ.

الركن الرابع: وجه الشبه:

و هو المعنى الذي يلحظه المتكلم للجمع بين المشبه والمشبه به. ويشترط فيه أن يكون مقصودا للمتكلم[٣]؛ لأن الطرفين قد يشتركان في أكثر من معنى، فليس كل معنى اشتركا فيه

---

(١) أدوات التشبيه واستعمالاتها في القرآن الكريم ٢٠٠

(٢) المنهاج الواضح ٧٨.

(٣) المنهاج الواضح ٥٩.

هو وجه للشبه إلا ما قصد إليه المتكلم.

و يجب مراعاة جهة التشبيه مراعاة تامة؛ لأنها عنوان الدقة، ومظهر الإصابة، ومجلى الذوق السليم والمنطق المستقيم، والنظر العميق النافذ إلى صميم الأشياء، ودليل القدرة على المقارنة المستوعبة، وإصدار الأحكام العادلة المتزنة(١).

يقول الشيخ عبد القاهر: "إن من حق العاقل ألا يتعدى بالتشبيه الجهة المقصودة ولا سيما في العقليات"(٢).

و لا تتوقف جودة التشبيه على كثرة الاشتراك في الصفات فقد لا تكون هناك صفات متعددة تقضي بهذا الاشتراك، وإنما المهم إصابة جهة الاشتراك وقد تكون هذه الجهة معنى واحدا(٣).

و يجب أن يوجد الوجه المقصود في كلا الطرفين إما تحقيقا أو تخيلا، وما لم يوجد في الطرفين على إحدى هاتين الصفتين لم يصح أن يكون وجه شبه(٤).

أقسام التشبيه من جهة الوجه:

و ينقسم التشبيه باعتبار الوجه إلى أقسام عديدة. فباعتبار الذكر والحذف ينقسم قسمين:

الأول: المفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه.

الثاني: المجمل: وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه. وقد يكون الوجه في هذا القسم ظاهرا بحيث يدركه عامة الناس، وقد يكون خفيا لا يدرك ببديهة النظر بل يحتاج فيه إلى تأول يدركه من ارتفع عن طبقة العامة(٥).

و غالب تشبيهات القرآن من التشبيهات المجملة التي لم يذكر فيها الوجه، من أجل إعمال العقل في التدبر، والله أعلم.

---

(١) فن التشبيه ١/١٣٨

(٢) أسرار البلاغة ٥٣

(٣) فن التشبيه ١/١٣٩

(٤) المنهاج الواضح ٥/٢٩

(٥) الإيضاح ١٩١

و ينقسم التشبيه باعتبار آخر إلى قسمين:

الأول: التحقيقي: وهو ما كان وجه الشبه فيه قائما بالطرفين حقيقة[١]، مثل الإشـــراق عند تشبيه الوجه بالبدر، أو السواد عند تشبيه الشعر بالليل مثلا.

الثاني: التخييلي: قال الخطيب:"و المراد بالتخييل: أن لا يمكن وجوده(أي وجه الشبه) في المشبه به إلا على تأويل"[٢].

أقسام التشبيه:

مر ذكر بعض أقسام التشبيه باعتبار الطرفين أو الأداة أو وجه الشبه، وأريد هنا أن أذكر بعض الأقسام التي لم يمر ذكرها، ومن ذلك:

التشبيه البليغ:

و هو التشبيه الذي لم يذكر فيه وجه الشبه أو أداته. وسمي بليغا لأن فيه من إفادة المبالغة ما لا يفيده ذكر الوجه أو الأداة أو كليهما[٣].

فترك الوجه يفيد بحسب الظاهر عموم جهة الإلحاق أي أن المشبه يماثل المشبه به في جميع صفاته؛ إذ لا ترجيح لبعض الصفات على بعض عند ترك الوجه، وهذا يقوي دعوى الاتحاد بين الطرفين، وترك الأداة يفيد بحسب الظاهر أن المشبه محمول على المشبه به والحمل يقتضي اتحادهما معنى، وإلا لما صح الحمل. وهذا يعني أن المشبه هو بعينه المشبه به.

التشبيه الضمني:

و يسمى التشبيه الكنائي وهو: الكلام الذي يأتي به المتكلم كبرهان أو دليل أو حجـــة يثبت به صحة ما ذكره من معنى عَقِبَ ذلك المعنى.

و أمثلته في الشعر العربي كثيرة منها قول أبي تمام:

و إذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

---

(١) المنهاج ١/٥٩

(٢) الإيضاح ١٦٩

(٣) المنهاج ١/ ٩٢

فالمعنى الذي أراده الشاعر قد تم في البيت الأول، ولكن لأجل أن يثبت هذا المعنى الذي قد يستنكر ابتداء ــ وهو انتشار الفضيلة بسبب الحسود ــ جاء بالبيت الثاني دليلا على صحة ما ذكره من معنى.

فهذا النوع من التشبيه لا يأتي على صور التشبيه المعروفة ولكنه يستفاد بالتأمل؛ ولذلك سمي ضمنيا لأنه لا يذكر صراحة في الكلام، ولا شك أنه معنى يقصد إليه المتكلم.

و من أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الروم: ٥٠

و قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ فصلت: ٣٩

التشبيه التمثيلي:

الذي استقر عليه البيانيون هو أن التشبيه التمثيلي: ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، محسوسة كانت الصورة أم معقولة[1].

و من أمثلته في كتاب الله تعالى: قوله سبحانه: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الكهف: ٤٥

فوجه الشبه في الآية هو الصورة المنتزعة من نزول الماء على الأرض، ثم إخراج الأرض لنباتها، واخضرارها حتى تبدو جميلة للناظرين، ثم ييبس ذلك النبات حتى يصبح هشيما محطما، فكذلك الدنيا تبدوا جميلة حلوة خضرة، ثم تتبدل زينتها وحلاوتها إلى نغص وكدر، ثم يموت الإنسان عنها، وكأنها لم تكن.

(١) فنون البلاغة وأفنانها، صــ ٦٤.

خصائص التشبيهات القرآنية:

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، واستعمل أساليبهم في الكلام، ومن ضمن الأساليب التي استعملها أسلوب التشبيه، ولكن بتأمل يسير لتشبيهات القرآن الكريم نجد أن يتميز عن التشبيه في أسلوب لغة العرب بعدة مميزات، وسأجمل القول عن بعضها اختصارا:

فمن هذه الخصائص:

١. أن تشبيهاته غير مقيدة ببيئة معينة، فلم تنحصر في عصر دون عصر، و لم تقتصر على مكان دون آخر، إنما هي تشبيهات عامة تستمد عناصرها من الطبيعة، وتأخذ أجزاءها من الكون، فليست لفئة خاصة، أو قوم بأعيانهم.

٢. أن عناصر التشبيه في القرآن الكريم لا غناء لحياة الإنسان عنها، وذلك مما يزيد تأثيرها في النفس، ونفوذها في القلب.

٣. أن تشبيهات القرآن الكريم جاءت متسقة مع الغرض الذي سيقت لأجله، فقد نجد الشيء الواحد يشبه به أكثر من أمر لأن ذلك الشيء لوحظ فيه صفات متعددة، فروعي كل جانب ليتناسب ويتطابق مع المشبه الذي قصد القرآن الحديث عنه.

٤. الدقة في اختيار الألفاظ، وهذه حقيقة ليست خاصة بالتشبيه، إنما هي شأن القرآن في أساليبه جميعا، وفي كل موضوعاته التي تحدث عنها.

٥. تشبيهات القرآن بعيدة عن ترف الخيال، ورعونة العاطفة، وسرف القول وفضوله.

٦. تشبيهات القرآن الكريم كلها تدور حول الإنسان، تشبهه تارة، وتشبه له تارة أخرى، تشبهه بما يناسب وضعه، وتشبه له بما يحيط به من هذا الكون مما لا غنى له عنه في حياته ووجوده.

الفصل الثاني:

الدراسة التطبيقية لتشبيهات القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الروم: ١٩

أركان التشبيه:

المشبه: خروج الناس من القبور للبعث والنشور.

المشبه به: إحياء الأرض بعد موتها، ويجوز أن يدخل فيه إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، على تفصيل سيأتي.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الحياة بعد الموت، أو القدرة على فعل كل شيء.

تفسير الآية:

هذه الآية في سياق بيان قدرة الله تعالى وبيان أسباب استحقاقه الحمد والتسبيح، فهو سبحانه له الحمد والتنزيه في الأولى والآخرة وعلى الدوام صباحا ومساء، وعشيا وظهرا، لأن من قدرته وعظمته، ورحمته ومنته، أنه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويمن على عباده بإحياء الأرض بعد موتها، فله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا على جزيل فضله وإحسانه ونعمائه.

قوله سبحانه: (يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ):

قال ابن عاشور:"هذه الجملة بدل من جملة ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الروم: ١١ ويجوز أيضاً أن تكون موقع العلة لجملة ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الروم: ١٧ وما عطف عليها، أي هو مستحق للتسبيح والحمد لتصرفه في المخلوقات بالإيجاد العجيب وبالإحياء بعد الموت. واختير من تصرفاته العظيمة تصرف الإحياء والإماتة في الحيوان والنبات لأنه تخلص للغرض المقصود من إثبات البعث رداً للكلام على ما تقدم من قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الروم"[1].

---

(1) – التحرير ١٠/٦٧.

و لفظ (الحي) و(الميت) في هذه الآية يجوز أن يستعمل حقيقة أو مجازا؛ فالحقيقة: المني يخرج منه الإنسان، والبيضة يخرج منها الطائر، وهذه بعينها ميتة تخرج من حي، وما جرى هذا المجرى(١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه:"النُّطْفة ماء الرجل ميتة وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة"(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما:"يخرج من الإنسان ماء ميتا فيخلق منه بشرا، فذلك الميت من الحي، ويخرج الحي من الميت، فيعني بذلك أنه يخلق من الماء بشرًا فذلك الحي من الميت"(٣).

والمجاز: إخراج النبات الأخضر من الأرض وإخراج الطعم من النبات وما جرى هذا المجرى(٤).

و منه إخراج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، كما قال مجاهد(٥)و الحسن(٦) رحمهما الله.

والمعنى: أنّ الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحيّ وإخراج الحي من الميت وإحياء الميت وإماتة الحي(٧).

والمقصود في السياق هو إخراج الحي من الميت. وأما عطف (وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ) فللاحتراس من اقتصار قدرته تعالى على بعض التصرفات، ولإظهار عجيب قدرته –سبحانه- أنها تفعل الضدين، وهذا الخطاب للمؤمنين تعريض بالرد على المشركين(٨).

(وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ):أي يحيي الأرض بإنزال المطر عليها، وإخراج الزروع والثمار

(١) – المحرر ٢٥١/١٢.
(٢) – جامع البيان ٣٧/٢١.
(٣) – جامع البيان ٣٧/٢١.
(٤) – المحرر الوجيز ٢٥١/١٢.
(٥) – روح المعاني ٣٠/٢١.
(٦) – المحرر الوجيز ٢٥١/١٢.
(٧) – الكشاف ٢٤٢/٥.
(٨) – التحرير والتنوير ٦٧/١٠.

وسائر النبات منها بعد أن كانت ميتة هامدة يابسة لا حياة لها.

(وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) ثم بعد أن ذكر الله هذه الأمثلة القاضية بتجويز بعث الأجساد عقلاً ساق الخبر بأن كذلك خروجنا من القبور.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه (تمثيلي) مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وهو راجع إلى ما يصلح له من المذكور قبله، وهو ما فيه إنشاء حياة شيء بعد موته بناء على ما قدمناه من أن قوله (وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ)ليس مقصوداً من الاستدلال ولكنه احتراس وتكملة.

ويجوز أن يكون التشبيه راجعاً إلى أقرب مذكور وهو إحياء الأرض بعد موتها، أي وكإخراج النبات من الأرض بعد موته فيها يكون إخراجكم من الأرض بعد أن كنتم أمواتاً فيها، كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ نوح

ولا وجه لاقتصار التشبيه على الثاني دون الأول[1].

و إن كان الثاني أكثر ظهورا، وجرت عليه عادة القرآن.

و وجه الشبه بين أطراف التشبيه يمكن أن يكون الحياة بعد الموت، فكما تحيا الأرض بعد موتها بالمطر فتخرج زروعها وثمارها، وكما يخرج الله الإنسان الحي العاقل البصير السميع من نطفة ميتة، فكذلك يحيى الله الأموات من القبور ويخرجهم بعد أن كانوا أمواتا، إلا أنه يخرج من هذا الوجه إخراج الميت من الحي؛ لعدم تعلقه بحياة بعد موت -و الله أعلم-.

و يمكن أن يكون الجامع بين أطراف التشبيه قدرة الله تعالى الكاملة التي لا يعجزها شيء، فكما أنه سبحانه قادر على إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي وإحياء الأرض بعد موتها، فهو قادر كذلك على إخراج الأموات من قبورهم أحياء، لأن من قدر على ذلك قدر على هذا. وهذا الوجه شامل لإخراج الميت من الحي.

و قد جاء التصريح بقدرة الله تعالى في إحياء الأموات وتشبيه ذلك بإحياء الأرض في

---

(1) - التحرير والتنوير ٦٩/١٠.

آيات أخرى، يأتي ذكرها.

و لا تعارض بين الوجهين السابقين.

و يمكن أن يكون هناك وجه شبه آخر، وهو أنه كما أن الإنسان الحي يخرج من ميت وهي النطفة،و النبات والزرع الحي الذي يدل على حياة الأرض بعد موتها يخرج من حبة وهي ميتة، فكذلك يخرج الله تعالى الإنسان من قبره حيا من عجب الذنب وهو ميت، كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

و هذا وإن كانت الآية ليست مسوقة لأجله، لأن الكفار ليسوا مختلفين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخاطبهم بالبعث على طريقته وكيفيته، وإنما في أصل القضية وهي إمكانية البعث، ولكن مع هذا فالمعنى يحتمله ويقبله، والسياق لا يمنعه، وهو وجه مناسبة صحيح لا يعارض المقصد الأعظم من سياق الآية في إثبات البعث، ويدل على إعجاز القرآن في إيجاز اللفظ وسعة المعنى.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الروم: ٢٨

في هذه الآية ثلاث تشبيهات، أما التشبيه الأول فتحليله

المشبه: الهيئة المنتزعة من زعم المشركين أن الأصنام شركاء لله في التصرف ودافعون عن أوليائهم ما يريده الله من تسلط عقاب أو نحوه؛ إذ زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله وهم مع ذلك يعترفون بأنها مخلوقة لله.

المشبه به: هيئة ناس لهم عبيد صاروا شركاء في أرزاق سادتهم شركة على السواء فصار سادتهم يحذرون إذا أرادوا أن يتصرفوا في تلك الأرزاق أن يكون تصرفهم غير مرضي لعبيدهم.

أداة التشبيه: تشبيه تمثيلي ليس له أداة.

وجه الشبه: إنكار الهيئة المشبه بها المؤدي إلى بطلان الهيئة المشبهة.

وهذا التشبيه وإن كان منصرفاً لمجموع المركب من الهيئتين قد بلغ غاية كمال نظائره إذ هو قابل للتفريق في أجزاء ذلك المركب بتشبيه مالك الخلق كلهم بالذين يملكون عبيداً، وتشبيه الأصنام التي هي مخلوقة لله تعالى بمماليك الناس، وتشبيه تشريك الأصنام في التصرف مع الخالق في ملكه بتشريك العبيد في التصرف في أرزاق سادتهم، وتشبيه زعمهم عدول الله عن بعض ما يريده في الخلق لأجل تلك الأصنام، وشفاعتها، بحذر أصحاب الأرزاق من التصرف في حظوظ عبيدهم الشركاء تصرفاً يأبَوْنه[1].

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: خوف أرباب العبيد من مشاركة عبيدهم لهم في أموالهم على وجه السواء في التصرف.

المشبه به: الخوف من الشركاء الأحرار في التصرف في الأموال.

(١) التحرير والتنوير ٨٦/١٠.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الخوف المانع من الانفراد في التصرف تصرفا يغضب منه الشريك.

أما التشبيه الثالث فتحليله:

المشبه: تفصيل الآيات بإقامة الحجج الدامغة.

المشبه به: التفصيل المقنع الوارد في الآية الذي يقطع كل حجة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الوضوح والبيان اللذان يقطعان كل حجة.

تفسير الآيات:

يضرب الله سبحانه وتعالى مثلا في هذه الآيات للعباد، يبين فيه بطلان عبادهم للأصنام، واعتقاد أن لهم تصرفا في الكون بوجه من الوجوه، وهو مثل مضروب من أنفسهم، أي منتزعاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليهم وأعرفها عندهم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك.

و الخطاب عام لجميع الأمة؛ إذ لا تخلو الجماعة عن ناس لهم عبيد، وهم يعرفون أحوال العبيد مع سادهم سواء منهم من يملك عبيداً ومن لا عبيد له(1).

و المثل هو قوله سبحانه:(هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ)، ومعناه: هل لكم أيها المشركون من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم، شركاء يشاركونكم فيما رزقناكم من الأموال وما يجري مجراها كالزوجة مما تتصرفون فيه منفردين على وجه الحرية والاختيار، هل لكم منهم مشارك في ذلك على استواء المنزلة، بحيث يهاب ويخشى الواحد منكم من أن يتصرف فيما رزقناه تصرفا يغضب منه مملوكه، كما يمتنع عن التصرف في ماله تصرفا يغضب منه شريكه الحر، والجواب قطعا: لا. ليس لهم من عبيدهم شركاء كذلك، بل لا يرضون

---

(1) التحرير والتنوير ١٠/٨٥.

لأنفسهم ذلك.

وعم سبحانه في النفي الذي هو المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله: ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ أي في حالة من الحالات(١).

و المراد من المثل: أنكم أيها الناس إذا كان لكم عبيد تملكونهم فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ومهمّ أموركم، ولا في شيء على جهة استواء المنزلة، وليس من شأنكم أن تخافوهم في أن يرثوا أموالكم أو يقاسموكم إياها في حياتكم، كما يفعل بعضكم ببعض، فإذا كان هذا فيكم فكيف تقولون: إن لله من عبيده وملكه شركاء في سلطانه وألوهيته؟، وتثبتون في جانبه ما لا يليق بكم عندكم بجوانبكم؟، هذا تفسير ابن عباس والجماعة(٢).

و اختلف أهل التأويل في قوله تعالى:﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

فقال بعضهم: معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء، مما ملكت أيمانكم، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم، كما يرث بعضكم بعضا.و هو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما(٣).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم، كما يقاسم بعضكم بعضا(٤).

قال الإمام الطبري:"وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، القول الثاني؛ لأنه أشبههما بما دلّ عليه ظاهر الكلام، وذلك أن الله جلّ ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها، وأشركوهم في عبادتهم إياه، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقُه وهم عبيدُه، وعيرهم بفعلهم ذلك، فقال لهم: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا، فهم سواء، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة، فالخيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن

(١) نظم الدرر للبقاعي ٦/٣٠٦.
(٢) المحرر الوجيز ١٢/٢٥٧.
(٣) جامع البيان ٢١/٤٦.
(٤) جامع البيان ٢١/٤٦.

يرثه؛ لأن ذكر الشركة لا يدلّ على خيفة الوراثة، وقد يدلّ على خيفة الفراق والمقاسمة"[١].

وقوله:(كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ): يقول تعالى ذكره: كما بيّنا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من إنشاء ما نشاء، وإفناء ما نحبّ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه، ودللنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كلّ شيء كذلك نبين حججنا في كل حقّ لقوم يعقلون، فيتدبرونها إذا سمعوها، ويعتبرون فيتعظون بها[٢].

ويفهم من هذا أن المراد بالآيات التي فصلها الله تعالى هو ما مر ذكره في السورة من قبل، وليس مختصا بما ورد في هذه الآية فقط.

والقوم الذين يعقلون هم المتنزهون عن المكابرة والإعراض، والطالبون للحق والحقائق لوفرة عقولهم، فيزداد المؤمنون يقيناً، ويؤمن الغافلون والذين تروج عليهم ضلالات المشركين ثم تنكشف عنهم بمثل هذه الدلائل البينة[٣].

وخصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها[٤]، وفي هذا تعريض بالمتصلبين في شركهم بأنهم ليسوا من أهل العقول، وليسوا ممن ينتفعون[٥].

أثر التشبيه:

التشبيه الأول في الآية تشبيه مؤكد مجمل؛ لم تذكر له أداة ولا وجه، ليتأمل القارئ كل وجه يثبت نقص كل ما عبد من دون الله، وكل كمال لله تعالى.

و هو يبرز المعنى الباطل المتخيل في صورة المحسوس الذي يدركه المخاطبون ويقرون به في قرارة أنفسهم من بطلان أن يشارك المملوك سيده في ماله مشاركة تامة على وجه المساواة، وأكد ذلك بتخصيص الخطاب لأهل العقل والإدراك

---

(١) جامع البيان ٢١/٤٦-٤٧.

(٢) جامع البيان ٢١/٤٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٠/٨٧.

(٤) روح المعاني ٢١/٣٨.

(٥) التحرير والتنوير ١٠/٨٧.

ثم هو يبرز الهيئة المشبه بها في صورة منكرة لقبحها في عرف المخاطبين، ولاستنكار العقول السليمة لها، ويؤكد هذا القبح دخول الاستفهام الاستنكاري عليها.

قال ابن عاشور رحمه الله:"فهذه الهيئة المشبه بها هيئة قبيحة مشوهة في العادة لا وجود لأمثالها في عرفهم فكانت الهيئة المشبهةُ منفيةً منكَرة، ولذلك أدخل عليها استفهام الإنكار والجحود ليُنتج أن الصورة المزعومة للأصنام صورة باطلة بطريق التصوير والتشكيل إبرازاً لذلك المعنى الاعتقادي الباطل في الصورة المحسوسة المشوهة الباطلة"(١).

و وجه المشابهة فيه معلوم من جهة أن الله تعالى لا يرضى أن يكون له شريك في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته من عبيده الذين خلقهم وهو مالك أمرهم، كما أن السادة الأحرار لا يرضون أن يكون من مماليكهم مشارك لهم في أموالهم وأرزاقهم، مشاركة على وجه المساواة في التصرف، تجعلهم يحجمون أو يمتنعون عن بعض التصرفات خوفا من غضبهم.

و يؤكد هذا المعنى في التشبيه أوجه المخالفة في الشبه التي تؤكد المعنى وتزيده وضوحا، وفيها يقول الإمام الرازي رحمه الله:"ينبغي أن يكون بين المثل والممثل به مشابهة ما، ثم إن كان بينهما مخالفة فقد يكون مؤكداً لمعنى المثل وقد يكون موهناً له وههنا وجه المشابهة معلوم، وأما المخالفة فموجودة أيضاً وهي مؤكدة وذلك من وجوه:

أحدها: قوله(مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ): يعني ضرب لكم مثلاً من أنفسكم مع حقارتها ونقصانها وعجزها، وقاس نفسه عليكم مع عظمها وكمالها وقدرتها.

وثانيها: قوله:(مِّن مَّا مَلَكَتْ): يعني عبيدكم لكم عليهم ملك اليد وهو طارىء قابل للنقل والزوال، أما النقل فبالبيع وغيره والزوال بالعتق ومملوك الله لا خروج له من ملك الله بوجه من الوجوه، فإذا لم يجز أن يكون مملوك يمينكم شريكاً لكم مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه، بل هو في الحال مثلكم في الآدمية حتى أنكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة، فكيف يجوز أن يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه شريكاً له.

وثالثها: قوله:(مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ): يعني الذي لكم، هو في الحقيقة ليس

---

(١) التحرير والتنوير ٨٦/١٠.

لكم بل هو من الله ومن رزقه والذي من الله فهو في الحقيقة له فإذا لم يجز أن يكـــون لكـــم شريك في مالكم من حيث الاسم، فكيف يجوز أن يكون له شريك فيما له من حيث الحقيقة وقوله: (فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ)أي هل أنتم ومماليككم في شيء مما تملكون سواء، ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء مما يملكه، لكن كل شيء فهو لله فما تدعون إلهيته لا يملك شـــيئاً أصلاً ولا مثقال ذرة من خردل فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل إليكم منه"(١).

و أما التشبيه الثاني في الآية مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وهو داخل في التشبيه الأول متم لمعناه؛ إذ لا يتم المعنى الأول إلا بأن يخاف السادة من التصرف في أرزاقهم تصرفا يغضب مماليكهم، إضافة إلى ما يفيده من معنى التقبيح في الهيئة المشبه بهـــا، لإنكـــار الطباع السليمة له.

و فيه فائدة لطيفة، وهي: الرد على المشركين إذا قالوا بأن عبادتنا لهم لأجل أن يشفعوا لنا عند الله تعالى، كما قال سبحانه:﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الزمـــر: ٣، وذلك من جهة أن قولهم هذا يثبت أن لهذه الأصنام مكانة عند الله تعالى تجعل قبول شفاعتها ممكنـــا أو واجبا، وهذا ما ينفونه عن مماليكهم، إذ ليس لهم حرمة كحرمة الأحرار مع أنهم يشـــبهون ساداتهم في الحقيقة والصفات. وليس بين معبوداتهم وبين الله تعالى مشابهة في شيء من ذلك، بل في بعضها من صفات النقص ما يعلم ببداهة من كونها مخلوقة من عابديها، وأنها لا تسمع ولا تبصر ولا روح فيها، فهي مصنوعة من الحجارة والأشجار، ونحو ذلك.

قال الإمام الرازي:"وأما قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك، لأن المملوك هل له عندكم حرمة كحرمة الأحرار وإذا لم يكن للملوك مع مساواته إياكم في الحقيقة والصفة عنـــدكم حرمة، فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه وإلى هذا أشار بقوله:(تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ)"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ١١٩/٢٥.

(٢) مفاتيح الغيب ١١٩/٢٥-١٢٠.

و أما التشبيه الثالث فهو مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وهو يؤكـد أن حجج الله تعالى، وما يذكره من بينات موضحات، ودلائل مقنعات مفصلة غاية التفصـيل، وموضحة غاية الإيضاح، يذعن لها ويسلم بها كل من له فكر صحيح، وعقل صريح.

قال الإمام البقاعي رحمه الله:"ولما كان هذا المثال، في الذروة من الكمال، كان السامع جديراً بأن يقول: جل الله! ما أعلى شأن هذا البيان! هل يبين كل شيء هكـذا؟ فقـال: (كَذَٰلِكَ) أي مثل هذا البيان العالي (نُفَصِّلُ)أي نبين، لأن الفصل هو الميز وهو البيـان، وذلك على وجه عظيم - بما أشار إليه التضعيف مع التجديـد والاسـتمرار:(ٱلۡأَيَٰتِ)أي الدلالات الواضحات"[1].

و قال الإمام الألوسي:"(كَذَٰلِكَ)أي مثل ذلك التفصيل الواضح (نُفَصِّلُ ٱلۡأَيَٰتِ) أي نبينها ونوضحها لا تفصيلاً أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وإبراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الإيضاح والبيان"[2].

---

(١) نظم الدرر ٦/٣٠٦.

(٢) روح المعاني ٢١/٣٨.

قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ الروم: ٥٠

أركان التشبيه:

المشبه: إحياء الأموات.

المشبه به: إحياء الأرض بعد موهّا.

أداة التشبيه: تشبيه ضمني ليس له أداة.

وجه الشبه: الحياة بعد الموت. أو قدرة الله تعالى.

تفسير الآية:

يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، وكل من يصلح له الخطاب، أن ينظر نظر تفكر واعتبار واستبصار، ليستدلّ بذلك على توحيد الله، وتفرده بهذا الصنع العجيب، وهو إنزال الغيث من السماء ثم إحياء الأرض بعد موهّا به، وهذا أثر من آثار رحمة الله تعالى بعباده.

و في قوله تعالى (ءَاثَٰرِ)قراءتان بالإفراد والجمع، وكلاهما قراءتان صحيحتان.

قال الطبري رحمه الله:"والصواب من القول فى ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها، فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به، وإذا أحياها الغيث، فإن الله هو المحيي به، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب. فتأويل الكلام إذًا: فانظر يا محمد، إلى آثار الغيث الذي ينزل اللهُ من السحاب، كيف يحيي به الأرض الميتة، فينبتها ويعشبها، من بعد موهّا ودثورها"(١).

و قوله سبحانه:(رَحۡمَتِ ٱللَّهِ)أظهر و لم يضمر تنبيهاً على ما في ذلك من تناهي العظمة في تنوع الزروع بعد سقيا الأرض واهتزازها بالنبات واخضرار الأشجار واختلاف الثمار، وتكون الكل من ذلك الماء(٢).

قوله تعالى:(كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ) يحتمل أن يكون الضمير الذي في الفعل

---

(١) جامع البيان ٦٤/٢١.

(٢) نظم الدرر ٣٢٦/٦.

للأثر، ويحتمل أن يكون لله تعالى وهو أظهر(١).

ثم قال جل ذكره منبها على جهة القياس والمشـــابهة (إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)اسم الإشارة عائد إلى اسم الله تعالى بما أُجري عليه من الإخبار بإحياء الأرض بعد موتها، ليفيد اسم الإشارة معنى أنه جدير بما يرد بعده من الخبر عن المشار إليه، فالمعنى: أن الله الذي يحيي الأرض بعد موتها لمحيي الموتى، تقريباً لتصور البعث. وعدل عن الموصول إلى الإشارة للإيجاز، ولما في الإشارة من التعظيم(٢).

وهو قادر على كل شيء، ولا يخرج عن قدرته شيء لما تفيده كل المضافة من العموم.

قال ابن عطية رحمه الله:"وقوله:(عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ)عموم"(٣).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه ضمني، ذكر الله فيه أمر البعث وإخراج الناس من قبورهم، بعد ذكـــر تمـــام رحمته بإنزال المطر، وإحياء الأرض بعد موتها.

و وجه الشبه بين الصورتين هو الحياة بعد الموت كما مر ذكره قبل هذه الآية، ويصح أن يكون الجامع بينهما أيضا قدرة الله تعالى، خاصة وقد جاء التصريح بها في ختام الآيةۚ(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ).

قال الزمخشري:"(إِنَّ ذَٰلِكَ) يعني إنّ ذلك القادر الذي يحي الأرض بعد موتها، هو الذي يحي الناس بعد موتهم"(٤).

و ذكر الله تعالى رحمته بإحياء الأرض بعد موتها، وهو أمر ظاهر في ذلك، ولـــه تعلـــق بإحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم، ذلك أن البعث كما أنه دليل على قدرة الله تعالى فهو دليل على رحمته أيضا، إذ بالبعث يحصل الثواب والجزاء للمؤمنين الطائعين، ويحصل العقاب

(١) المحرر الوجيز ٢٦٩/١٢.
(٢) التحرير والتنوير ١٢٤/١٠.
(٣) المحرر الوجيز ٢٦٩/١٢.
(٤) الكشاف ٢٦٦/٥.

للكفرة والعاصين، إلا أن تدرك العاصين رحمة الله تعالى، وبه أيضا يقتص للعباد بعضهم من بعض، حتى إنه ليقتص للحيوانات بعضها من بعض.

و من إعجاز القرآن ذكره الوجه الأظهر في ما يناسبه من أفعال الله سبحانه، فذكر الرحمة عند إحياء الأرض بعد موتها لظهور ذلك فيها بجلاء، وذكره القدرة عند إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم لظهور ذلك فيه بجلاء؛ فالحمد لله تعالى على رحمته وقدرته.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾ الروم: ٥٥

أركان التشبيه:

المشبه: صرف الكفار عن الحق والصدق في الدنيا.

المشبه به: صرفهم عن الحق والصدق في الآخرة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الانصراف عن الحق إلى الباطل بعد وضوحه وبيانه، وعن الصدق إلى الكذب، وقسمهم على ذلك مع علمهم بأنهم كاذبون.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن المجرمين الكافرين بأنهم في يوم القيامة يقسمون كذبا وبهتانا، أنهم لم يلبثوا في الحياة الدنيا غير ساعة، والساعة الأولى على معنى الساعة التي تقوم فيها القيامة، وصارت علماً لها بالغلبة(١)، فلذلك لم تُعرف أيّ ساعة هي(٢)، والساعة الثانية: المدة اليسيرة، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم يُنْظَروا حتى يُعذَر إليهم.

فأخبر الله تعالى أنهم وفي مثل هذا اليوم الذي يتضح فيه الحق ويظهر صدق الرسل، وتظهر علامات الجزاء والحساب يقسمون على الكذب، كما كانوا في الدنيا يقسمون على الكذب بعد وضوح الحق وجلائه على ألسنة الرسل.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته ووجهه، ويدل عليه قوله تعالى:(يؤفكون).

وهو يدل على أن الكذب والانصراف عن الحق سجية الكفار.

---

(١) روح المعاني ٢١/ ٥٩.

(٢) زاد المسير ٥/ ١٠٣.

قال ابن عاشور رحمه الله:"وإقحام فعل {كانُوا} للدلالة على أن المراد في زمان قبلَ ذلك الزمن، أي في زمن الحياة الدنيا. والمعنى: أن ذلك خلُق تخلقوا به وصار لهم كالسجية في حياتهم الدنيا حتى إذا أعاد الله إليهم أرواحهم صدر عنهم ما كانوا تخلقوا به"[1].

والسبب في كون هذا سجية لهم، لأنهم لم يكونوا في الدنيا يبحثون عن الحق ليتبعوه ويؤمنوا به، وإلا فإنهم لو أرادوا الحق لهداهم الله تعالى إليه، ولكنهم كانوا يبحثون عن ما يؤيد باطلهم، و أي وضوح وجلاء للحق أعظم مما يكون في يوم القيامة، ومع ذلك يقع منهم الحلف على الكذب. إن في هذا دلالة على فساد قلوبهم.

ويؤيد هذا المعنى جعل صرفهم عن الحق إلى الباطل، وعن الصدق إلى الكذب يوم القيامة مشبها به؛ جريا على العادة في التشبيه من كون الوجه في المشبه به أقوى منه في المشبه.

قال البقاعي رحمه الله:"ولما كان هذا أمراً معجباً لأنه كلام كذب بحيث يؤرث أشد الفضيحة والخزي في ذلك الجمع الأعظم مع أنه غير مغنٍ شيئاً، استأنف قوله تنبيهاً على أنه الفاعل له: فلا عجب {كذلك} أي مثل ذلك الصرف عن حقائق الأمور إلى شكوكها {كانوا} في الدنيا كوناً هو كالجبلة {يؤفكون} أي يصرفون عن الصواب الذي منشأه تحري الصدق والإذعان للحق إلى الباطل الذي منشأه تحري المغالبة "[2].

وقال ابن عاشور رحمه الله:"وجملة {كذلك كانوا يؤفكون} استئناف بياني لأن غرابة حالهم من فساد تقدير المدة والقسم عليه مع كونه توهماً يثير سؤال سائل عن مثار هذا الوهَم في نفوسهم فكان قوله {كذلك كَانُوا يُؤْفَكُون} بياناً لذلك. ومعناه: أنهم لا عجب في صدور ذلك منهم فإنهم كانوا يجيئون بمثل تلك الأوهام مدة كونهم في الدنيا، فتصرفهم أوهامهم عن اليقين، وكانوا يقسمون على عقائدهم كما في قوله: {وأقْسَموا بالله جَهْدَ أيْمَانِهم لاَ يَبْعَث الله مَنْ يَمُوت} [النحل : ٣٨] استخفافاً بالأيمان، وكذلك إشارة إلى انصرافهم عن الحق يوم البعث[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١٣٠/٢١.

(٢) نظم الدرر ٣٣٠/٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ١٢٩-١٣٠.

وفي التشبيه أيضا تأديب للمسلمين أن يتَحامَوْا الرذائل والكبائر في الحياة الدنيا خشية أن تصير لهم خلقاً فيحشروا عليها[1].

والمقصود من التشبيه المماثلة والمساواة.

(١) التحرير والتنوير ٢١/١٣٠.

﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الروم: ٥٩

أركان التشبيه:

المشبه: الطبع على قلوب الذين لا يعلمون.

المشبه به: الطبع على قلوب الكافرين عند مجيء الآيات الواضحة.

أداة التشبيه الكاف.

وجه الشبه: الطبع على القلب حتى لا يقبل الحق.

تفسير الآية:

يقول سبحانه وتعالى: ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم، وتنبيها لهم عن وحدانية الله ما فيه إزالة للأعذار وإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار، وأنه لم يبق من جانب الرسول تقصير، فإن طلبوا شيئاً آخر فذلك عناد، ومن هان عليه تكذيب دليل لا يصعب عليه تكذيب الدلائل، ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية، وبدلالة على صدق ما تقول سواء كانت باقتراحهم أو غيره، ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك، وأنكروا نبوّتك، إن أنتم إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور.

وجاء بضمير جمع المخاطب للنبي لقصد تعظيمه من جانب الله تعالى، وإنما يقول الذين كفروا: إن أنت إلا مبطل، فحكي كلامهم بالمعنى للتنويه بشأن الرسول عليه الصلاة والسلام. وقيل: الخطاب للرسول والمؤمنين فهو حكاية باللفظ(١).

ثم يخبر سبحانه بأنه كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات، والآيات البيِّنات، فلا يفقهون عن الله حُجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون، ويصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها.

أثر التشبيه:

---

(١) التحرير والتنوير ١٣٤/٢١.

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه.

والغرض منه بيان السبب الذي يمنع الكفار من قبول الحق والإيمان بالآيات الواضحات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم.

والسبب هو الطبع على قلوبهم حتى أعرضت عن الحق، والله سبحانه وتعالى قد علم منهم أنهم لن يؤمنوا حتى ولو جاءتهم كل الآيات فلذلك طبع على قلوبهم.

وفي التشبيه بيان أن هذا الطبع عقوبة من الله تعالى جزاء عنادهم واستكبارهم، لأن الحق من شأنه أن تقبله النفوس، وتنقاد له، ولكن أنفس المتكبرين لاتقبل الحق، إما لكرههم لمن جاء به، أو لأنهم يرون أن في اتباع الحق حط لمنزلتهم، أو فيه منع لهم من شهواتهم فلذلك يردون الحق، وهم يعلمون أنه حق وأنهم على باطل.

ولذلك وصفهم الله تعالى في الآية بأنهم لا يعلمون؛ لأن العلم الذي لا يقود إلى اتباع الحق، ويقصر بصاحبه عن اتباع الباطل لا يسمى علما.

قــال تعــالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ لقمان: ٧

في هذه الآية تشبيهان؛ أما التشبيه الأول فتحليله:

المشبه: تولي المستكبر بعد سماع آيات القرآن.

المشبه به: تولي من لم يسمع آيات القرآن.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: عدم الانتفاع.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: تولي المستكبر بعد سماع آيات القرآن.

المشبه به: تولي من في سمعه ثقلا يمنعه من الانتفاع من كل كلام نافع.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: عدم الانتفاع.

و التشبيهان مرتبطان ببعض، ويشهد له قول الإمام الألوسي:"والجملة –أي قوله تعال:(كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ)– حال من ضمير (لَّمْ يَسْمَعْهَا) أو هي بدل منها بدل كل من كل أو بيان لها ويجوز أن تكون حالاً من أحد السابقين، ويجوز أن تكون كلتا الجملتين مستأنفتين والمراد من الجملة الثانية الترقي في الذم"[(١)].

تفسير الآية:

هذه الآية وصف لمن ذكره الله تعالى في الآية التي قبلها وهو من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله تعالى، فيقول سبحانه وتعالى في وصفه: إنه إذا تليت عليه آيات الله تعالى التي تدعوه إلى الإيمان به سبحانه والإيمان برسوله ﷺ أعرض إعراضا مع استكبار، زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأساً حتى أصبح حاله في ذلك كحال من لم يسمعها وهو سامع، لإعراضه

---

(١) روح المعاني ٢١/٨٠.

عنها وعدم استفادته منها، كأن في أذنيه صمما أو ثقلا يمنعه من سماع الآيات والانتفاع بها، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبشره بالعذاب المؤلم لقلبه؛ ولبدنه؛ الذي لا يقادر قــدره؛ ولا يدرى بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نِعْمَتِ البشارة[١].

والتبشير بما يضر ولا يسر يحمل معه التهكم وهذا النوع من الناس مستحق لذلك[٢].

و في سبب نزول الآيتين قولان: أحدهما أنها نزلت في النضر بن الحارث.

الثاني أنها نزلت في رجل من قريش قيل هو ابن خطل اشترى جارية مغنية فشغل الناس بها عن استماع النبي صلى الله عليه وسلم.

وألفاظ الآية أنسب انطباقاً على قصة النضر بن الحارث[٣].

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان تمثيليان، مرسلان مجملان؛ ذكرت أداتهما و لم يذكر وجههما.

و هما يتضمنان تشويها للمشبه، لأن نفي السماع، أو الوصف بثقل السمع صفات نقص وعيب، وإثبات السمع والانتفاع بالمسموع صفة كمال، ورجحان، ومن كانت صفة النقص صفته حرم من الخير المسموع، وهو في الآية وإن لم يكن صمما حقيقيا إلا أنه يحرم صاحبه التفكر في المسموع والتدبر له فيكون حاله كحال من لم يسمع، ولو كان سماعا وتأثرا يعقبه إعراض.

قال ابن عاشور:"وشُبه في ذلك بالذي لا يسمع الآيات التي تتلى عليه، ووجه الشبه هو عدم التأثر ولو تأثراً يعقبه إعراضٌ كتأثر الوليد بن المغيرة"[٤].

و يزداد المشبه قبحا بما ذكرت الآية من أوصافه، فهو معرض عن الآيات التي تتضــمن الهداية والحكمة ثم أيضا هو إعراض مصحوب باستكبار يمنع صاحبه من التأمل والنظر فيها، ثم إنه موصوف بالغفلة كحال من لم يسمع، وزيادة في التقبيح وصف بأن أذنيه كــأن فيهمــا صمما يمنعه من السماع.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦٤٧.

(٢) أيسر التفاسير ٢٤٦/٣.

(٣) التحرير والتنوير ١٤٣/١٠.

(٤) التحرير والتنوير ١٤٤/١٠.

قال الرازي:"ثم إن الواجب أن يطلب العاقل الحكمة بأي شيء يجده ويشتريها، وهم ما كانوا يطلبونها، وإذا جاءتهم مجاناً ما كانوا يسمعونها، ثم إن فيه أيضاً مراتب:

الأولى: التولية عن الحكمة وهو قبيح.

والثاني: الاستكبار، ومن يشتري حكاية رستم وبهرام ويحتاج إليها كيف يكون مستغنياً عن الحكمة حتى يستكبر عنها؟ وإنما يستكبر الشخص عن الكلام وإذا كان يقول أنا أقول مثله، فمن لا يقدر يصنع مثل تلك الحكايات الباطلة كيف يستكبر على الحكمة البالغة التي من عند الله؟

الثالث: قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾شغل المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام ويجعل نفسه كأنها غافلة.

الرابع: قوله: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أدخل في الإعراض"[1].

و قال أبو حيان رحمه الله:"وتضمنت هذه الآية ذم المشتري من وجوه التولية عن الحكمة، ثم الاستكبار، ثم عدم الالتفات إلى سماعها، كأنه غافل عنها، ثم الإيغال في الإعراض بكون أذنيه كأن فيهما صمماً يصده عن السماع"[2].

و قد صارت هذه الأوصاف ملازمة له، كلما تليت عليه الآيات وكلما ذكر بها، لا يزداد مع مرور الزمان إلا رسوخا فيها؛ بدلالة الفعل المضارع (تُتْلَىٰ) الذي يفيد التجدد والاستمرار.

قال البقاعي:"ولما كان الإنسان قد يكون غافلاً، فإذا نبه انتبه، دل سبحانه على أن هذا الإنسان المنهمك في أسباب الخسران لا يزداد على مر الزمان إلا مفاجأة لكل ما يرد عليه من البيان بالبغي والطغيان، فقال مفرداً للضمير حملاً على اللفظ أيضاً لئلا يتعلق متمحل بأن المذموم إنما هو الجمع صارفاً الكلام إلى مظهر العظمة لما اقتضاه الحال من الترهيب: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي يتجدد عليه تلاوة ذلك مع ما له من العظمة من أيّ تال كان وإن عظم ﴿وَلَّىٰ﴾أي بعد السماع، مطلق التولي سواء كان على حالة المجانبة أو مدبراً ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ أي

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٢/٢٥.

(٢) البحر المحيط ١٨٤/٧.

حال كونه طالباً موجداً له بالإعراض عن الطاعة"[١].

و وصف المعرض بالاستكبار فيه دلالة على نفور مصحوب بغضب مما يسمع من الحق، وسبب ذلك إما جلاء الحق وظهوره، أو ظنه السيء بأن في اتباع الحق نقصا لقدره ومنزلته، أو لأن فيه حرمانا لنفسه من الشهوات، ومع ذلك ليس لديه حجة تؤيد الباطل الذي لديه، فيعرض مستكبرا ومبالغا في الاستكبار.

و التشبيهان مؤكدان للإعراض والاستكبار الذي يكون من ذلك المشتري للهو الحديث، ففي الأول تأكيد للإعراض مع تمكنه من آله السمع، والثاني تأكيد له بضعف آلته، وهو أخص من الأول وأدخل في الإعراض.

قال الطاهر ابن عاشور:"وكرر التشبيه لتقويته مع اختلاف الكيفية في أن عدم السمع مرة مع تمكن آلة السمع ومرة مع انعدام قوة آلته فشبه ثانياً بمن في أذنيه وقر وهو أخص من معنى ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾"[٢].

و قد جاء التشبيه بأداته المفيدة للتأكيد والمبالغة (كأن) التي تستعمل حيث يقوى التشبيه ويتأكد، وأيضا يكون الاهتمام عند استخدامها منصبا على المشبه، للدلالة على أن الإعراض المصحوب بالاستكبار صادر عن المشبه وهو المشتري للهو الحديث، وهو يدل على فساد قلبه، واختلال عقله، وليس ناشئا عن نقص في وضوح الآيات أو كمال أو حسن ما دلت عليه من معانٍ.

---

(١) نظم الدرر ٣٣٨/٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٤٤/١٠.

قوله تعـــالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ لقمان: ٢٨

أركان التشبيه:

المشبه: قدرة الله تعالى على خلق العباد جميعا وبعثهم.

المشبه به: قدرة الله على خلق نفس واحدة وبعثها.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: القدرة المطلقة التي لا يعجزها شيء.

تفسير الآية:

لما أخبر سبحانه وتعالى عن فضله وإسباغ نعمته على العباد، ثم أخبر عن علمه وإحاطته بما في الصدور، ثم أخبر عن كمال قدرته وغناه وأن له ما في السموات وما في الأرض، ذكر سبحانه ما يبطل استبعادهم للحشر والبعث؛ وذلك أنهم قالوا: يا محمد، إنا نرى الطفل يخلق بتدريج، وأنت تقول: الله يعيدنا دفعة واحدة[(١)].

قال ابن الجوزي:"سبب نزولها أن أُبيَّ بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقة، مضغة، عظاماً، لحماً، ثم تزعم أنَّا نُبْعَث خَلْقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة؟! فنزلت هذه الآية"[(٢)].

فأخبر سبحانه أن خَلْقَ جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته كنسبة خلق نفس واحدة؛ الجميع هين عليه، أي: سواء في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، لا يتفاوت، وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد: أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل، وقد تعالى عن ذلك[(٣)].

وقوله:(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)أي: إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم، بصير بما

---

(١) البحر المحيط ٧/ ١٩٢.

(٢) زاد المسير ٣٢٧/٦.

(٣) الكشاف ٢٨٧/٥.

يعملونه وغيرهم من الأعمال، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم[1].

و كما أنه سبحانه يسمع كل صوت، ويبصر كل مبصر، في حالة واحدة، لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض، فكذلك الخلق والبعث[2].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وساقه الله تعالى بأقوى أساليب التأكيد والحصر وذلك بالنفي ثم الاستثناء.

و هو يدل على هوان وسهولة الخلق والبعث على الله تعالى، وما ذاك إلا لقدرته الكاملة الشاملة التي لا يلحقها عجز ولا نقص بوجه من الوجوه، ويدل على نفاذ أمره كما قال سبحانه:(إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ يس: ٨٢)، وقوله جل في علاه:(﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ القمر: ٥٠).

(١) جامع البيان ٢١/ ٩٥.

(٢) الكشاف ٥/٢٨٧.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ لقمان: ٣٢

أركان التشبيه:

المشبه: الموج.

المشبه به: الظلل.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الكثرة والاسوداد والتتابع.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا عن المشركين أنهم في حال الأمن والرخاء على البر يشركون بالله تعالى غيره من الأصنام والأوثان، أما في حال ركوبهم البحر وفي حال غشيان الموج لهم فإنهم يدعون الله جل وعلا وحده ويخلصون له العبادة.

والظلل: كل ما أظلك من جبل أو سحاب[(١)].

وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل[(٢)].

فإذا أنجاهم سبحانه إلى البر فمنهم مقتصد، واختلف في معنى المقتصد:

فقيل: مقتصد في قوله معترف بأن الله تعالى وحده هو المنجي، ولكنه لايزال يشرك به، أو بقي معه شيء من الإخلاص الذي كان عليه في البحر. قاله مجاهد[(٣)].

وقيل: مؤمن قد وفى بما عاهد عليه ربه في البحر. قاله الحسن[(٤)].

ثم يخبر جل وعلا أنه لا يجحد بآياته إلا كل ختار كفور.

---

(١) الكشاف ٢٩٠/٥.

(٢) جامع البيان ٩٨/٢١.

(٣) جامع البيان ٩٨/٢١.

(٤) زاد المسير ١١١/٥، المحرر الوجيز ٢٦/١٣.

والختار: الغدار، والختر: أقبح الغدر وأشنعه. قاله ابن قتيبة[١].

والكفور: الجحود للنعم، غير الشاكر ما أسدى إليه من نعمة[٢]. وذلك أن نعم الله تعالى على العباد كأنها عهود ومنن يلزم عنها أداء شكرها فمن كفر ذلك وجحد به فكأنه ختر وخان[٣].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

والمشابهة بين الطرفين تقع في صور متعددة منها الارتفاع والعلو، فكل ما أظلك يكون فوقك وأعلى منك، في هذا إشارة إلى ارتفاع الموج ارتفاعا مخيفا لأنه يوقظ الفطرة ويجعل القلب يتجه إلى الله تعالى بدعائه وحده اضطرارا لا اختيارا،

قال الرازي:"وحد الموج وجمع الظلل، وقيل في معناه كالجبال، وقيل كالسحاب إشارة إلى عظم الموج، ويمكن أن يقال الموج الواحد العظيم يرى فيه طلوع ونزول وإذا نظرت في الجرية الواحدة من النهر العظيم تبين لك ذلك فيكون ذلك كالجبال المتلاصقة[٤].

وأيضا المشابهة من جهة التتابع؛ فالموج المخيف هو الذي يتبع بعضه بعضا، أما لو كان مجيئه مرة واحدة، أو مرات متعددة متباعدة لم يقع به من الخوف ما يقع بالمتتابع.

قال ابن قتيبة: وهي جمع ظُلَّة، يراد أنَّ بعضه فوق بعض، فله سوادٌ من كثرته"[٥].

ويدل على هذين الوجهين أيضا مجيء كلمة الموج في الآية منكرة دلالة على التعظيم والكثرة[٦].

وأيضا من جهة الاسوداد، فالظلل لا تكون ظلالا حتى تكون مسودة تحجب نور

---

(١) زاد المسير ١١١/٥.

(٢) جامع البيان ٩٨/٢١.

(٣) المحرر الوجيز ٢٦/١٣.

(٤) مفاتيح الغيب ١٦٣/٢٥.

(٥) زاد المسير ١١١/٥.

(٦) روح المعاني ١٠٥/٢١.

الشمس أو تضعفه، ولا يكون الموج مخيفا، ويحمل راكبي البحر على الإخلاص لله إلا إذا كان متصفا بهذه الصفة.

قال الطبري رحمه الله:" كالظُلل، وهي جمع ظُلَّة، شبَّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء"[١].

---

(١) جامع البيان ٩٧/٢١.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ السجدة: ١٨

أركان التشبيه:

المشبه:المؤمن.

المشبه به: الفاسق.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم استواء العاقبة.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى عن الفرق بين المؤمن والفاسق، بصيغة الاستفهام الإنكاري، فيقول سبحانه:(أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا)كامل الإيمان، مؤمنا بالله ومصدّقا بوعده ووعيده، مطيعا له في أمره ونهيه، واقفا عند حدوده، (كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ)وهو الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده، المخالف لأمر الله ونهيه.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والفاسق هنا هو: مَن ليس بمؤمن بقرينة قوله بعده ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ السجدة: ٢٠) فالمراد: الفسق عن الإيمان الذي هو الشرك وهو إطلاق كثير في القرآن"[١].

و قوله سبحانه:(لَّا يَسْتَوُونَ)أي: كلا لا يستوون عند الله ولا يعتدل الكفَّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة.

قال قتادة: لا والله ما استووا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة[٢].

قال الطبري:"وقال:(لَّا يَسْتَوُونَ)فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا وفاسقا؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا، وبالفاسق: فاسقا واحدا، وإنما أريد به جميع الفسَّاق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت لهما العرب مذهب الجمع"[٣].

(١) التحرير والتنوير ٢٣١/١٠.

(٢) جامع البيان ١٢٣/٢١.

(٣) جامع البيان ١٢٣/٢١.

و التصريح بنفي المساواة بينهما مع إفادة الاستفهام الإنكاري له بالمرة على أبلغ وجـــه وآكده لزيادة التأكيد[١].

وقيل: إن الآيات نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبـــة بـــن أبي معيط أخي عثمان رضي الله عنه لأمه، وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء، فقـــال الوليد بن عقبة لعلي: اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لسانًا، وأحدّ منـــك ســـنانًا، وأشجع منك جنانًا، وأملا منك حشوًا في الكتيبة. فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله تعالى: (**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ**)[٢].

و قيل: أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل، قاله شريك[٣].

أثر التشبيه:

هذا أسلوب تشبيه يقصد منه نفي المشابهة بين الطرفين، وليس القصد به إلحاق نـــاقص بكامل في صفة معينة، وقد جاء بصيغة الاستفهام المراد من الإنكار، ويطلق الـــبعض عليـــه التشابه بدلا من التشبيه، للتفريق بينه وبين التشبيه، ولاستواء الطرفين في الصفة المشتركة.

و هو تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه؛ ليعم كل اختلاف بينهما.

و قد أشار قتادة إلى ذلك بقوله السابق:"لا والله ما استووا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة"[٤].

و هذا الفرق قد أثبتته آيات كثيرة في القرآن، منها الآيات التي تلت هذه الآية، وهي قوله تعـــالى: ﴿ **أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾** ﴾ السجدة: ١٩ - ٢٠، وهذه الآية تبين الفرق في الجزاء في الآخرة.

---

(١) روح المعاني ١٣٣/٢١.

(٢) معالم التنزيل ٣٠٧/٦.

(٣) زاد المسير ٣٤١/٦.

(٤) جامع البيان ١٢٣/٢١.

أما في الدنيا وعند الموت فقد أثبتته آيات أخرى، منها قوله سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الجاثية: ٢١

و قوله سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧

و قوله جل وعز: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤

و قد أثبته أيضا الواقع؛ فالواقع يشهد على الفرق الواسع والطمأنينة الكبيرة التي يجدها المؤمن الصادق في إيمانه في قلبه حتى وإن كان خليا عن متع الدنيا وزهرتها، وأن الفاسق يعيش في حياة الضنك والقلق حتى وإن كان مليئا من متع الدنيا وزخرفها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإيمان الكامل واليقين الصادق وأن يثبتنا عليهما حتى نلقاه.

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾ الأحزاب: ٦

أركان التشبيه:

المشبه: أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: أمهات المؤمنين.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ لا تذكر فيه الأداة.

وجه الشبه: الحرمة والمنزلة الرفيعة.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا عن المكانة الرفيعة للنبي صلى الله عليه وسلم، والتي يجب أن تكون بين المؤمنين، فيخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو يحتمل معنيين:

الأول: أنه عليه الصلاة والسلام أرحم بهم من أنفسهم، وأشد حرصا عليهم، كما قال جل وعلا:(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)(١).

الثاني: أنه أحقُّ، فله أن يحكُم فيهم بما يشاء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إِذا دعاهم إِلى شيء، ودعتْهم أنفسهم إِلى شيء، كانت طاعتُه أولى من طاعة أنفُسهم(٢).

قال الزمخشري:(النبى أولى بالمؤمنين) في كل شيء من أمور الدين والدنيا (مّنْ أَنفُسِهِمْ) ولهذا أطلق و لم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم

(١) الكشاف ٣١١/٥.

(٢) زاد المسير ١٢٢/٥.

عليها، وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاءه إذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه، لأنّ كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه، فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار[1].

وتبعا لمكانة النبي صلى الله عليه وسلم، مكانة أزواجه رضي الله عنهن، فهن في تحريم نكاحهنَّ على التأبيد، ووجوب إِجلالهنَّ وتعظيمهنَّ بالنسبة للمؤمنين كالأمهات؛ ولا تجري عليهنَّ أحكام الأُمَّهات في كل شيء، إِذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتِهنَّ، ولَورِثْنَ المسلمين، وورثهن المسلمون، ولجازت الخَلوة بهنَّ، وهن مع ذلك يجب عليهن الاحتجاب من المؤمنين امتثالا لقوله تعالى:(وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي في المختصر، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم"[2].

ويقتصر الحكم في الآية بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي تزوجهنّ بنكاح فلا يدخل في ذلك ملك اليمين ... ويشترط أيضا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بنى بالمرأة، فأما التي طلقها قبل البناء فلا تعتبر من أمهات المؤمنين[3].

ثم يخبر جل وعلا أن أولوا الأرحام والقرابة أولى بقراباتهم من أُخَوَّةِ الإيمان والهجرة في الميراث، وفي هذه الآية نسخ للتوارث القديم بين المؤمنين الذي كان مبنيا على الأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم فيها بين المهاجرين والأنصار أول قدومه المدينة.

فالمراد بأولي الأرحام: الإخوة الحقيقيون، وعبر عنهم بأولي الأرحام لأن الشقيق مقدم على الأخ للأب في الميراث وهم الغالب[4]. ولم تبين الآية أنصبتهم في الميراث، فهو

---

(١) الكشاف ٣١١/٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٩٥٧/٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٦٩/٢١.

(٤) التحرير والتنوير ٢٧٠/٢١.

حكم مجمل جاء تفصيله في آيات أخرى، وفي بعض نصوص من السنة النبوية المشرفة.

وقوله:{إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا} معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفا من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كلّ ذلك من المعروف الذي قد حثّ الله عليه عباده[١].

وقوله:{ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا } أي: هذا الحكم، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل، ولا يغير ... وإن كان قد يقال: قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي، وقضائه القدري الشرعي[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

والغرض منه بيان مكانة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

والتشبيه هنا يتعلق بهن رضي الله عنهن، ولا يتعدى إلى غيرهن من أبنائهن أو بناتهن، فلو كن أمهات على الحقيقة، لكان بناتهن أخوات للمؤمنين، وبالتالي يحرم الزواج بهن على المسلمين، وهذا لا يمكن قوله، فالنبي عليه الصلاة والسلام قد تولى بنفسه تزويج بناته من عثمان ذي النورين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وغيرهما.

ولما كانت الأم الحقيقية مكان الاحترام والتقدير والتبجيل والتعظيم، وخفض الجناح، وحسن العبارة ولين القول، كان هذا متعين على المؤمنين في تعاملهن مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تعظيما لجنابه الشريف، ومكانته الرفيعة.

ولما كان هذا الاحترام للأمهات نابع من القلب وصادر من الطبيعة والفطرة التي خلق الله عليها الناس، فإنه يجب على المؤمنين أن يتخلقوا بذلك حتى يصدر عنهم بالطبيعة دون كلفة أو عناء.

---

(١) جامع البيان ١٤٢/٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٩٥٩/٦.

وأيضا لما كان الناس يغضبون لأمهاتهم على الحقيقة عند الانتقاص أو الطعن فيهن، فيجب على المؤمنين الغضب والحمية لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، فإنهن بمنزلة الأمهات.

ومن هنا يعلم خطأ من انتقص أيا من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أو طعن في عفتهن وشرفهن، ومن طعن في عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فهو كافر بإجماع العلماء؛ لأنه يعتبر مكذبا بالقرآن، ومن طعن في غيرها من أمهات المؤمنين فهو كافر على أصح أقوال العلماء، لأن الوقيعة فيهن انتقاص ومسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم أن من سب المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنقص من حقه فقد كفر وخرج من الملة[1].

فالواجب على كل مسلم تعظيم أمهات المؤمنين، وزوجات سيد المرسلين والذب عنهن.

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية ٤٢٣-٤٢٥.

قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ الأحزاب: ١٩

أركان التشبيه:

المشبه: نظر المثبطين والمعوقين عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء الخوف.

المشبه به: نظر المغشي عليه من الموت.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: دوران الأعين.

تفسير الآية:

هذه الآية إكمال لأوصاف المعوقين الذين ذكرهم الله تعالى في الآية التي قبلها، فمن أوصافهم:

أولا: أشحة عليكم.

قال الطبري:"اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به هؤلاء المنافقين في هذا الموضع من الشح، فقال بعضهم: وصفهم بالشحّ عليهم في الغنيمة...قال قتادة(**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ**) في الغنيمة.

وقال آخرون: بل وصفهم بالشحّ عليهم بالخير...عن مجاهد(**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ**)قال: بالخير...

وقال غيره: معناه: أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم"(١).

و زاد بعضهم: بالقتال معكم(٢).

وهو بمعنى قول الإمام ابن عطية رحمه الله:"وهذا الشح قيل هو بأنفسهم، يشحون على

(١) جامع البيان ١٥٨/٢١.

(٢) النكت والعيون ٣٦٥/٣.

المؤمنين بها"[١].

قال الطبري:"والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشحّ، ولم يخصص وصفهم من معاني الشحّ بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين"[٢].

ونصب قوله:(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله:﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾الأحزاب: ١٨ كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة[٣].

وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله:(قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ)فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس على القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة، ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله: هلم إلينا أشحة، وهم هكذا أشحة. ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين لما في أنفسهم لهم من العداوة والضغن[٤].

ثانيا: وصفهم سبحانه بقوله:(فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ)، والمقصود: فإذا حضر البأس، وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لواذا بك، تدور أعينهم خوفا من القتل، وفرارا منه.

(كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ)يقول: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به[٥].

قال البغوي رحمه الله:"وذلك أن من قرب من الموت غشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف"[٦].

(١) المحرر الوجيز ٥٩/١٣.
(٢) جامع البيان ١٥٨/٢١-١٥٩. وانظر أيضا المحرر الوجيز ٥٩/١٣.
(٣) جامع البيان ١٥٩/٢١.
(٤) جامع البيان ١٥٩/٢١.
(٥) جامع البيان ١٥٩/٢١.
(٦) معالم التنزيل ٣٣٥/٦.

و حكى الماوردي في سبب خوفهم قولاً آخراً وهو: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب[١].

و قال ابن عطية رحمه الله:"وقالت فرقة معنى قوله تعالى:(فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ)، أي إذا كان المؤمنون في قوة وظهور وخشي هؤلاء المنافقون سطوتك يا محمد بهم رأيتهم يصانعون وينظرون إليك نظر فازع منك خائف هلع"[٢].

ثالثا: وصفهم سبحانه بقوله:(فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ)، أي: فإذا كان الأمن، وذلك بانقطاع الحرب، أو بانشغالك يا رسولنا ونبينا عنهم بعدو أو غيره، (سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ): واختلف في معنى السلق:

فقيل:إن ذلك يكون بأذى المؤمنين وسبهم وتنقص الشرع ونحو هذا.

وقال قتادة: ذلك في طلب العطاء من الغنيمة والإلحاح في المسألة.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وهذان القولان يترتبان مع كل واحد من التأويلين المتقدمين في الخوف"[٣].

و قيل: السلق هو في مخادعة المؤمنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة والمجاملة.

قال يزيد بن رومان:"(فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ)في القول بما تحبون لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده"[٤].

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال:(سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ)فأخبر أن سلقهم المسلمين شحا منهم على الغنيمة والخير، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أن ذلك لطلب الغنيمة. وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل في ذلك قول من قال: معنى ذلك: سلقوكم بالأذى، لأن فعلهم ذلك كذلك لا شكّ أنه للمؤمنين أذى"[٥].

---

(١) النكت والعيون ٣/٣٦٥.

(٢) المحرر الوجيز ١٣/٥٩.

(٣) المحرر الوجيز ١٣/٥٩.

(٤) جامع البيان ٢١/١٦٠

(٥) جامع البيان ٢١/١٦٠.

و قوله سبحانه: (أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ): أي خاطبوكم وهُم أشحَّة على المال والغنيمة(١).

ونصب (أَشِحَّةً)على الحال(٢).

و قال ابن كثير رحمه الله:"وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جَمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير"(٣).

و قوله سبحانه:(أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا)

قال الإمام الطبري رحمه الله:"يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات لم يصدّقوا الله ورسوله. ولكنهم أهل كفر ونفاق،(فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ) يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها...وقوله:(وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا) يقول تعالى ذكره: وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا"(٤).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه.

و الجامع بين طرفي التشبيه دوران الأعين، وهو في المشبه به يدل على حالة الشدة، وألم النزع التي يمر بها المغشي عليه من الموت.

وأما في المشبه فهو دلالة على الخوف الشديد، والرعب الذي تبلغ به القلوب الحناجر، حتى لا يكاد تستقر نفوسهم، ويسكن روعهم. مما يؤدي إلى أن تدور العين بحركة دائبة مستمرة وسريعة، ترقب كل جهة يتوقع أن يأتي منها المكروه، حتى إنها لا تطرف لأن من قرب من الموت وغشيته أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف.

ويدل على هذه الحركة الدائبة المستمرة للعين، مجيء الفعل (يَنظُرُونَ) بصيغة المضارع

---

(١) زاد المسير ٣٦٦/٦.

(٢) الكشاف ٣١٧/٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٧٩٣/٦.

(٤) جامع البيان ١٦٠/٢١.

الدالة على التجدد والاستمرار[١].

قال ابن عاشور رحمه الله:"وجملة (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ)حال من ضمير (يَنظُرُونَ) لتصوير هيئة نظرهم نظر الخائف المذعور الذي يحدّق بعينيه إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها"[٢].

و قال فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله:"(كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)وهو المحتضر يُغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت وهذا تصوير هائل لمدى ما عليه المنافقون من الجبن والخوف وعلة هذا هو الكفر وعدم الإيمان بالقدر والبعث والجزاء"[٣].

و لما كان هذا الوصف يدل على الخوف الشديد والترقب فإنه لا يتوقع ممن يتصف به أن يكون في مقدمة الصفوف في القتال بل يكون في المؤخرة، متواريا بمن يكون أمامه من المقاتلين، أو مختبئا، ولذلك جاءت الدلالة عليه بحرف الغاية(إلى) في قوله سبحانه:(يَنظُرُونَ إِلَيْكَ).

قال البقاعي رحمه الله:"وبين بعدهم حساً ومعنى بحرف الغاية فقال: (إِلَيْكَ)"[٤].

(١) التحرير والتنوير ٢٩٧/١٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩٧/١٠.

(٣) أيسر التفاسير ٢٧٩/٣.

(٤) نظم الدرر ٤١٠/٦.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ الأحزاب: ٣٢ – ٣٣

في هاتين الآيتين تشبيهان، أما الأول فتحليله:

المشبه: نساء النبي صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: عموم نساء هذه الأمة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: المكانة والمنزلة، وبعض الأحكام الشرعية.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: التبرج الذي نهي عنه نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ونساء الأمة داخلات فيه.

المشبه به: تبرج الجاهلية الأولى

أداة التشبيه: محذوفة، فهو تشبيه بليغ.

وجه الشبه: التبرج والسفور وإبداء الزينة.

تفسير الآية:

ينادي الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم نداء تشريف وتعظيم، لما منحهن من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في لحفهن فيقول: (لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ)، أي عموم نساء هذه الأمة، وسبب ذلك أهن اتصَلْنَ بالنبي عليه الصلاة والسلام اتصالاً أقرب من كل اتصال، وصرن أنيساته، ملازمات شؤونه فيختصصن باطلاع ما لم يطلع عليه غيرُهن من أحواله، وخلقه في المنشط والمكره، ويتخلقن بخلقه أكثر مما يقتبس منه غيرهن، ولأن إقباله عليهن إقبالٌ خاص.

(إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ): يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون متعلقاً بما قبله على معنى لستن كأحد

إن اتقيتن فإن الأكرم عند الله هو الأتقى.

وثانيهما: أن يكون متعلقاً بما بعده على معنى إن اتقيتن فلا تخضعن[١].

قال ابن عاشور رحمه الله:"والأحسن أن يكون الوقف على (إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ)، وقوله: (فَلَا تَخْضَعْنَ) ابتداء تفريع وليس هو جواب الشرط"[٢].

فيكون قوله تعالى:(إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ) ليس لقصد الاحتراز عن ضد ذلك، وإنما هو إلْهاب وتحريض على الازدياد من التقوى[٣]، والمعنى: إن داومتن على التقوى؛ لأنهن رضي الله عنهن متقيات؛ فأمرهن للدوام على ذلك والتمسك به.

فلما أمرهن الله تعالى بالتقوى أمرا عاما ذكر بعد ذلك بعض صور التقوى لأهميتها، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك[٤]، فقال:(فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ) أي فلا تلن في القول، وتتكسرن في الكلام خضوعا، وقد يكون الخضوع في القول في نفس الألفاظ ورخامتها، وإن لم يكن المعنى مريباً[٥].

قال ابن زيد: خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال[٦].

(فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ) أي: ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه؛ إما شاك في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش[٧].

قال الإمام الطاهر رحمه الله:"والمرض: حقيقته اختلال نظام المزاج البدني من ضعف القوة، وهو هنا مستعار لاختلال الوازع الديني مثل المنافقين ومن كان في أول الإيمان من الأَعراب ممن لم ترسخ فيه أخلاق الإسلام، وكذلك من تخلّقوا بسوء الظن فيرمون المحصنات

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٥/٢٠٩.

(٢) التحرير والتنوير ١١/٨.

(٣) التحرير والتنوير ١١/٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٨٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ١٣/٧٠.

(٦) جامع البيان ٢٢/٧.

(٧) جامع البيان ٢٢/٧.

الغافلات المؤمنات، وقضية إفك المنافقين على عائشة رضي الله عنها شاهد لذلك[١].

ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هــذا بقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بِلَيِّنٍ خاضع.

قال ابن زيد: قولا جميلا حسنا معروفا في الخير[٢].

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أمرهن سبحانه بالقرار في البيوت وأن يلزمنها، ولا يخرجن منها إلا للضرورة، وهذا أمر خُصِّصْنَ به توقيراً لهن، وتقوية في حرمتهن[٣].

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ ثم نهاهن الله تعالى أن يتبرجن تبرجا كتبرج الجاهلية الأولى.

و المقصود بتبرج الجاهلية الأولى كما قال قتادة: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهاهن الله عن ذلك[٤].

وقال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية[٥].

وقال مقاتل: والتبرج: أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها[٦].

والجاهلية الأولى: قيل: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

وقيل: ما بين آدم ونوح.

وقيل: ما بين نوح وإدريس.

قال ابن عطية رحمه الله:"والذي يظهر عندي أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقنها، فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة؛ لأنهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجبة، وجعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أن ثم

---

(١) التحرير والتنوير ٩/١١.

(٢) جامع البيان ٧/٢٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٠/١١.

(٤) جامع البيان ٨/٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٨٠٥/٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٢٨٠٦/٦.

جاهلية أخرى[١].

ثم أمرهن الله تعالى بإقام الصلاة؛ لأنها رأس العبادات البدنية، وإيتاء الزكاة؛ لأنها رأس العبادات المالية، ومن اعتنى بهما حق اعتنائه جرّتاه إلى ما وراءهما.

ثم أمرهن أمرا عاما بطاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وعلل بأنه ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فقال:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

و الرجس: اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت[٢].

وهذه الآية نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا[٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة[٤].

وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم[٥].

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله:"وأهل البيت: أزواج النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب موجه إليهن وكذلك ما قبله وما بعده لا يخالط أحداً شك في ذلك، ولم يفهم منها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون إلا أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام هن المراد بذلك وأن النزول في شأنهنّ... وفي صحيح مسلم عن عائشة: خرج رسول الله غداةً وعليه مرط مرحَّل فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٦]...فمَحمله أن النبي صلى الله عليه وسلم ألحق أهل الكساء بحكم هذه الآية

---

(١) المحرر الوجيز ٧٢/١٣.

(٢) المحرر الوجيز ٧٢/١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٨٠٦/٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٨٠٦/٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٨٠٦/٦.

(٦) صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما برقم (٢٤٢٤)

وجعلهم أهلَ بيته...وبهذا يتضح أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم هن آل بيته بصريح الآية، وأن فاطمة وابنيْها وزوجها مجعولون أهل بيته بدعائه أو بتأويل الآية على محاملها. ولذلك هُمْ أهل بيته بدليل السنة[1].

أثر التشبيه:

التشبيه الأول تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و هو تشبيه منفي، لنفي أن يكون نساء النبي صلى الله عليه وسلم كنساء عموم الأمة، وهذا أمر معلوم بالشرع والعقل.

فمن الشرع أن جعل الله تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم الضعف من العذاب والثواب كما قال سبحانه:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٠-٣١)

ومن العقل أنهن رضي الله عنهن لما كن نساء أفضل البشر شرعا وقدرا، فلابد أن يكن هن أفضل النساء، وكون القرآن الكريم ينزل في هذه بيوتهن وهن يشاهدن التنزيل ويعاشرن الرسول الكريم، فلا شك أن من كانت كذلك فهي أفضل النساء تقوى وإيمانا.

أما التشبيه الثاني فهو تشبيه بليغ؛ حذفت أداته ووجهه.

و التشبيه البليغ فيه زيادة تأكيد على دخول المشبه في المشبه به حتى كأنهما شيء واحد، وفي هذا دلالة على أن أي امرأة تتبرج، وفي أي زمن كان فهو من أفعال الجاهلية وأخلاقها، وإن كان في عصور العلم والتطور.

و الملاحظ أن أفعال التبرج على تباعد الأزمان، واختلاف الناس فهي واحدة، الإبداء للزينة في الوجه واللباس، والتكسر والتغنج في المشي والكلام، لا تكاد تختلف، وبالتالي فإن أضرارها وآثارها واحدة، وهي افتتان الرجال بالنساء، ونشر الفاحشة، ولعل هذا يظهر لنا

(٢٤٢٤)

(١) التحرير والتنوير ١١/١٥-١٦.

الحكمة من كون التشبيه بليغا.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٩

أركان التشبيه:

المشبه: الذين آمنوا.

المشبه به: اليهود الذين آذوا موسى.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإيذاء سواء بالقول أو الفعل.

تفسير الآية:

ينهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم، عن إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بكل قول أو فعل، أو غير ذلك مما يعمه لفظ الإيذاء، ونهاهم عن أن يتشبهوا بمن قبلهم من اليهود الذين آذوا نبي الله موسى عليه السلام.

و اختلف في الأذى الذي أوذي به موسى عليه السلام:

فقيل: قولهم: بأن به عيب في جسده من أدرة أو برص أو نحو ذلك، ويدل لهذا الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن موسى كان رجلا حييًا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص أو أدرة وإما آفة، وإن لله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا"فذلك قوله عز وجل:"(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا)"(١).

و قيل: بل هو ادعاؤهم عليه قتل أخيه هارون.

روى الطبري رحمه الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله(لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ)الآية، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حبًّا لنا منك وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم؛ فجعله الله أصم أبكم(٢).

وقيل: إن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملإ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك، وأهلك قارون. قاله أبو العالية(٣).

و رجح جمع من المفسرين أنه لا قول أولى من قول، بل يحتمل أن يكون الكل مرادا، ومحتمل أن يكون معه غيره(٤).

(فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ): أي أظهر براءته سبحانه مما نسب إليه من العيب والنقص عيانا، لأنه عليه السلام برئ قبل أن يقولوا قولتهم المؤذية(٥).

و هذه الجملة: (فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ)فيها إشارة إلى ترجيح أن المراد بالعيب الذي أوذي به موسى عليه السلام هو ما كان بحاجة إلى تبرئة فيدخل فيه رميه بالأدرة والبرص، وقتل هارون عليه السلام، والمرأة المومسة، ونحو ذلك، وأما ما كان لا يحتاج إلى تبرئة كقوله سبحانه عنهم: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب٢٨ برقم(٣٤٠٤)، وصحيح مسلم كتاب الحيض، باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة برقم(٣٣٩)

(٢) جامع البيان ٦٣/٢٢، والدر المنثور ٦٦٦/٦، وقوى الحافظ ابن حجر سنده في الفتح ٨ / ٦٧٩.

(٣) معالم التنزيل ٣٧٩/٦، وزاد المسير ٤٢٦/٦، والدر المنثور٤٤١/٦،

(٤) جامع البيان ٦٣/٢٢، وتفسير القرآن العظيم ٢٨٦٥/٦.

(٥) التحرير والتنوير ١٢١/١١.

﴿فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ المائدة: ٢٤ ونحو ذلك، فهو وإن كان مما أوذي به نبي الله موسى عليه السلام، إلا أن جملة (فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ)تدل على أنه غير مراد في الآية لأن هذا مما لا يحتاج فيه إلى تبرئة، وإنما إلى إعانة ونصرة، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

و قيل إن سبب النهي في الآية هو ما وقع فيه بعض الصحابة رضي الله عنهم من القول في زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمنا زينب بنت جحش رضي الله عنها(١).

وقيل: في شأن الإفك أو في الطعن في قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم للغنائم (٢)،

قوله سبحانه:(وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا): أي ذا وجاهة وقدر رفيع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه(٣).

وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة(٤).

وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة عند الله، أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤاله(٥).

و لا شك أن هذا كله من الوجاهة ورفعة القدر.

و هذه الجملة: (وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا)كالتعليل للتبرئة لأنه لا يبرئ الشخص إلا من كان وجيهاً عنده، ولله سبحانه وتعالى المثل الأعلى والأكرم(٦).

وقد دلت الآية على وجوب توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتجنب ما يؤذيه.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه.

قال ابن عاشور رحمه الله:"واعلم أن محل التشبيه هو قوله: (كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ) دون ما

---

(١) الكشاف ٣٦٥/٥.

(٢) البحر المحيط ٢٥٢/٧

(٣) معالم التنزيل ٣٧٨/٦.

(٤) معالم التنزيل ٣٧٨/٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٨٦٥/٦.

(٦) نظم الدرر ٤٥٩/٦، والتحرير والتنوير ١٢١/١١.

فرع عليه من قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ﴾ وإنما ذلك إدماج وانتهاز للمقام بذكر براءة موسى مما قالوا، ولا اتصال له بوجه التشبيه؛ لأن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يُوذَ إيـــذاء يقتضـــي ظهور براءته مما أوذي به"(١).

ووصف المشبه به بالإيذاء دليل على إيغالهم في هذه الصفة، وكثرة صدور ذلك منهم، حتى صار وصفا ملازما لهم يُشَبَّهُ به، والقاعدة الجارية في التشبيه، أن وجه الشبه ينبغـــي أن يكون في المشبه به أظهر وأوضح من المشبه، وآيات القرآن الكريم التي ذكرت قصة موســـى عليه السلام مع قومه تبين من ذلك شيئا كثيرا لا يخفى على من قرأها.

و أما عن وجود وجه الشبه في المشبه، فهو في بعض الحالات التي لم يكن فيها مراعـــاة الجانب الأكمل في الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، التي سبقت الإشارة إلى بعضها في تفسير الآية، وقد كان ذلك يؤذيه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن عاشور رحمه الله:"وقد عرضَت فلتاتٌ من بعض أصحابه الذين لم يبلغوا قبلـــها كمال التخلق بالقرآن"(٢).

و الغرض من التشبيه هو تشويه المشبه لأنه قد استقر في حكم العقل والنفس قبح الإيذاء، وبغض المؤذي، والنفرة منه، وقد بينت آيات القرآن ما أوذي به موسى عليه السلام فاستقر قبح ذلك أكثر في نفوس الصحابة رضي الله عنهم.

قال ابن عاشور:"وفائدة التشبيه تشويه الحالة المشبَّهة لأن المؤمنين قد تقرر في نفوســـهم قبْح ما أوذي به موسى عليه السلام بما سبق من القرآن"(٣).

و لم يبين الله سبحانه وتعالى الإيذاء الذي أوذي به موسى عليه السلام، ليعم كل وجه للإيذاء بالقول أو الفعل أو الإشارة والإيماء، وفيه إشارة إلى تحذير المؤمنين من اتباع ســـبيل المفسدين، وتقليدهم فيما هو من خصائصهم وصفاهم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٠/١١.

(٢) التحرير والتنوير ١٢٠/١١.

(٣) التحرير والتنوير ١١٩/١١.

قال تعالى: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ سبأ: ١٣

أركان التشبيه:

المشبه: الجفان.

المشبه به: الجوابي.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: العظم والضخامة.

تفسير الآية:

يخبر تعال عن نعمته العظيمة التي أعطاها لسليمان عليه السلام وهي تسخير الجن له للعمل بين يديه بما يشاء، فهم يعملون لسليمان عليه السلام ما يشاء من:

المحاريب: وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى(١).

وغلب عرف الاستعمال في موضع وقوف الإمام لشرفه(٢).

والتماثيل: وهي ما يصور من النحاس والزجاج وشبههما على صورة الملائكة والنبيين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادهم(٣).

أو صورة الحيوانات من عقبان ونسور وطواويس وأسود وغيرها(٤).

والجفان: وهي القصاع التي يجتمع عليها للأكل منها(٥)فيعملون له منها ما يكون كالجوابي، وهي: الحياض التي يجمع فيها الماء.

---

(١) جامع البيان ٨٤/٢١.

(٢) الوجيز ١١٦/١٣.

(٣) الكشاف ٣٦٦/٥.

(٤) زاد المسير ١٥٧/٥.

(٥) زاد المسير ١٥٧/٥.

قيل: أنها كحياض الإبل من عظمها. قاله الضحاك[١].

وقيل: كالجوبة من الأرض وهي الحفرة التي يستنقع فيها الماء. قاله قتادة[٢].

القدور الراسيات: قال قتادة : عظام ثابتات لا يزلن عن أمكنتهن[٣].

وقال ابن زيد: مثال الجبال من عِظمها، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم، لا تحرك ولا تنقل[٤].

فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها فقال: { اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ } وهم داود، وأولاده، وأهله، لأن المنة على الجميع، وكثير من هذه المصالح عائد لكلهم. { شُكْرًا } للّه على ما أعطاهم، ومقابلة لما أولاهم. { وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } فأكثرهم، لم يشكروا اللّه تعالى على ما أولاهم من نعمه، ودفع عنهم من النقم.

قال الطبري رحمه الله:"وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه"[٥].

وفيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية[٦].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ حيث ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

والغرض منه بيان النعمة التي أعطاها الله تعالى لسليمان عليه السلام حيث كان الجن يعملون له هذه القصاع على هذا المقدار من العظمة لتسع العدد الكثير.

وفي التشبيه ثناء على سليمان عليه السلام بصفة الكرم العظيم، حيث كانت قدوره كبيرة وجفانه عظيمة، و لم تكن القدور إلا للطبخ، ولا الجفان إلا لوضع الطعام عليها.

---

(١) جامع البيان ٨٧/٢١.

(٢) جامع البيان ٨٦/٢١.

(٣) جامع البيان ٨٧/٢١.

(٤) جامع البيان ٨٧/٢١.

(٥) جامع البيان ٨٧/٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣١٥٧/٦.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾ سبأ: ٥٤

أركان التشبيه:

المشبه: الحيلولة بين كفار قريش وبين ما يشتهون من الإيمان والتوبة والرد إلى الدنيا.

المشبه به: الحيلولة بين الأمم السابقة المشابهة لقريش في الكفر، والتكذيب بالرسل، وبين الإمهال والتأخير حين نزل بهم عذاب الله.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الحيلولة والمنع

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى عن أنه قد حال بين المشركين، وذلك بأخذهم بالعذاب في الدنيا، أو زجهم في النار يوم القيامة، وبين ما يشتهون من الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم والرد إلى الدنيا للتوبة والإنابة.

قال الحسن: حيل بينهم وبين الإيمان بالله[١].

وقال مجاهد: الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا[٢].

و قال قتادة: كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا[٣].

و قيل: حيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا[٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"والصحيح: أنه لا منافاة بين القولين؛ فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه"[٥].

---

(١) جامع البيان ١٣٣/٢٢.

(٢) جامع البيان ١٣٤/٢٢.

(٣) جامع البيان ١٣٤/٢٢.

(٤) جامع البيان ١٣٤/٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٩٠١/٦.

وقال:"بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا"[١].

قوله سبحانه:(كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ) أي أشباههم من الأمم السابقة فلم يمهلهم الله تعالى عند نزول العذاب، ولم يقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، بل أخذهم بقوته أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾غافر: ٨٤ - ٨٥

وقوله:(مِّن قَبْلُ)، أي كما فعل بأمثالهم في الدنيا من قبل، وأما يوم الحشر فإنما يحال بينهم وبين ما يشتهون وكذلك أشياعهم في وقت واحد.

وقوله:(إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ) أي: سبب الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون، أنهم كانوا في الدنيا في شك وريب من هذا اليوم وما فيه من جزاء وحساب.

وإذا كان الشك مفضياً إلى تلك العقوبة فاليقين أولى بذلك، ومآل الشك واليقين بالانتفاء واحد إذ ترتب عليهما عدم الإيمان به وعدم النظر في دليله.

والمريب: المُوقع في الريب، ووصفُ الشك به يفيد المبالغة[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه.

وفائدة هذا التشبيه تذكير الأحياء من مشركي أهل مكة وغيرهم بما حل بالأمم من قبلهم لِيُوقنوا أن سنة الله واحدة وأنهم لا تنفعهم أصنامهم التي زعموها شفعاء عند الله[٣].

و في جعل الحيلولة بين الأمم السابقة وبين ما يشتهون مشبها دلالة على بلوغ أخذ الله تعالى لهم أقصى درجات الأخذ حيث صار أصلا يشبه به، وهو يدل على بلوغهم الغاية في التكذيب والكفر.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٩٠٢/٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٤٦/١١.

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٥/١١.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ فاطر: ٩

أركان التشبيه:

المشبه: نشور العباد وبعثهم من قبورهم.

المشبه به: إحياء البلد الميت.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الحياة بعد الموت.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى عن عظمته وقدرته، بأنه هو الذي أرسل الرياح وبعثها، لتثير قطع السحاب وتجمع بعضها إلى بعض حتى تتكون منه القطع العظيمة المحملة بالماء، وجاء لفظ الإرسال في الآية بصيغة الماضي لوجوب وقوعه وسرعة كونه، ولأنه سبحانه فرغ من كل شيء، فهو قدر الإرسال في الأوقات المعلومة وإلى المواضع المعينة[١].

ثم أخبر جل وعلا أنه يسوق السحاب بواسطة الرياح إلى البلد الميت الممحل الذي لا حياة فيه من نبات ولا زرع، ثم بعد ذلك ينزل الله تعالى المطر على هذا البلد الميت فيحييه بعد موته، بإنبات النبات وإخراج الزروع والثمرات حتى يكون صالحا لحياة الناس وانتفاعهم به.

قال ابن عطية رحمه الله:"و البلد الميت: هو الذي لا نبت فيه، قد اغبر من القحط فإذا أصابه الماء من السحاب اخضر وأنبت فتلك حياته"[٢].

وقوله سبحانه:(فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)أي: أحيينا بالمطر الأرض بإنبات ما ينبت فيها، وإن لم يتقدّم ذكر المطر، فالسحاب يدل عليه، أو أحيينا بالسحاب، لأنه سبب المطر[٣].

قال الألوسي:"وقال سبحانه: فأحيينا به الأرض دون فأحييناه أي البلد الميت به تعليقاً

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ١٥٨/١٣.

(٣) فتح القدير ٤٤٩/٤.

للإحياء بالجنس المعلوم عند كل أحد وهو الأرض ولأن ذلك أوفق بأمر البعث"[١].

وإيراد الفعلين (فسقناه وفأحيينا) بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق، وإسنادهما إلى نون العظمة المنبيء عن الاختصاص به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع، ولتكميل المماثلة بين إحياء الأرض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية"[٢].

و بعد أن قرر الله تعالى هذه الصورة الدالة على عظمته وقدرته، مما يشاهدونه ويبصرونه، بل ويترقبونه وينتظرونه، استدل بذلك على قدرته على إحياء الموتى، وبعثهم من قبورهم فقال سبحانه:﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ أي إحياء الموتى من قبورهم.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته، و لم يذكر وجهه.

و يتطابق وجه الشبه في هذا التشبيه من عدة جهات، أشار إليها الإمام الرازي رحمه الله بقوله:"المسألة الثالثة: ما وجه التشبيه بقوله:﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة.

وثانيها: كما أن الريح يجمع القطع السحابية كذلك يجمع بين أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء.

وثالثها: كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت"[٣].

و كل هذه أوجه صالحة للتشبيه، ولا تعارض بينها فأعضاء الموتى تقبل الحياة اللائقة بها، ويجمع بين أعضاء الميت ليتركب خلقه، ويسوق الله له الروح والحياة.

و قيل إن التشبيه واقع في الكيفية، فكما أنه سبحانه يرسل الرياح، ثم تجمع السحاب، ثم تأتي إلى الأرض التي قد ماتت ليحييها، ثم تحيا بأمره بعد ذلك؛ فبمثل هذه الكيفية يكون

---

(١) روح المعاني ١٧٢/٢٢.

(٢) روح المعاني ١٧٢/٢٢.

(٣) مفاتيح الغيب ٧/٢٦.

البعث والنشور.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والأظهر أن تكون الإشارة إلى مجموع الحالة المصورة، أي مثل ذلك الصنع المحكم المتقن نصنع صنعاً يكون به النشور بأن يهيّيء الله حوادث سماوية أو أرضية أو مجموعة منهما حتى إذا استقامت آثارها وتهيأت أجسام لقبول أرواحها أمر الله بالنفخة الأولى والثانية فإذا الأجساد قائمة ماثلة نظير أمرِ الله بنفخ الأرواح في الأجنة عند استكمال تهيئها لقبول الأرواح"[1].

و بما أن الله تعالى لم يحدد وجه الشبه فكل وجه ناسب ذلك مما يوافق سياق الآية، ويحتمله المعنى، فهو وجه صحيح، خاصة أن أغلب أوجه الشبه في القرآن الكريم مجملة؛ ليتسع المجال للنظر والتدبر.

و في التصريح بالموت للأرض في قوله تعالى:(فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ) مع أن لفظ الإحياء مشعر بذلك، وهو أمر معلوم عند المخاطبين ومشاهد لهم، دلالة على قوة التشبيه[2].

و قال الإمام ابن كثير رحمه الله:"كثيرا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها -كما في أول سورة الحج- ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها، ﴿ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾ الحج: ٥، كذلك الأجساد، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرا يعم الأرض جميعًا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض؛ ولهذا جاء في الصحيح:"كل ابن آدم يبلى إلا عَجْب الذَّنَب، منه خلق ومنه يركب"؛ ولهذا قال تعالى:(كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ)"[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١١/٢٦٨-٢٦٩.

(٢) روح المعاني ٢٢/١٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٩٠٦.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨

أركان التشبيه:

المشبه: اختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام.

المشبه به: اختلاف ألوان الثمرات، والجبال.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: اختلاف الألوان للدلالة على عظمة الله وقدرته.

تفسير الآية:

هذه الآية معطوفة على ما قبلها، فلما ذكر الله تعالى إنزال الماء، وإخراج الثمرات من الأرض مختلفة الألوان، ثم ذكر خلقه للجبال، وما فيها من طرق وخطط مختلفة الألوان كذلك، ما بين بيض، وحمر، وغرابيب سود، ذكر سبحانه بعد ذلك اختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام، لما فيه من عظيم الدلالة على وجوده وقدرته، وتصرفه في شؤون خلقه.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"وكأن الله تعالى قسم دلائل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو عالم المركبات قسمين: حيوان وغير حيوان، وغير الحيوان إما نبات وإما معدن، والنبات أشرف، وأشار إليه بقوله: (فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ) ثم ذكر المعدن بقوله: (وَمِنَ الجبال) ثم ذكر الحيوان وبدأ بالأشرف منها وهو الإنسان فقال: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ) ثم ذكر الدواب، لأن منافعها في حياتها والأنعام منفعتها في الأكل منها، أو لأن الدابة في العرف تطلق على الفرس وهو بعد الإنسان أشرف من غيره"(١).

قال ابن كثير رحمه الله:"وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٩١٣.

واختلاف ألوان الناس منه اختلاف عام وهو ألوان أصناف البشر وهي الأبيض والأسود والأصفر والأحمر حسب الاصطلاح الجغرافي[1].

ومنه اختلاف خاص يميز كل واحد عن غيره، هذا في الاختلافات الظاهرة، إلى غير ذلك من الاختلافات الباطنة مما يتميز به كل فرد عن غيره، من العقل والحكمة والصبر والكـــرم وسائر الأخلاق.

فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة اللّه تعالى، التي خصصت ما خصصت منـــها، بلونــه، ووصفه، وقدرة اللّه تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيــث كــان ذلــك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم، وذلك أيضا، دليل على سعة علم اللّه تعالى، وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر، وإنما ينتفع بها من يخشى اللّه تعالى، ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها. ولهذا قـــال: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ)[2].

وقوله سبحانه:(كَذَٰلِكَ) يحتمل أن يكون من الكلام الأول فيجيء الوقف عليه حسناً، وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين، ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مخرج السبب[3].

و استدركه أبو حيان رحمه الله بقوله:"وهذا الاحتمال لا يصح، لأن ما بعد إنما لا يمكن أن يتعلق بهذا المجرور قبلها، ولو خرج مخرج السبب، لكان التركيب: كذلك يخشى الله من عباده، أي لذلك الاعتبار، والنظر في مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله. ولكن التركيب جاء بإنما، وهي تقطع هذا المجرور عما بعدها"[4].

و قال الألوسي:"والوقف على (كَذَٰلِكَ) حسن بإجماع أهل الأداء"[5].

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وإنما في هذه الآية تخصيص (ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ) لا للحصر، وهي

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠٣/١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦٨٨.

(٣) المحرر الوجيز ١٧٢/١٣.

(٤) البحر المحيط ٣١٢/٧.

(٥) روح المعاني ١٩١/٢٢.

لفظة تصلح للحصر وتأتي أيضاً دونه، وإنما يعلم ذلك بحسب المعنى الذي جاءت فيه"(١).

و المعنى: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

و ارتباط الخشية بالعلم دلت عليه السنة النبوية في أكثر من حديث منها الحديث المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال:"ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"(٢).

و حديث:"لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا"(٣).

و هذا الوصف لا ينطبق إلا على علماء الشرع العارفين بالله سبحانه وتعالى.

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله: والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشريعة، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقْوَى الخشية؛ فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه معرفة على وجهها فليست علومهم بمقربة لهم من خشية الله، ذلك لأن العالم بالشريعة لا تلتبس عليه حقائق الأسماء الشرعية فهو يفهم مواقعها حق الفهم ويرعاها في مواقعها ويعلم عواقبها من خير أو شر، فهو يأتي ويدع من الأعمال ما فيه مراد الله ومقصدُ شرعه، فإنْ هو خالف ما دعت إليه الشريعة في بعض الأحوال أو في بعض الأوقات لداعي شهوة أو هوى أو تعجل نفع دنيوي كان في حال المخالفة موقناً أنه مورِّط فيما لا تحمد عقباه، فذلك الإِيقان لا يلبث أن ينصرف به عن الاسترسال في المخالفة بالإِقلاع أو الإِقلال، وغير العالم إن اهتدى

---

(١) المحرر الوجيز ١٣/١٧٢-١٧٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب: ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع برقم(٧٣٠١).

ومسلم، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته، برقم(٢٣٥٦).

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير -تفسير سورة المائدة- باب قول الله تعالى(لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، برقم(٤٦٢١).

ومسلم في الفضائل، باب وجوب ترك إكثار سؤاله صلى الله عليه وسلم برقم(٢٣٥٩).

بالعلماء فسعيه مثل سعي العلماء وخشيته متولدة عن خشية العلماء"[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾: تعليل للخشية، إذ العزة تدل على عقوبة العصاة وقهرهم، والمغفرة على إنابة الطائعين والعفو عنهم[٢].

أثر التشبيه:

هذا التشبيه مرسل مفصل؛ فقد ذكرت أداته ووجهه.

و الحكمة منه بيان عظمة الله تعالى وقدرته، والاختلاف في الأصناف المذكورة في الآية أمر بين واضح في كل من المشبه والمشبه به، وهو واقع من الجهة الحسية والمعنوية.

أما من حيث الجهة الحسية فهو أمر مشاهد في أن الثمرات مختلفة الألوان، والأحجام، والطعم، وكذلك الجبال مختلفة لونا وحجما، والناس والدواب والأنعام كذلك، الاختلاف فيها بين لونا، وحجما، وصورة وشكلا.

و أما من حيث الجهة المعنوية؛ فالثمار منها ما يسهل زرعه وقطفه، ويخف سقيه ورعايته، ومنها ما هو على الضد من ذلك، والجبال منها ما يمكن صعوده والرقي عليه بسهولة ويسر، ومنها ما هو على خلاف ذلك، وكذلك الناس والدواب والأنعام، منها ما يكون نفيسا عند أهله، لعقله وحكمته، وعظيم نفعه، ومنها ما يكون وبالا على أهله.

فسبحان من فاوت بين ذلك كله، عن علم، وقدرة، وحكمة ورحمة.

---

(١) التحرير والتنوير ١١/٣٠٤-٣٠٥.

(٢) البحر المحيط ٧/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ فاطر: ٣٦

أركان التشبيه:

المشبه: جزاء كل كفور.

المشبه به: العذاب الدائم في نار جهنم، بحيث لايقضى عليهم فيستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم منه شيء.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الفظاعة والعذاب الشديد في الجزاء.

تفسير الآية:

بعد أن أخبر الله تعالى بنعيم أهل الجنة وأصنافهم، أعقب ذلك بذكر أهل النار.

فأخبر سبحانه بأن الكافرين لهم نار جهنم، ووقع الإخبار بأنها { لهم } بلام الاستحقاق للدلالة على أنها أعدت لجزاء أعمالهم[(١)].

(لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ) أي: بالموت. (فَيَمُوتُوا): لأنهم لو ماتوا لاستراحوا[(٢)].

(ولا يخفف عنهم من عذابها): أي: أن عذابهم مؤلم في كل وقت، لايخفف عنهم أبدا.

وفائدة الإخبار بذلك بيان أن عذاب الآخرة ليس كعذاب الدنيا، لأن عذاب الدنيا إذا استمرت شدته فإنه يقتل، وإذا لم يقتل فإن البدن يعتاده، فعذاب الآخرة ليس كذلك[(٣)].

(كذلك نجزي كل كفور): أي: هذا الجزاء لكل من كفر بالله تعالى وليس مخصوصا بالكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التحرير والتنوير ٣١٧/٢٢

(٢) جامع البيان ١٦٦/٢٢

(٣) مفاتيح الغيب ٢٩/٢٦.

وجاء في وصف الكفور بصيغة المبالغة على معنى الشديد الكفر، وهو المشرك.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ حيث ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

والغرض منه بيان شدة الكفر الذي يقع من الكافرين، وبيان شدة العذاب الواقع عليهم جزاء كفرهم، ويدل عليه مجيء وصف الكفور على صيغة المبالغة للدلالة على عظم ذلك الكفر.

وإنما اعتبر الكفر الواقع من الكافرين عظيما؛ لظهور الدلالات العقلية والشرعية على وحدانية الله تعالى، وصدق رسله عليهم الصلاة والسلام، ظهورا يقطع حجة كل كافر.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ يس: ٣٩

أركان التشبيه:

المشبه: القمر.

المشبه به: العرجون القديم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الدقة، والانحناء، والاصفرار.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن القمر وهو الكوكب المعروف في جميع ليالي الشهر بأنه سبحانه قدره منازل، والتقدير: يطلق على جعل الأشياء بقدْر ونظام محكم، ويطلق على تحديد المقدار من شيء تطلب معرفة مقداره مثل تقدير الأوقات وتقدير الكميات من الموزونات والمعدودات، وكلا الإِطلاقين مراد هنا. فإن الله قدّر للشمس والقمر نظامَ سيرهما وقدّر بذلك حساب الفصول السنوية والأشهر والأيام والليالي([١]).

و المنازل: جمع منزل والمراد به المسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة([٢])، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستوٍ لا يتفاوت، يسير فيها كل ليلة من المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة([٣]).

و قرئ (وَٱلْقَمَرَ) بالرفع والنصب، فمن قرأ بالرفع أراد عطفه على الشمس، إذ كانت الشمس معطوفة على الليل، فأتبعوا القمر أيضًا الشمس في الإعراب، لأنه أيضًا من الآيات، كما الليل والنهار آيتان، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام: وآية لهم القمرُ قدّرناه منازل[٤].

---

[١] التحرير والتنوير ٢٢/١١.

[٢] روح المعاني ١٦/٢٣.

[٣] الكشاف ٥/ ٤٣٤.

[٤] جامع البيان ١١/٢٣.

أو أراد الرفع على الابتداء([1]).

و من قرأ بالنصب أراد معنى: وقدّرنا القمر منازل، كما فعلنا ذلك بالشمس، فردّوه على الهاء من الشمس في المعنى، لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر([2]).

قال الإمام الطبري رحمه الله:"والصواب من القول في ذلك عندنا أهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب"([3]).

(حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ): قيل في معنى العَوْد: هي استهلاله رقيقاً([4]).

وهذا القول يشير إلى أن مشابهة القمر للعرجون تكون عندما يكون القمر هلالا في أول الشهر.

و قيل أن المعنى: رجع في الدقة إلى حالته التي كان عليها من قبل([5]).

و قيل: بمعنى صار شكله للرائي كالعرجون([6]).

و هذان القولان يشيران إلى أن المشابهة تكون للقمر في آخر أطواره آخر الشهر.

و المقصود بالعرجون: العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ([7]).

و القديم: أي العتيق الذي مر عليه زمان ييبس فيه([8]).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل كغالب تشبيهات القرآن؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وهو مقيد من جهة المشبه والمشبه به، وهذه القيود تقيد أيضا وجه الشبه، فالمشابهة بين القمر والعرجون القديم ليست في كل أحوال القمر وأطواره، وإنما تصح المشابهة بينهما في أول

---

[1] الكشاف ٤٣٤/٥.

[2] جامع البيان ١١/٢٣.

[3] جامع البيان ١١/٢٣.

[4] المحرر الوجيز ٢٠١/١٣.

[5] مفاتيح الغيب ٧٢/٢٦.

[6] التحرير والتنوير ٢٢/١١.

[7] جامع البيان ١١/٢٣.

[8] روح المعاني ٢٠/٢٣.

الشهر وآخره على اختلاف في قوة الشبه بينهما في هذين الوقتين.

وقيد المشبه مستفاد من قوله تعالى:(حَتَّىٰ عَادَ)، وأما قيد المشبه به فهو وصف القدم الوارد في الآية.

أما وجه المشابهة بين القمر والعرجون القديم فمن جهات ظاهرة أبرزها الانحناء والتقوس.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وإنما شبهه جل ثناوه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العِذْق، لا يكاد يوجد إلا متقوّسًا منحنيًا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يُصاب مستويًا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمرُ إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون"(١).

و يشبه القمر العرجون القديم كذلك من جهة الدقة فالقمر أول ما يبدأ هلالا دقيقا كالخيط، وكذلك يكون عند انتهائه، والعرجون يكون دقيقا كذلك.

و من جهة أخرى يشبه القمر العرجون القديم في الاصفرار فالقمر في آخر الشهر وأوله يكون مصفرا، والعرجون أو ما يبدأ يكون أخضرا فإذا قطع من النخلة ويبس وقدم اصفر لونه فأشبه القمر أيضا من هذه الناحية، وإلى هذين الوجهين مع الوجه الأول أشار الزمخشري بقوله:"وإذا قدم –أي العرجون– دق فانحنى واصفر، فشبه به من ثلاثة أوجه"([2]).

و يجوز أن يضاف إلى هذه الأوجه: الضعف، فالقمر في آخر منازله يكون ضعيف النور بخلاف أول المنازل فإنه يبدو قويا ونشيطا، كالشمس في أول النهار يكون ضياؤها وحرارتها أقوى وأشد من آخر النهار. وكذلك العرجون القديم فإنه يكون ضعيفا هشا، وإلى هذا المعنى أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله بقوله:"وأما القمر، فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء، وإن كان مقتبسًا من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم"([3]).

قال الشيخ السعدي:" أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه

(١) جامع البيان ١١/٢٣.

[2] الكشاف ٥/ ٤٣٤.

[3] تفسير القرآن العظيم ٢٩٤٧/٧.

وانحنى"([1]).

و قال سيد قطب:"والذي يلاحظ القمر ليلة بعد ليلة يدرك ظل التعبير القرآني العجيب:(حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ) وبخاصة ظل ذلك اللفظ (القديم)، فالقمر في لياليه الأولى هلال، وفي لياليه الأخيرة هلال، ولكنه في الأولى يبدو وكأن فيه نضارة وفتوة، وفي الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم، ويكسوه شحوب وذبول، ذبول العرجون القديم! فليست مصادفة أن يعبر القرآن الكريم عنه هذا التعبير الموحي العجيب!"([2]).

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ٦٩٦.

[2] في ظلال القرآن ١٦٧/٦.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾
الصافات: ٣٣ – ٣٤

أركان التشبيه:

المشبه: إشتراك المجرمين في العذاب.

المشبه به: إشتراك الغاوين من التابعين والمتبوعين في العذاب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإشتراك في العذاب، لاشتراكهم في وصف الإجرام.

تفسير الآية:

لما ذكر سبحانه ما يكون يوم القيامة من محاورة التابعين للمتبوعين، ويقولون لهم بأنكم كنتم سبب ضلالنا عن الحق، ورد المتبوعين عليهم بأنهم لم يكونوا يأتوهم بحجة كما كان الأنبياء، ولم يكن يضلوهم بالقهر والقوة لأنهم لم يكن لهم عليهم سلطان، قالوا في آخر المحاورة:(فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون) أي نحن وأنتم حق علينا العذاب بسبب اشتراكنا في الغواية.

فأخبر الله تعالى بعد ذلك فقال:(فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون): أي: التابعين والمتبوعين، نشرك بينهم في أصل العقوبة على اختلاف بينهم في المقادير بحسب الجرم الذي اكتسبه كل منهم.

ثم قرر سبحانه أنه مثل هذا العذاب الأليم الواقع عليهم وهذا الإشراك بينهم في العقوبة هو فعله بالمجرمين العريقين في الإجرام، والمقصود به المشركين لأن الله تعالى بين أنهم كانوا يستكبرون عن قول كلمة:(لاإله إلا الله) كلمة التوحيد .

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه، ويدل عليه قوله تعالى في الآية:(في العذاب مشتركون).

ويدل التشبيه على السبب الذي استحقوا به العقوبة من الله تعالى، وهو الإجرام، مما يشعر أن التابعين الذين غووا باتباعهم الغاوين، لم يكن ذلك عن جهل منهم أو غفلة حتى يلتمس لهم العذر، ولكن لتطبع أنفسهم على الإجرام، وقابليتها لذلك، ونفورها من الحق والرشد، فقبلت نفوسهم الغواية فغووا وبالتالي استحقوا هذه العقوبة.

وأيضا لما كانوا مشتركين في الغواية والإغواء في الدنيا فإن الله تعالى أشرك بينهم في العقوبة في الآخرة.

ولما كان هذا الاشتراك في العقوبة ليس بنافع لهم شيئا، من تخفيف عذاب أو غيره، كما قال تعالى:(ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون) فلعله أن يفهم منه أنه زيادة لهم في العذاب والألم النفسي، إذ يجدون مع ألم العذاب الحسي، ألم هذه المحاورة ومعاتبة بعضهم لبعض، وتحسرهم على غوايتهم، فتزداد بذلك العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ الصافات: ٤٨ – ٤٩

أركان التشبيه:

المشبه: نساء أهل الجنة الموصوفات بأهن (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ).

المشبه به: البيض المكنون.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: متعدد يشمل الحسن والجمال والبياض المشوب بصفرة والحفظ والصيانة وتناسب الأجزاء.

تفسير الآيات:

يقول تعالى ذكره: وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن، لا يردن غيرهم، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم[1].

و سبب قصر الطرف على الأزواج عفتهن وحياؤهن، وجمال أزواجهن وحسنهم.

و قد يكون المعنى أنها قصرت طرف زوجها عليها بحيث لا يبغي غيرها؛ لجمالها وحسنها.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:"إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضا، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، وكل هذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضا، محبة لا يطمح إلى غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لانتفاء أسبابه"[2].

---

[1] جامع البيان ٢٣/٦٧.

[2] تيسير الكريم الرحمن ٧٠٣.

و معنى (عِينٌ): النُّجْلَ العيون عِظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون([1]).

(كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ): اختلف في المراد بالبيض فقيل: شبهن ببطن البيض في البياض لأنه لم يمسه شيء([2]).

و قيل: شبهن ببيض النعام الذي يحضنه الطائر ويكنه بالريش من الغبار والقتر والشمس([3]).

و قيل: المقصود بالبيض اللؤلؤ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما([4]).

قال القاضي أبو محمد ابن عطية رحمه الله:"وهذا لا يصح عندي عن ابن عباس لأنه يرده اللفظ من الآية"([5]).

و قال أبو حيان:"واللفظ ينبو عن هذا القول"([6]).

و المكنون: المستور لا ينالهُ غبار ولا أي أذىً.

أثر التشبيه:

هذا التشبيه من التشبيه المرسل المجمل فقد ذكرت أداته ولم يذكر الوجه فيه، وكما مر فإن سياق الآيات في بيان نعيم أهل الجنة وكل وجه يحصل به نوع نعيم فإنه يكون وجها صحيحا، وبذلك تتعدد جهات التشبيه بين الطرفين في هذه الآية وقد أشار العلماء إلى هذه الجهات كل منهم حسب ما رآه وظهر له.

فمن جهات التشبيه النعومة والطراوة وذلك على القول بأن المقصود بالمشبه به هو بياض البيض بعد الطبخ فهو مكنون داخل القشرة، فالبيضة إذا طبخت وقشرت ظهر ما تحت

---

[1] جامع البيان ٦٨/٢٣.
[2] جامع البيان ٦٨/٢١.
[3] جامع البيان ٦٨/٢١.
[4] جامع البيان ٦٩/٢١.
[5] المحرر الوجيز ٢٣٤/١٣
[6] البحر المحيط ٣٦٠/٧.

القشرة على أتم نعومة وأكمل طراوة.

قال الطبري:"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأهُن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة المُلْبَسة المُح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون"([1]).

ومن جهات التشبيه أن نساء أهل الجنة يتميزن ببياض البشرة المشوب بصفرة وهو من أحسن ما يكون من ألوان النساء، كما أن بيض النعام الذي يكون في الأداحي يكون أبيضا مشوبا بصفرة كأن له بريق.

قال ابن زيد:البيض الذي يكنه الريش، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يبرق، فذلك المكنون([2]).

و قال الحسن: شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار، فلونها أبيض في صفرة. ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة، والعرب تشبهها ببيضة النعامة([3]).

و قال الألوسي:"المراد تشبيههن بالبيض الذي كنه الريش في العش أو غيره في غيره فلم تمسه الأيدي و لم يصبه الغبار في الصفاء وشوب البياض بقليل صفرة مع لمعان كما في الدر، والأكثرون على تخصيصه ببيض النعام في الأداحي لكونه أحسن منظراً من سائر البيض وأبعد عن مس الأيدي ووصول ما يغير لونه إليه، والعرب تشبه النساء بالبيض ويقولون لهن بيضات الخدور"([4]).

و يدل تقييد المشبه به بالمكنون على أن نساء أهل الجنة محفوظات مصونات مكنونات ويدل عليه قوله سبحانه في سورة الرحمن﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ الرحمن: ٧٤) فهن ممتنعات عن الاجتماع بالإنس والجن.

و من جهات التشبيه تناسب الأجزاء، وأشد ما يكون التناسب في البيضة؛ فمن أي جهة

---

[1] جامع البيان ٦٩/٢٣.

[2] جامع البيان ٦٩/٢٣.

[3] معالم التنزيل ٤٠/٧.

[4] روح المعاني ٨٩/٢٣.

نظرت إليها وجدتها متناسبة الأجزاء، وكذلك نساء أهل الجنة من الحور العين متناسبات الأعضاء والألوان.

قال أبو حيان:"وقالت فرقة: هو تشبيه عام جملة المرأة بجملة البيضة، أراد بذلك تناسب أجزاء المرأة، وأن كل جزء منها نسبته في الجودة إلى نوعه نسبة الآخر من أجزائها إلى نوعه؛ فنسبة شعرها إلى عينها مستوية، إذ هما غاية في نوعها، والبيضة أشد الأشياء تناسب أجزاء، لأنها من حيث حسنها في النظر واحد"([1]).

و يؤخذ على هذ الوجه أن التقييد بالمكنون مما لا يظهر فيه فائدة.

قال الألوسي:"وأنت تعلم بعد فرض تسليم أن تناسب الأجزاء في البيضة معروف بينهم أن الوصف بالمكنون مما لا يظهر له دخل في التشبيه"([2]).

و كذلك يؤخذ عليه أن تناسب الأجزاء مما يعلم بداهة لأن نعيم الجنة منزه عن النقص ولا يكمل النعيم إلا بالتناسب والاعتدال، وقد أخبر الله سبحانه أن أهل الجنة لا يريدون التحول منها لنوع نقص في النعيم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ الكهف: ١٠٧ - ١٠٨

قال الشيخ السعدي رحمه الله:"أي لا يريدون عنها تحولا وانتقالا لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيما فوق ما هم فيه"([3]).

---

[1] البحر المحيط ٣٦٠/٧.

[2] روح المعاني ٩٠/٢٣.

[3] تيسير الكريم الرحمن ٤٨٨

قوله تعالى: ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ الصافات: ٦٥

أركان التشبيه:

المشبه: طلع شجرة الزقوم.

المشبه به: رؤوس الشياطين.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: قبح المنظر وبشاعته.

تفسير الآية:

وردت هذه الآية بعد وصف الله تعالى لشجرة الزقوم بقوله جل وعلا: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ الصافات: ٦٢ - ٦٥، فالضمير في (طَلۡعُهَا) عائد إلى شجرة الزقوم.

و الطلع: الثمر، وأصله للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها([1]).

وقال ابن قتيبة: سمي طلعاً؛ لطلوعه كل سنة([2]).

و شبه ثمر شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، واختلف في المقصود بذلك:

فقال بعضهم: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها. أي: شبهها بما استقر في نفوسهم من قبح الشياطين وبشاعتها. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما([3]).

قال الزمخشري: وشُبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر؛ لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شرّ محض لا يخلطه خير([4]).

و قال آخرون: المقصود برؤوس الشياطين حيات لها أعرف.

قال الطبري: والثاني أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا، وهي

[1] - الكشاف ٥/٤٦٧.

[2] - مفاتيح الغيب ٢٦/١٤٢.

[3] - معالم التنزيل ٧/٤٢

[4] - الكشاف ٥/٤٦٧.

حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر([1]).

و قال البغوي: وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيات، والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانًا([2]).

و قال الزمخشري: وقيل: الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جداً([3]).

و قال الرازي: والقول الثاني: أن الشياطين حيات لها رؤوس وأعراف، وهي من أقبح الحيات، وبها يضرب المثل في القبح، والعرب إذا رأت منظراً قبيحاً قالت: كأنه شيطان الحماطة، والحماطة شجرة معينة([4]).

و قال آخرون: المقصود برؤوس الشياطين: ثمر شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية تسمى الأستن، وثمرها يسمى رؤوس الشياطين.

قال الزمخشري: وقيل: إنّ شجراً يقال له الأستن خشناً منتناً مراً منكر الصورة، يسمى ثمره: رؤوس الشياطين، وما سمت العرب هذا الثمر رؤوس الشياطين إلاّ قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلاً ثالثاً يشبه به([5]).

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"قالت فرقة: شبه بثمر شجرة معروفة يقال لها: رؤوس الشياطين، وهي بناحية اليمن يقال لها الأستن... ويقال إنه الشجر الذي يقال له الصوم([6]).

و قال ابن الجوزي: والثاني -أي من معان رؤوس الشياطين-: أن بين مكة واليمن شجر يسمى: رؤوس الشياطين، فشبَّهها بها، قاله ابن السائب([7]).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وفي هذين الاحتمالين نظر، وقد ذكرهما ابن جرير، والأول أقوى وأولى، والله أعلم([8]).

---

[1] - جامع البيان ٧٧/٢٣.

[2] - معالم التنزيل٤٢/٧.

[3] - الكشاف ٤٦٧/٥.

[4] - مفاتيح الغيب ١٤٢/٢٦.

[5] - الكشاف ٤٦٧/٥.

[6] - المحرر الوجيز ٢٣٨/١٣.

[7] - زاد المسير ٦٣/٧.

[8] - تفسير القرآن العظيم ٢٩٧٧/٧.

أثر التشبيه:

هذا التشبيه من التشبيه المرسل المجمل؛ فقد ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و قد سبقت الإشارة من قبل إلى وقوع الخلاف في مسألة: هل وقع في القرآن تشبيه للمعقول بالمعقول؟ وللإجابة عن ذلك لابد من النظر في طرفي التشبيه، وتقرير هل هما حسيان أم عقليان.

فبالنظر إلى المشبه وهو طلع شجرة الزقوم فإن المقصود به في الآية طلعها يوم القيامة الذي يكون طعاما لأهل النار؛ لأن الله تعالى ذكر أولا نعيم أهل الجنة ومالهم فيها من رزق وخير، ثم قال مخبرا عن ما للمشركين من العذاب يوم القيامة(﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ الصافات:٦٢) ثم عرفهم الله تعالى بشجرة الزقوم وأنها شجرة تنبت في أصل الجحيم، وأن ثمرها كرؤوس الشياطين، فسياق الآيات في الحديث عن عذاب أهل النار يوم القيامة.

و ما قيل: من أن في بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن إن مس جسم أحد تورهم، ومات منه في أغلب الأمر تسمى شجرة الزقوم([1]).

أو أنها شجرة صغيرة الورق، ذفرة: أي شديد النتن، مرة، من الزقم، أي اللقم الشديد والشوب والمفرط، كما قال عبد الحق في كتابه الواعي: الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق لا شوك لها ذفرة لها كعابر في سوقها أي عقد كالأنابيب ولها ورد تجرسه النحل، ورأس ورقها قبيح جداً، وهي مرعى، ومنابتها السهل([2]).

فهذا وإن كان صحيحا فإنه ليس مقصودا هنا؛ لأن سياق الآيات يأباه.

و من هنا يتبين لنا أن الطرف الأول وهو: طلع شجرة الزقوم طرف عقلي باعتبار أنه من أمور الآخرة، وأمور الآخرة ليس للعباد عليها اطلاع، حتى وإن تشابهت الأسماء بينها وبين ما في الدنيا إلا أن الحقائق مختلفة.

فإن قيل: كيف يشبه الله الزقوم، وهم لم يعرفوها، بشيء لم يعرفوه أيضا؟

فيقال: إن الله تعالى ذكره قد وصفها لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾

---

[1] - المحرر الوجيز ٢٣٨/١٣.

[2] - نظم الدرر ١١/٨.

الصافات: ٦٤ - ٦٥) فلم يتركهم في عَماء منها([1]).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر([2]).

و قال الألوسي رحمه الله: وبهذا يرد على بعض الملاحدة حيث طعن في هذا التشبيه بأنه تشبيه بما لا يعرف، وحاصله أنه لا يشترط أن يكون معروفاً في الخارج بل يكفي كونه مركوزاً في الذهن والخيال([3]).

أما الطرف الثاني: وهو رؤوس الشياطين فبالاختلاف في معناه يختلف الحكم عليه:

فعلى القول الراجح بأنه شبه برؤوس الشياطين لما استقر في نفوس المخاطبين من بشاعتها وقبحها وخلوها من كل خير، وهو أمر عقلي لا يدرك بالحواس، فعليه يكون الطرفان عقليين، وعليه يحمل كلام العلماء الذين قالوا بذلك.

قال الزمخشري: وهذا تشبيه تخييلي([4]).

و قال الرازي: والحاصل أن هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيل([5]).

و قال أبو حيان: وهذا كله تشبيه تخييلي([6]).

و قال الطاهر ابن عاشور: و(رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ) يجوز أن يكون مراداً بها رؤوس شياطين الجنّ جمع شيطان بالمعنى المشهور ورؤوس هذه الشياطين غير معروفة لهم، فالتشبيه بها حوالة على ما تصوّر لهم المخيّلة، وطلع شجرة الزقوم غير معروف فوُصف للناس فَظيعاً بَشِعاً، وشبهت بشاعته ببشاعة رؤوس الشياطين، وهذا التشبيه من تشبيه المعقول بالمعقول كتشبيه الإِيمان بالحياة في قوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ يس: ٧٠ والمقصود منه هنا تقريب حال المشبّه فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف ولا كون المشبه كذلك([7]).

---

[1] - جامع البيان ٢٣/٧٦.

[2] - تفسير القرآن العظيم ٧/٢٩٧٧.

[3] - روح المعاني ٢٣/٩٥.

[4] - الكشاف ٥/٤٦٧.

[5] - مفاتيح الغيب ٢٦/١٤٢.

[6] - البحر المحيط ٧/٣٦٣.

[7] - التحرير والتنوير ١١/١٢٤.

و من العلماء من اعتبر الطرف الثاني على هذا المعنى طرفا حسيا؛ باعتبار أنه لما أصبح مستقرا في النفوس، ومتخيلا في الأذهان صورة الشيطان على أقبح الصور وأبشعها، اعتبر أن الأمر على هذا المعنى أصبح كالأمر الحسي.

أما على القولين الآخرين: الحيات التي لها أعراف، أو الشجرة التي يقال لها الأستن أو الصوم، فإن هذا الطرف يعتبر طرفا حسيا، وعليه يحمل كلام العلماء الذين قالوا بذلك.

و يبقى الخلاف في ذلك خلافا نظريا ليس له أثر عملي مترتب، وجميع المسلمين مجمعون على أن كلام الله تعالى أعلى كلام وأرفعه وأبلغه، ومنه تستنبط القواعد، وإليه يتحاكم الناس في أمور البلاغة والفصاحة والبيان، لا أن يخضع كلام الله تعالى للقواعد المستنبطة من خلال كلام العرب.

و بالرجوع إلى بلاغة التشبيه فإنه يتضمن زيادة عذاب لأهل النار، إذا إنهم يعذبون بما يسكنون فيه من الدركات، وبما يلبسونه من سرابيل القطران، وبما يشربونه فيها من الحميم والغساق، وبما يأكلونه في بطونهم من ثمر الزقوم، وبعد الأكل كذلك، وأيضا يأتيهم العذاب من خلال ما يبصرون ويشاهدون، ومنه أنهم يبصرون ثمر شجرة الزقوم على أقبح صورة وأبشعها، وإذا كان المأكول كريها فإنه يزيده كراهة سوء منظره، ومع هذا يضطرون إلى الأكل منها إلى أن تمتلئ بطونهم، مع ما يخلط لهم من شراب الحميم الذي يقطع أمعاءهم.

عياذا بالله من سخطه وأليم عقابه.

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الصافات: ٧٩ – ٨٠

أركان التشبيه:

المشبه: جزاء الله للمحسنين.

المشبه به: جزاء الله تعالى لنوح عليه السلام

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإحسان، والإكرام في الجزاء.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن إكرامه وإنعامه على نوح عليه السلام بأنه جل وعلا قد جعل له السلام في العالمين.

والسلام: الثناء الحسن والأمنة أن يذكره أحد بسوء(١).

وقيل: يسلمون عليه تسليماً، ويدعون له(٢).

وزيد في سَلام نوح في هذه السورة وصْفُه بأنه في العالمين دون السلام على غيره في قصة إبراهيم وموسى وهارون وإلياس للإشارة إلى أن التنويه بنوح كان سائراً في جميع الأمم لأنهم كلهم ينتمون إليه ويذكرونه ذكر صدق(٣).

ثم بين الله تعالى بأنه جزى نوحا بهذا الجزاء العظيم لأنه كان قد بلغ غاية الإحسان في دعوته وعبادته، وهو سبحانه كمثل جزائه هذا يجزي المحسنين من عباده.

قال ابن كثير رحمه الله:" أي: هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله، نجعل له لسانَ صدْق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك"(٤).

---

(١) جمع البيان ٨١/٢٣.

(٢) الكشاف ٤٧٠/٥.

(٣) التحرير و التنوير ١٣٤/٢٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٩٨٠/٧.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته ووجهه، ويدل عليه وصف الإحسان في الآية.

والغرض منه بيان عظيم الفضل الذي جعله الله لنوح عليه السلام، والثناء عليه بأنه قد بلغ رتبة الإحسان، وهي عبادة الله تعالى بمقام المراقبة والمشاهدة، ويدل على هذه الدلالات جعل الله تعالى جزاءه لنوح عليه السلام مشبها به في الآية، والعادة في التشبيه أن وجه الشبه في المشبه به أقوى من المشبه.

والتشبيه يدل على أن نوحا عليه السلام له أجر كأجر من جاء بعده من المحسنين الصابرين على الأذى، فإنه لهم أسوة، و هم مقتدون بصبره فهو أول من صبر، وقد صبر صبرا لا مثيل له في طول المدة، التي غالبا ما يصحبها تراجع أو تنازل.

وفي التشبيه دلالة على أن جزاء المحسنين يجمع بين الفضل والنعمة وبين دفع السوء والمكروه، فقد نجى الله نوحا وأهله من الكرب العظيم، وهذا في دفع سوء، وجعل ذريته هم الباقين، وجعل ذكره بالخير والسلام على لسان العالمين، وهذا فيه فضل ونعمة.

وفي التشبيه دلالة على أن رتبة الإحسان أرفع مراتب الدين؛ لأن الله تعالى جعل الجزاء عليها كجزاء الأنبياء الذين هم صفوة الخلق وخيرهم.

قال تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) ﴾ الصافات: ١٠٤ – ١٠٥

أركان التشبيه:

المشبه: إحسان الجزاء للمحسنين.

المشبه به: إحسان إبراهيم في الفعل.

أداة التشبيه: الكاف

وجه الشبه: وصف الإحسان، ولا يعني أن إحسان الله في جزاء المحسنين كإحسان إبراهيم في الاستجابة والتصديق، ولكن كما أحسن إبراهيم إحسانا يليق به، فإن الله تعالى يحسن في جزاء المحسنين إحسانا يليق به جل وعلا.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا عن إبراهيم عليه السلام أنه قام بامتثال أمر ربه الذي أمره به في رؤيا المنام بذبح ابنه فاستجاب إبراهيم عليه السلام لذلك استجابة كاملة وقام بالامتثال فجزاه الله على هذه المبادرة وسرعة الاستجابة بأن ناداه جبريل عليه السلام أن الله قد فدى ابنه بهذا الذبح العظيم.

والمراد بتصديق الرؤيا: أنه صدق ما رآه إلى حدِّ إمرار السكين على رقبة ابنه ، فلما ناداه جبريل بأن لا يذبحه كان ذلك الخطابُ نسخاً لما في الرؤيا من إيقاع الذبح ، وذلك جاء من قِبل الله لا من تقصير إبراهيم ، فإبراهيم صدَّق الرؤيا إلى أن نهاه الله عن إكمال مِثالها ، فأُطلق على تصديقه أكثرَها أنه صدَّقها ، وجُعِل ذبح الكبش تأويلاً لذبح الولد الواقع في الرؤيا[1].

وقوله تعالى:(إنا كذلك نجزي المحسنين) أي: كما أحسنت يا إبراهيم في فعلك واستجابتك وتصديقك الرؤيا، وكان ذلك تصديقا عظيما لامثيل له؛ فإنا كذلك نحسن

(١) التحرير و التنوير٢٣/١٥٤.

إحسانا عظيما في جزاء المحسنين الصادقين في امتثال أوامر ربهم، القائمين به على أحسن مثال، إحسانا عظيما لا مثيل له، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان!!.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل ذكرت أداته ووجه، وهو المشار إليه بوصف الإحسان في الآية.

والغرض من هذا التشبيه بيان الفضل ومقدار النعمة على إبراهيم وولده عليهما السلام، وبيان أنهما كانا من المحسنين؛ لأن الله تعالى جعل إحسانهما في الفعل والامتثال مشبها به لجزاء المحسنين؛ وهذا يدل على أنه أعظم، وفقا للعادة الجارية في التشبيه من كون الوجه في المشبه به أعظم منه في المشبه.

ولا يجوز أن يفهم أن هذا من تشبيه أفعال الله بأفعال الخلق، ولكن الوجه منصب على وصف الإحسان فقط، بمعنى: أنه كما أحسن إبراهيم وولده عليهما السلام في الاستجابة والامتثال، وهذا الإحسان هو الإحسان الذي يطيقانه ويقدران عليه، فإن الله تعالى يحسن في جزاء المحسنين إحسانا يليق بجلاله وعظمته، ليس له مثيل ولا نظير.

وقد جمع الله تعالى في جزائه لإحسان إبراهيم عليه السلام بين الفضل والنعمة وبين صرف السوء ودفع المكروه، لبيان أن إحسانه جل وعلا للمحسنين يشمل ذلك كله.

وأيضا فإن في التشبيه دلالة على فضل مرتبة الإحسان من الدين فإن الله تعالى جعل الأجر عليها كأجر الأنبياء.

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ الصافات: ١٠٩ – ١١٠

أركان التشبيه:

المشبه: جزاء الله للمحسنين.

المشبه به: جزاء الله لإبرهيم عليه السلام.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإحسان، والإكرام في الجزاء.

تفسير الآية:

يؤكد سبحانه وتعالى في هذه الآية عظيم الأجر ورفعة القدر لإبراهيم عليه السلام، فإن الجزاء المذكور سابقا جزاء لإبراهيم وابنه عليهما السلام، أما في هذه الآية فهو جزاء لإبراهيم عليه السلام وحده؛ لأن الله تعالى قال قبل هذه الآية:(وتركنا عليه في الآخرين).

والمعنى أَمَنَة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر[1].

{ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } في عبادة اللّه، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل، حيث ذكرت أداته ووجهه، ويدل عليه وصف الإحسان في الآية.

والغرض منه بيان النعمة والفضل على إبراهيم عليه السلام ، وقد مر ذكر دلالات التشبيه بما أغنى عن إعادتها هنا؛ إذ لا مزيد لدي في ذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) جامع البيان ٢٣/١٠٥.

قال

تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾

الصافات: ١٢٠ – ١٢١

أركان التشبيه:

المشبه: جزاء الله للمحسنين.

المشبه به: جزاء الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام.

أداة التشبيه الكاف.

وجه الشبه: الإحسان والإكرام في الجزاء.

تفسير الآية:

لما ذكر الله تعالى نعمته وفضله على موسى وأخيه هارون عليهما السلام بجلب الخير لهم ودفع المكروه عنهم، ذكر بعد ذلك أنه أبقى لهم الذكر الحسن والثناء الجميل والسلام عليهم في من جاء بعدهم من الأمم.

{ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } في عبادة اللّه، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل حيث ذكرت أداته ووجهه، وهو المشار إليه بوصف الإحسان في الآية.

والغرض منه بيان مقدار النعمة على موسى وهارون عليهما السلام، وبيان أنهما من عباد الله المحسنين، فقد أحسنوا في عبادة الله تعالى والقيام بتبليغ الرسالة، فجعل الله تعالى جزاءه للمحسنين مشبه لجزائه لهما، وهذا فيه من التعظيم لجزائهما عليهما السلام ما فيه.

وقد سبق ذكر بعض دلالات هذا التشبيه بما أغنى عن إعادته .. والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ ﴾ الصافات: ١٣٠ – ١٣١

أركان التشبيه:

المشبه: جزاء الله للمحسنين.

المشبه به: جزاء الله تعالى لإل ياسين.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإحسان والإكرام في الجزاء.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا عن إكرامه لإل ياسين عليه السلام وهو رسول إلى بني إسرائيل، أحد الرسل أتباع شريعة موسى عليه السلام، و آله هم: أنصاره الذين اتّبعوه وأعانوه (التحرير١٢/١٥٧) بأن الله تعالى جعل لهم الأمنة والسلام عليهم، كما جعل ذلك على إخوانه من الأنبياء السابقين –على الجميع سلام الله تعالى وصلاته– ، ثم أخبر سبحانه بأنه كما جزى إل ياسين على إيمانهم وإعانتهم لنبيه إلياس عليه السلام على دعوته فإنه كذلك يجزي المحسنين من عباده.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته ووجهه، والغرض منه بيان مقدار النعمة والإكرام الذي جعله الله تعالى لإل ياسين عليه السلام، خاصة وقد جعله الله تعالى جزاءهم مشبها به ليدل على أن الوجه في المشبه به أقوى من الوجه في المشبه.

وقد مر ذكر دلالات التشبيه المتعلقة به، ولا أجد مزيدا في ذلك، والعلم عند الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ ص: ٢٨

في هذه الآية تشبيهان أما الأول فتحليله:

المشبه:الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

المشبه به: المفسدون في الأرض.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: استواء العاقبة.

و أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: المتقون.

المشبه به: الفجار.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: استواء العاقبة.

تفسير الآية:

يبين سبحانه وتعالى في هذه الآية أن التسوية بين المختلفين في الجزاء والعاقبة مما لا يليق بحكمه وحكمته، ولذلك بدأها سبحانه بالاستفهام المتضمن معنى الإنكار، على أبلغ وجه وآكده في قوله سبحانه:(أَمْ)(١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:"أي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب فيها هذا الفاجر، وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه، ويموت كذلك. ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده؛ فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع

(١) روح المعاني ١٨٨/٢٣.

هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة"[١].

وفي هذا الوعد والوعيد حض على الإيمان وترغيب فيه، وترهيب من المعاصي والسيئات، وعلى رأسها الكفر بالله تعالى والشرك به.

قال الألوسي:"وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام، ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الأولين، ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل في إنكار التسوية من الوصفين الأولين"[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و أسلوب التشبيه وإن كان فيه إلحاق طرف ناقص بآخر كامل لصفة جامعة بينهما، فليس هذا هو المراد هنا، ولكنه إنكار لأن يستوي الطرفان في عاقبة الأعمال التي يعملونها مما يدل عليه الوصف بالإيمان أو التقوى، أو الإفساد في الأرض أو الفجور.

و قد أثبت الله تعالى الفرق بين طرفي التشبيه في آيات كثيرة من القرآن، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها مما يدل على اختلافهما في الحياة وعند الموت وفي الآخرة عند الجزاء والحساب.

و التشبيه فيه دلالة على عدل الله تعالى في أنه سبحانه لم يساو بين الطرفين، لأن المساواة بينهما مما تنكره الفطر السليمة والعقول المستقيمة، وهو يدل أيضا على وجود حياة أخرى يجازى فيها كل طرف بعمله، لأن المشاهد في كثير من أحوال الحياة الدنيا، أن المفسد والفاجر ربما يكون ممتعا فيها، كثير المال والعيال، ثم يمضي ويموت على هذه الحال، لم يقتص منه ويؤخذ بحق المظلوم، وأن المؤمن والطائع قد يعيش في فقر من العيش أو شدة في الحياة ثم يموت، و لم يؤخذ بحقه من الظالم، و لم يعط جزاء عمله، فثبت وجود حياة أخرى يعدل فيها بين طرفي التشبيه، ليتحقق عدل الله، ويظهر فضله للمستحق من الطرفين.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والتشبيه في قوله: ﴿كَالْمُفْسِدِينَ﴾ للتسوية. والمعنى: إنكار أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠١١/٧.

(٢) روح المعاني ١٨٩/٢٣.

يكونوا سواء في جعل الله، أي إذا لم يُجاز كلَّ فريق بما يستحقه على عمله، فالمشاهد في هذه الحياة الدنيا خلاَفُ ذلك فتعين أن يكون الجزاء في عالم آخر وهو الذي يسلك له الناس بعد البعث. وقد أُخذ في الاستدلال جانبُ المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الأرض، لأنه يوجد كثير من الفريقين متساوِينَ في حالة الحياة الدنيا في النعمة أو في التوسط أو في البؤس والخصاصة، فحالة المساواة كافية لتكون مناط الاستدلال على إبطال ظن الذين كفروا بقطع النظر عن حالة أخرى أولى بالدلالة، وهي المقابلة بين فريق المفسدين أولي النعمة وفريق الصالحين أولي البؤس، وعن حالة دون ذلك وهي فريق المفسدين أصحاب البؤس والخصاصة وفريق الصالحين أولي النعمة لأنها لا تسترعي خاطر الناظر"(١).

(١) التحرير والتنوير ١١/٢٤٩-٢٥٠.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر: ٢٩

في هذه الآية تشبيهان، أما الأول فأركانه:

المشبه: حالة المشرك الذي يعبد مع الله آلهة غيره.

المشبه به: حالة العبد المملوك لشركاء متشاكسون.

أداة التشبيه: كلمة مثلا.

وجه الشبه: حالة الحيرة والاضطراب وتوزع الهم بالنسبة للعبد في إرضاء أسياده المتشاكسين.

أما التشبيه الثاني فأركانه:

المشبه: حالة العبد الموحد الذي لا يعبد إلا الله.

المشبه به: حالة العبد المملوك الخالص لرجل رحيم به رؤوف عليه.

أداة التشبيه: كلمة مثلا.

وجه الشبه: حالة الأمن والاستقرار النفسي، واجتماع الهم لإرضاء السيد.

تفسير الآية:

كثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادل المشركون ويحاول إقناعهم في بيان وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده للعبادة، وأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، وفي ذات الوقت كان المشركون يعرضون عن هذه الدلائل مع وضوحها وجلائها.

فيضرب الله تعالى مثلا لحال المشرك بربه غيره، وحال المؤمن الموحد الذي لا يعبد إلا الله، فحال المشرك كحال عبد مملوك لمجموعة أسياد متشاكسين، والمراد: مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم(١).

(١) جامع البيان ٢٨٤/٢٣.

ويضرب المثل الآخر لحال الموحد لربه، لا يعبد معه غيره، بحال عبد مملوك خالص ملكه لرجل رحيم به، عطوف عليه، والمراد بـــ(سلما لرجل) ليس فيه لأحد شيء. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما(١).

ثم يسأل الله تعالى: هل يستويان هذين المثلين؟ والجواب: قطعا، لا.

فيحمد الله تعالى لنفسه حسن التوضيح والبيان الذي لابيان أعلى منه، ولا توضيح أجل منه، وتقديره : الحمد لله على ظهور الحجة ، وأن الأمر ليس كما يقولون { بل أكثرهم لا يعلمون }(٢)

قال الرازي:" وقيل المراد أنه لما سبقت هذه الدلائل الظاهرة والبينات الباهرة ، قال : الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البينات ، وإن كان أكثر الخلق لم يعرفوها و لم يقفوا عليها"(٣).

ثم يقول جل وعلا: (بل أكثرهم لايعلمون) وأسند عدم العلم لأكثرهم لأن أكثرهم عامة أتباعٌ لزعمائهم الذين سنُّوا لهم الإِشراك وشرائعَه انتفاعاً بالجاه والثناء الكاذب بحيث غَشَّى ذلك على عملهم(٤).

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مجملان، ذكرت أداتهما و لم يذكر وجههما.

والغرض منه إقناع المشركين بخطأ ما هم عليه من الشرك.

ففي التشبيه الأول نجد عدم استقرار حالة الممثل به، إذ هو متنازع بي عدة شركاء، لا يدري من يرضي، ولا من يخدم، ولا من يشكو إليه، فهمه متفرق، ولا يمكن أن يرضي كل هؤلاء الشركاء، بل لعله إن أرضى البعض أسخط البعض الآخر.

وفي التشبيه الثاني، نجد اجتماع العزم، وتوحد الهم، نحو هدف واحد، وهو إرضاء السيد المالك، الذي لا مالك سواه، وخدمته، والشكوى إليه، خاصة إذا بادل السيد عبده

---

(١) جامع البيان ٢٨٤/٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٨١/١٤.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٧٨/٢٦.

(٤) التحرير والتنوير ٤٠٣/٢٣.

بالرحمة والمعونة.

قال ابن عاشور رحمه الله وكذلك الحال في كل متّبع حق ومتبع باطل فإن الحق هو الموافق لما في الوجود والواقع ، والباطلَ مخالف لما في الواقع ، فمتبع الحق لا يعترضه ما يشوش عليه بالَه ولا ما يثقل عليه أعماله ، ومتبع الباطل يتعَثر به في مزالق الخُطَى ويتخبط في أعماله بين تناقض وخَطأ"[١].

(١) التحرير والتنوير ٤٠٢/٢٣.

قال تعـــالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ غافر: ٦

أركان التشبيه:

المشبه: وجوب العذاب على الكافرين من قريش ومن بعدهم ممن سار علـــى كفـــرهم وتكذيبهم.

المشبه به: المشار إليه بقوله تعالى:(وَكَذَٰلِكَ) وهو استحقاق الأمم السابقة نزول العذاب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: اتحاد السبب وهو التكذيب والهم بأخذ الرسل، والمجادلة بالباطل.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا أنه كما حق عذابه على الأمم السابقة من قوم نوح والأحـــزاب مـــن بعدهم، جزاء كفرهم، وتكذيبهم لرسلهم، وهمهم برسلهم ليقتلوهم، كذلك حـــق عذابـــه وإهلاكه لقريش ومن بعدهم ممن سار على نهجهم في الكفر والتكذيب لوجود الأسباب التي بها نزل عليهم عذاب الله تعالى.

و قيل: إن المشار إليه هو نزول العذاب عليهم، وإنما اعتبر حقا([1]) لكلمات الله تعـــالى؛ لأنه كان تحقيقا لكلماته سبحانه، وتصديقا لما أخبرهم به من الوعيد على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام.

و قوله سبحانه:(أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ): قيل: أي لأنهم، أو بأنهم، والمعنى بســـبب أنهـــم استحقوا عذاب النار.

قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار(٢).

و قيل: هذه الجملة هي كلمة الله تعالى التي حقت على الأمم الكافرة.

قال الطبري:"والصواب من القول في ذلك، أن قوله"أنهم"ترجمة عن الكلمـــة، بمعـــنى:

---

[1]ـــ (الحق) هنا مصدر، بمعنى وجب، وليس المراد به الحق الذي هو ضد الباطل.

(٢) معالم التنزيل ١٣٩/٧.

وكذلك حقّ عليهم عذاب النار، الذي وعد الله أهل الكفر به"[١].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل، ذكرت أداته ووجهه، والوجه هو الوصف الذي ذكر به المشبه، للدلالة على الاشتراك فيه، وهو وصف الكفر في قوله تعالى:(عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ).

و على اعتبار أن المشار إليه في قوله تعالى:(وَكَذَٰلِكَ) هو المصدر، فائدة في التشبيه، تدل على أن المشبه هو كفار قريش خاصة، وأنهم بلغوا الغاية في وجه الشبه حتى لو أردنا أن نشبههم لما وجدنا شيئا يشبههم أكثر من أنفسهم.

أما على الاعتبار الآخر، وهو نزول العذاب عليهم فهو يدل على أن الوصف بالذين كفروا عام، يشمل قريشا ومن بعدهم ممن سار على كفرهم وتكذيبهم، وأن المشبه والمشبه به متغايران جريا على عادة المغايرة بين طرفي التشبيه.

قال ابن عاشور رحمه الله:"الواو عاطفة على جملة: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ غافر: ٥)، أي ومثل ذلك الحَقّ حقت كلمات ربك فالمشار إليه المصدَر المأخوذ من قوله: (حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ)... وهو يفيد أن المشبه بلغ الغاية في وجه الشبه حتى لو أراد أحد أن يشبهه لم يشبهه إلا بنفسه.

ولك أن تجعل المشار إليه الأخْذَ المأخوذ من قوله: (فَأَخَذْتُهُمْ) أي ومثل ذلك الأخذ الذي أخذ الله به قوم نوح والأحزابَ من بعدهم حقت كلمات الله على الذين كفروا، فعلم من تشبيه تحقق كلمات الله على الذين كفروا بذلك الأخذِ لأن ذلك الأخذ كان تحقيقاً لكلمات الله، أي تصديقاً لما أخبرهم به من الوعيد، فالمراد بالذين كفروا: جميع الكافرين... وبذلك يكون التشبيه في قوله: (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) جارياً على أصل التشبيه من المغايرة بين المشبه والمشبه به"[٢].

و التشبيه فيه معنى التهديد، فكما حق عذابي على أولئك المكذبين فلم يقدروا على

---

(١) جامع البيان ٥٢/٢٤.

(٢) التحرير والتنوير ٨٧/١١-٨٨.

الدفاع عن أنفسهم أو النجاة من الهلاك، فكذلك قريش إذا حق عليهم عذابي، لا يستطيعون النجاة منه أو الفرار عنه.

قال البقاعي رحمه الله:"(وَكَذَٰلِكَ) أي ومثل ما حقت عليهم كلمتنا بالأخذ، فلم يقدروا على التفصي من حقوقها"[١].

(١) نظم الدرر ٢٩٢/٧.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ غافر: ٣٤-٣٥

أركان التشبيه:

في هذه الآية تشبيهان أما الأول فتحليله:

المشبه: ضلال المسرفين المرتابين.

المشبه به: ضلال قوم فرعون.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الضلال بعد وضوح الحق وبيانه.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: الطبع على قلب المتكبر الجبار.

المشبه به: الطبع على قلوب قوم فرعون، أو الطبع على قلب كل مسرف مرتاب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التكبر عن اتباع الحق بعد وضوحه وبيانه.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن أهل مصر أنه قد جاءهم رسول من قبل موسى عليه السلام، وهو يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام جميعا، وبه قال الطبري[(١)]، والبغوي[(٢)]، وغيرهما.

---

(١) جامع البيان ٢٤/٧٤.

(٢) معالم التنزيل ٧/١٤٨.

و قيل: بل هو حفيده يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب[١].

وقيل: رسول من الجن اسمه يوسف[٢]

قال ابن الجوزي رحمه الله:"وليست هذه الأقول بشيء"[٣]. يعني القولين الأخيرين.

والمقصود من الكل شيء واحد وهو أن يوسف عليه السلام جاء قومه بالبينات، وهي الدلائل الواضحات، التي تؤيد ما جاء به من الحق، ومنها قوله تعالى:﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ ﴾ يوسف: ٣٩، وتعبير الرؤيا، وحادثة شق القميص حين شهد شاهد من أهل امرأة العزيز، وغيرها.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"والبينات التي جاء بها يوسف لم تعين لنا حتى نقف على معجزاته"[٤]. مما يدل على إرادة عموم الآيات التي جاء بها عليه السلام.

و قوله سبحانه:(فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ): أي: لم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:"من عبادة الله وحده لا شريك له"[٥].

و قال ابن كثير رحمه الله:"فما أطاعوه تلك الساعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي؛ ولهذا قال: (فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ زِلۡتُمۡ "[٦].

قوله تبارك وتعالى:(حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ): أي فلما مات يوسف عليه السلام أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة[٧].

قال الإمام الرازي رحمه الله:"وإنما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان، بل إنما ذكروا ذلك ليكون ذلك أساساً لهم في تكذيب الأنبياء الذين يأتون

---

(١) الكشاف ١١٢/٦، ومفاتيح الغيب ٦٣/٢٧.

(٢) النكت والعيون ٣٧/٤.

(٣) زاد المسير ٢٢١/٧.

(٤) المحرر الوجيز ١٣٨/١٤.

(٥) معالم التنزيل ١٤٨/٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣٠٧٧/٧.

(٧) معالم التنزيل ١٤٨/٧.

بعد ذلك، وليس في قولهم (لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ) لأجل تصديق رسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من هو بعده مضموماً إلى تكذيب رسالته"(١).

و قولهم هذا يتضمن نفي الرسول، ونفي بعثته(٢).

وقال الألوسي:"ويجوز أن يكون الشك في رسالته على حاله وبتهم إنما هو بتكذيب رسالة غيره من بعده"(٣).

و قوله تعالى:(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ): أي كما أضل سبحانه قوم يوسف عليه السلام بعد مجيئه لهم بالبينات، وكما أضل قوم فرعون بعد مجيء موسى عليه السلام لهم بالبينات، يضل الله تعالى من هو مسرف غالٍ في عصيانه وكفره بالله مرتاب شاك في دينه وأخبار رسله عليهم الصلاة والسلام.

و في الآية تعريض بمشركي قريش إذ لم ينتفعوا بهذه البينات التي جاءت على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنهم سيضلون كما ضل من قبلهم فيحق عليهم العذاب والهلاك.

و قوله تعالى:(ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ) هذا زيادة وصف وبيان للمسرفين والمرتابين بأنهم يخاصمون في آيات الله البينة التي جاءت بها رسله عليهم السلام، ليردوها ويدحضوها بحجج باطلة ليس عليها سلطان واضح، ولا فيها بيان راجح، وجاء الفعل بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدد مجادلتهم وتكررها وأنهم لا ينفكون عنها. وهذا صريح في ذمهم وكنايةٌ عن ذم جدالهم الذي أوجب ضلالهم(٤).

قال الإمام الرازي رحمه الله:"(بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ) أي بغير حجة، بل إما بناء على التقليد المجرد، وإما بناء على شبهات خسيسة... وفي ذمه لهم بأنهم يجادلون بغير سلطان دلالة على أن الجدال بالحجة حسن وحق وفيه إبطال للتقليد"(٥).

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٣/٢٧.

(٢) البحر المحيط ٤٦٤/٧.

(٣) روح المعاني ٦٧/٢٤.

(٤) التحرير والتنوير ١٤٢/١١.

(٥) مفاتيح الغيب ٦٣/٢٧.

و المراد بإتيانه: إما من قبل الله تعالى على أيدي الرسل عليهم السلام فيكون ذاك إشارة إلى الدليل النقلي، وإما بطريق الإفاضة على العقول فيكون ذاك إشارة إلى الدليل العقلي، وقد يعمم فيكون المعنى يجادلون بغير حجة صالحة للتمسك بها أصلاً لا عقلية ولا نقلية.

و قوله تعالى:(كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ): أي إن هذه المجادلة لرسل الله تعالى بالباطل عظم مقتها عند الله تعالى وعند عباده المؤمنين.

و عطف الله تعالى المؤمنين عليه فيه إشارة إلى فضلهم، وثناء عليهم لأنهم يكرهون الباطل كما يكرهه الله تعالى، وأيضا تحذير لهم من الجدال، وأمر بالإعراض عن المجادلين(١).

(كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ): أي مثل هذا الطبع على قلب من أتته الآيات الواضحة ثم لم ينقد لها، يطبع الله تعالى على قلوب المتكبرين عن اتباع الحق، الجبارين على الخلق.

ووصف القلب بالتكبر والتجبر، لأنه مركزهما ومنبعهما(٢).

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مجملان؛ ذكرت أداتهما و لم يذكر وجههما.

و التشبيه الأول يؤكد على أن طرفي التشبيه يشتركان في الإعراض عن الحق بعد وضوحه وبيانه وهو يتضمن وصفهما بالإسراف والارتياب؛ فالإسراف يمنع من محاسبة النفس، وإيقافها عن غيها مع بيان الحق لها، فيستزيد المسرف من العصيان حتى يعمى قلبه،فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما وافق هواه، والارتياب يضعف عزم القلب عن اتباع الحق والانقياد له.

و لأن الطرفين قد اشتركا في الإعراض عن الحق بعد وضوحه فقد استحقا الجزاء وهو الإضلال.

أما التشبيه الثاني، فهو يؤكد أن الطبع على القلب جزاء للتكبر والجبروت، ففيه زيادة بيان لأسباب الضلال عن الحق، والطبع على القلب، وذلك بالتكبر الذي هو رد الحق،

(١) التحرير والتنوير ١٤٤/١١.

(٢) الكشاف ١١٢/٦.

والجبروت على الناس الذي يحمل معنى الظلم.

و الضلال والطبع مترتبان على بعضهما، فسبب الضلال الطبع على القلب، وسبب الطبع على القلب الضلال عن الحق.

و لعل الغرض من التشبيهين هنا، هو أخذ العظة والعبرة، بالبعد عن الأسباب الـــواردة حذرا من الجزاء المترتب عليها.

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ غافر: ٦٣

أركان التشبيه:

المشبه: صرف الجاحدين بآيات الله تعالى عن الحق.

المشبه به: صرف الكافرين من كفار قريش ومن قبلهم من الأمم السابقة عن الهدى والحق إلى الضلال والباطل.

و يجوز أن يكون المشبه هو صرف كفار قريش، والمشبه به صرف من قبلهم من الأمم السابقة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإعراض عن الآيات الواضحة وعدم الانتفاع بها.

تفسير الآية:

ذكر سبحانه وتعالى قبل هذه الآية آية جعل الليل سكنا لعباده، وجعل النهار مبصرا لكسب معاشهم، وأنه خلق كل شيء، ثم خاطب المشركين: كيف تنصرفون عن الحق إلى الباطل بعد ظهور هذه الآيات، ووضوح هذه الحجج البينات، وذلك بعبادتكم للأصنام التي لا تخلق شيئا، بل هي مخلوقة مصنوعة بأيديكم.

ثم قال تعالى بعدها: (كَذَٰلِكَ): أي مثل هذا الانصراف والترك للهدى والخير، يصرف الله تعالى ويضل الجاحدين بآياته، المنكرين لها عنادا ومكابرة.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول: كذهابكم عنه أيها القوم، وانصرافكم عن الحقّ إلى الباطل، والرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله، يعني: بحجج الله وأدلته يكذّبون فلا يؤمنون؛ يقول: فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم، وركبتم محجتهم في الضلال"(١).

و قال ابن كثير رحمه الله: "كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله، كذلك أفك الذين من قبلهم، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى، وجحدوا حجج الله وآياته"(٢).

(١) جامع البيان ٩٣/٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٠٨٦/٧.

فدل هذا على أن كل من تكبر عن حق فأنكره مع علمه به، عوقب بمسخ القلب وعكس الفهم، فصار له الصرف عن وجوه الدلائل إلى أقفائها ديدناً بحيث يموت كافراً إن لم يتداركه الله برحمة منه(١).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل، ذكرت أداته ووجهه، وهو الوصف الذي ذكره الله تعالى في المشبه إيماء إلى العلة التي بها حصلت العقوبة وهي الصرف عن الحق والهدى، ألا وهو جحود آيات الله تعالى والإعراض عنها عنادا ومكابرة.

و الغرض من التشبيه هو أخذ العظة والعبرة، وعدم الاتصاف بالصفات التي استحقوا بها العقوبة، حذرا من أن يصيبهم ما أصاب أولئك.

و في حالة اعتبار المشبه به هو كفار قريش زيادة معنى، وهو أنهم قد بلغو الغاية في الإعراض عن آيات الله تعالى بحيث لو أراد أحد أن يشبههم لما وجد أبلغ من تشبيههم بأنفسهم.

قال ابن عاشور رحمه الله:"ويكون التشبيه مبالغة في أن إفكهم بلغ في كنه الأَفك النهاية بحيث لو أراد المقرِّب أن يقربه للسامعين بشبيه له لم يجد شبيهاً له أوضح منه وأجلى في ماهيته فلا يسعه إلا أن يشبهه بنفسه"(٢).

أما إذا اعتبرنا صرف الله تعالى للأمم السابقة مشبها به فيكون المشبه شاملا لكل من اتصف بصفة الجحود بآيات الله والإعراض عنها، ممن جاء بعد قريش إلى قيام الساعة.

و في التشبيه دلالة على أن الضلال والغواية شأن كل من جحد بآيات الله تعالى وأعرض عنها بعد وضوحها وبيانها، وهذا أصل عظيم في الأخلاق العلمية، فإن العقول التي تتخلق بالإِنكار والمكابرة قبل التأمل في المعلومات تصرف عن انكشاف الحقائق العلمية فتختلط عليها المعلومات ولا تميّز بين الصحيح والفاسد(٣).

---

(١) نظم الدرر ٣٣٧/٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٨/١١.

(٣) التحرير والتنوير ١٨٨/١١-١٨٩.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ غافر: ٧٣ - ٧٤

أركان التشبيه:

المشبه: إضلال الكافرين عن العمل بما ينفعهم في الآخرة.

المشبه به: إضلال المجادلين في آيات الله عن.

و يجوز أن يكون العكس، أو أن يكون المشبه به، ضلال الآلهة المعبودة من دون الله تعالى عن عابديها يوم القيامة، وعدم قدرتها على نفعهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الضلال عن الحق البين الواضح.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن الذين يجادلون في آياته والمكذبين بكتابه وبما أرسل به رسله أنهم من أهل النار وأنه يقال لهم يوم القيامة تقريعا وتوبيخا على ما كان منهم:(أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ) أي: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه[١].

و إنما جاء القول بلفظ الماضي (قِيلَ)؛ للدلالة على تحقق الوقوع[٢].

و يقال لهم هذا قبل دخولهم النار، بدليل قوله تعالى بعدها:﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ غافر: ٧٦) وذلك يتضمن تعذيبا نفسيا لهم، وتحقيرا لآلهتهم، لأن المعبود يدخر لوقت الحاجة ويلتمس منه جلب الخير ودفع الضر.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والاستفهام هنا مستعمل في التنبيه على الغلط والفضيحة في

---

(١) جامع البيان ٢٤/٩٨-٩٩.

(٢) روح المعاني ٢٤/٨٦.

الموقف فإنهم كانوا يزعمون أنهم يعبدون الأصنام ليكونوا شفعاء لهم من غضب الله فلما حق عليهم العذاب فلم يجدوا شفعاء ذكروا بما كانوا يزعمونه"(١).

فيجيب المساكين بقولهم:(ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا) أي: غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نستطيع أن نستشفع بهم، ويقولون أيضا:(بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا) وفي قولهم هذا أقوال:

قيل: معنى ذلك أنه لما كان في قولهم (ضَلُّواْ عَنَّا) اعتراف ضمني بشركهم، رجعوا فأنكروا وقالوا: بل لم نكن نعبد أحدا كذبا منهم وجحودا.

و قيل: معنى ذلك أنه تبين لنا الآن أننا لم نكن نعبد شيئا يعتد به.

و قيل: معنى ذلك أن عبادتنا لهم قد ضاعت فكأننا لم نصنع شيئا من قبل.

والقولان الأخيران يتضمنان اعتراف بخطئهم وندم على قبيح فعلهم حيث لا ينفع ذلك، ومعناهما واحد فهم بعبادتهم شيئا لا يعتد به تضيع العبادة فكأنهم لم يصنعوا شيئا، وكذلك تضيع عبادتهم عندما يعبدون شيئا لا يعتد به، فرجعت الأقوال إلى قولين.

قال ابن عاشور رحمه الله:"ويجوز أن يكون لهم في ذلك الموقف مقالان، وهذا كله قبل أن يحشروا في النار هم وأصنامهم فإنهم يكونون متماثلين حينئذٍ كما قال تعالى:﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾الأنبياء: ٩٨)"(٢).

و قوله تعالى:(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ) أي: أن الله تعالى يضلهم في الدنيا عن العمل بما ينفعهم في الآخرة، مما يقربهم من رحمة الله ورضوانه.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه، وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النار، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء"(٣).

و قيل: أن الله تعالى يضلهم عن طريق الجنة فلا يهتدون إليها، ذكره الإمام الرازي رحمه

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠٤/١١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠٥/١١.

(٣) جامع البيان ٩٩/٢٤.

الله[1].

و ضلالهم هذا عن طريق الجنة ليس فيه من الخزي والعذاب مثل ما في سلوكهم لطريق النار مع علمهم بذلك.

و قيل: أن المراد به هنا المعنى اللغوي، كما قال الزمخشري:"مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا"[2].

و قيل: هو بمعنى الإبطال فكما أبطل الله تعالى أعمال أولئك فلم ينتفعوا بها كذلك سبحانه يبطل أعمال جميع الكافرين[3].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و هو جار على أصله في إلحاق الناقص بالكامل في الوجه المشترك، فإن كان المشبه هو إضلال جميع الكافرين والمشبه به إضلال الله تعالى للمجادلين في آياته، ففيه زيادة معنى، وهو أن المجادلين في آيات الله تعالى قد ضلوا عن الحق ضلالا لا نظير له بحيث لو أراد أحد أن يشبهه بشيء لم يجد إلا أن يشبهه بنفسه، وهذا هو غاية الضلال _نعوذ بالله تعالى منه-.

و أما إن كان ضلال المجادلين في آيات الله تعالى مشبها بضلال جميع الكافرين، فيكون الاشتراك في الضلال عن الحق بعد وضوحه وبيانه، وفيه ازدراء لعقولهم، وتهجين لحالهم، لأن كمال العقل وسلامة الطبع يهديان صاحبهما لإيثار الحق، والرغبة فيه، والنفور من الباطل، والترفع عنه.

و في حالة كون المشبه به ضلال آلهة الكافرين عن عابديها يوم القيامة، فكذلك يضل العابدون عن آلهتهم يوم القيامة فلا يكون مجال للالتقاء والمعاتبة إلا في النار، وهو يتضمن تمني عابدي الآلهة الباطلة أن ينتقموا من آلهتهم التي عبدوها بالباطل، حيث تخلوا عنهم أعظم ما كانت الحاجة إليهم، وهم وإن كانوا لن ينتفعوا بهذا اللقاء، ولن يستفيدوا منه شيئا، إلا أن

---

(١) مفاتيح الغيب ٨٩/٢٧.

(٢) الكشاف ١٣٦/٦.

(٣) روح المعاني ٨٦/٢٤.

إظهار الحنق عليهم فيه تخفيف لما نفوسهم من الغيظ والحقد، ولكنهم لا يمكنون من ذلك؛زيادة في تعذيبهم وتكبيتهم.

قال الزمخشري:"مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا"(١).

و هذا لا يعارض ما ورد في آيات القرآن الكريم من أن المشركين يلقون معبوديهم في النار وتجري بينهم الحوارات، كما في حوار الشيطان مع المستجيبين له المبين في سورة إبراهيم، لأن هذه الأحداث كما سبق تكون قبل دخولهم النار، أما بعد دخولهم فيها فإنهم يلقى بعضهم بعضا، ويعاتب بعضهم بعضا، ولكن ولات حين مناص. قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ غافر: ٤٧-٤٨.

---

(١) الكشاف ١٣٦/٦.

قال تعالى ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ فصلت: ١٣

أركان التشبيه:

المشبه: الصاعقة التي أنذرت قريش بها، لو أنها نزلت عليهم.

المشبه به: صاعقة عاد وثمود.

أداة التشبيه: كلمة: (مِّثۡلَ).

وجه الشبه: الاستئصال والهلاك.

تفسير الآية:

يأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأن ينذر كفار قريش إن استمروا في ضلالهم بعد وضوح الحق وبيان الحجة صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، تهلكهم كما أهلكتهم؛ وذلك لأن الإعراض عن الحق بعد وضوحه، إعراض آخر جديد غير الإعراض الأول، فيه مكابرة وعناد.

و سبب هذا الإنذار والتخويف الشديد هو بيان الحق بما لا يدع للشك مسربا إلى النفوس.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"وبيان ذلك لأن وظيفة الحجة قد تمت على أكمل الوجوه، فإن بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذٍ علاج في حقهم إلا إنزال لعذاب عليهم فلهذا السبب قال: (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ) بمعنى أن أعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة التي ذكرناها وأصروا على الجهل والتقليد"[(١)].

و الإنذار: التخويف، وهو هنا تخويف بتوقع عقاب مثل عقاب الذين شابهوهم في الإعراض خشيةَ أن يحلّ بهم ما حل بأولئك[(٢)].

و الصاعقة: كلّ ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته[(٣)]، والحاصل أنه عذاب شديد الوقع كأنه في شدة وقعه صاعقة[(٤)].

---

(١) مفاتيح الغيب ١١١/٢٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥٢/١١.

(٣) جامع البيان ١١٦/٢٤.

(٤) نظم الدرر ٣٤٦/٧.

وخص الله عاداً وثمود بالذكر لوقوف قريش على بلادها في اليمن وفي الحِجْر في طريق الشام[١].

قال البقاعي رحمه الله:"ولما كان التخويف بما تسهل مشاهدة مثله أوقع في النفس قال: ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي الذين تنظرون ديارهم وتستعظمون آثارهم[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و فيه فائدتان:

أولاهما: أن العذاب الذي أهلك الله به كلا من عاد وثمود، قد بلغ غايته ومنتهاه، إلى أن أصبح مثالا يشبه به، وآيات القرآن الكريم تبين ذلك وتثبته، وهذه الفائدة مستفادة من كون المشبه به عادة، أقوى في وجه الشبه من المشبه.

و الثانية: أن قريشا قد أتوا من الكفر والعصيان، والإعراض عن الحق الواضح البين، أمرا عظيما، أدى إلى تهديدهم وتوعدهم بمثل عذاب عاد وثمود.

و لا نستطيع أن نقارن بين صاعقة عاد وثمود، والصاعقة التي توعد الله بها قريشا؛ لأنه – جل شأنه– لم ينزل عليهم صاعقة تستأصلهم كما استأصلت من قبلهم، بل إنه تعالى أمهلهم –أعني قريشا– حتى آمن كثير منهم، وقد أهلك رؤوس الكفر، كل واحد بعقاب خاص.

و الغرض من التشبيه، التخويف والتهديد، خاصة وأن قريشا تعرف ديار عاد وثمود، وتستعظم ما جرى عليهم من العقوبة.

(١) المحرر الوجيز ١٧٠/١٤.

(٢) نظم الدرر ٣٤٦/٧.

﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ فصلت: ٣٤

أركان التشبيه:

المشبه: الذي بينك وبينه عداوة بعد أن تحسن إليه.

المشبه به: الولي الحميم.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: المحبة والمصافاة.

تفسير الآية:

هذه آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، يخبر سبحانه فيها أنه لا يستوي فعل الحسنات والطاعات التي هي طريق إلى رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي هي سبب سخطه وعقابه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها.

ثم أمر سبحانه بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، والمعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات ، فمن ذلك بذل السلام ، وحسن الأدب ، وكظم الغيظ ، والسماحة في القضاء والاقتضاء وغير ذلك.

فالحسنة المأمور بالدفع بها تعم جميع أفراد جنسها وأُولاها تبادراً إلى الأذهان حسنةُ الدعوة إلى الإسلام لما فيها من جمّ المنافع في الآخرة والدنيا، وتشمل صفة الصفح عن الجفاء الذي يلقَى به المشركون دعوةَ الإسلام لأن الصفح من الإحسان، وفيه ترك ما يثير حميتهم لدينهم ويقرب لين نفوس ذوي النفوس اللينة[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما:"أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤/٢٩٠.

عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوُّهم، كأنه وليّ حميم"[١].

وعن مجاهد قال:"السلام إذا لقيته"[٢].

ولا شك أن السلام هو مبدأ الدفع بالتي هي أحسن وهو جزء منه[٣].

قال عمر رضي الله عنه:"ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه"[٤].

وقوله تعالى:{ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك[٥].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، حيث ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

والغرض منه الترغيب في مقابلة السيئة بالحسنة، وبيان لأثرها، و الوجه محصور في المحبة والمصافاة، والمودة والمؤاخاة؛ إذ لا ينقلب من كان عدوا ليس له قرابة بوجه ما، أن يكون ممن تربطك به قرابة بل المعنى أنه ينقلب في تصرفاته وأفعاله فتكون أفعاله كأفعال القريب الشفيق.

ولما كان الناس في قرابتهم مختلفون قربا وبعدا، ومحبة وموالاة، كان انقلاب أفعال من كانت بينك وبينه عداوة مختلفة من حيث الأثر المترتب على كبر العداوة، ونوع الإحسان المبذول إليه.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والتشبيه تشبيه في زوال العداوة ومخالطة شوائب المحبة، فوجه الشبه هو المصافاة والمقاربة وهو معنى متفاوتُ الأحوال، أي مقول على جنسه بالتشكيك على اختلاف تأثر النفس بالإِحسان وتفاوت قوة العداوة قبلَ الإحسان ، ولا

---

(١) جامع البيان ١٣٧/٢٤.

(٢) جامع البيان ١٣٨/٢٤

(٣) المحرر الوجيز ١٨٦/١٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣١٠٧/٧

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣١٠٧/٧

يبلغ مبلغ المشبَّه به إذ من النادر أن يصير العدوّ وليّاً حميماً"[1].

ويؤكد هذا جعل الحميم القريب مشبها به، للدلالة على أن الوجه فيه أقوى ممن انقلبت عداوته إلى موالاة، وبغضه إلى حب.

ومجيء التشبيه بأداته (كأن) الدالة على تأكيد المعنى، للدلالة على أن الإحسان إلى من كان بينك وبينه عداوة له أثر مباشر في تقليل عداوته، وانقلابها إلى حسن تعامل.

(١) التحرير والتنوير ٢٩٣/٢٤.

قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فصلت: ٣٩

أركان التشبيه:

المشبه: إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم.

المشبه به: إحياء الأرض بعد أن كانت خاشعة.

أداة التشبيه: هذا تشبيه ضمني لا أداة فيه.

وجه الشبه: الحياة بعد الموت، أو القدرة على فعل كل شيء.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا أن من الآيات الدالة على قدرته وعظمته، (أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً) والخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكل من يصلح له الخطاب، ممن له عقل، ويصح منه النظر.

و الأرض الخاشعة هي اليابسة، القاحلة المغبرة، التي قد مات زرعها، فإذا أنزل الله عليها المطر، فإنها تحيا بذلك وعلامة حياتها، إخراجها لزروعها وثمراتها، وإنباتها من كل زوج بهيج.

و وصف الأرض بالاهتزاز يعني: أنها أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه[١].

و وصفها بأنها (وَرَبَتْ) فهو بمعنى: انتفخت لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت، ثم تصدعت عن النبات[٢].

(إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ): قال الإمام الطبري رحمه الله:"إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم"[٣].

---

(١) الكشاف ١٦٢/٦.

(٢) مفاتيح الغيب ١٣١/٢٧.

(٣) جامع البيان ١٤١/٢٤.

و أكد هذا الخبر بنون التوكيد لمراعاة حال المنكرين[1].

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء تعلقت به إرادته، فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه ضمني تمثيلي، فالمشبه به صورة مكونة من نزول الماء على الأرض الميتة ثم حياتها بعد موتها، وقد سبقت الإشارة إلى صلاحية أن يكون الوجه، إما الحياة بعد الموت، أو القدرة الكاملة التي لا يعجزها شيء، خاصة وقد صرح سبحانه بذكر القدرة هنا، وجعلها خاتمة الآية كالتقرير للسامع حتى يخرج عن العجب بإحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم. أو يكون الوجه كونهم ينشأون من عجب الذنب كما تنبت الأرض أشجارها وتخرج ثمارها من بذور ميتة لا حياة فيها.

قال ابن عاشور رحمه الله:"وشُبه إمداد الأرض بماء المطر الذي هو سبب انبثاق البزور التي في باطنها التي تصير نباتاً بإحياء الميت، فأطلق على ذلك (أَحْيَاهَا) على طريق الاستعارة التبعية، ثم ارتُقي من ذلك إلى جَعل ذلك الذي سمي إحياء لأنه شبيه الإحياء دليلاً على إمكان إحياء الموتى بطريقة قياس الشبه، وهو المسمى في المنطق قياس التمثيل، وهو يفيد تقريب المقيس بالمقيس عليه.

وليس الاستدلال بالشبه والتمثيل بحجة قطعية، بل هو إقناعي. ولكنه هنا يصيرُ حجة؛ لأن المقيس عليه وإن كان أضعف من المقيس؛ إذ المشبه لا يبلغ قوة المشبه به، فالمشبه به حيث كان لا يَقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة لذاته فقد تساوى فيه قويُّه وضعيفه، وهم كانوا يحيلون إحياء الأموات استناداً للاستبعاد العادي، فلما نُظِّر إحياء الأموات بإحياء الأرض المشبه تم الدليل الإقناعي المناسب لشبهتهم الإِقناعية. وقد أشار إلى هذا تذييله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾"[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠٣/١١.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٣/١١.

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ الشورى: ٣

أركان التشبيه:

المشبه: الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم والوحي إلى الأنبياء عليهم السلام قبله.

المشبه به: المشار إليه بقوله تعالى (ذلك) وهو الإيحاء، أو الآيات التي قبلها، أو العذاب، أو غير ذلك مما يرد في التفسير

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: المساواة بين الإيحاء السابق للنبي صلى الله عليه وسلم وبين الإيحاء اللاحق به مع إفادة التجدد والاستمرار، أو بين الإيحاء إليه وإلى الأنبياء السابقين عليهم السلام، أو بين الحروف المقطعة والإيحاء إليه وإلى من قبله من الأنبياء عليهم السلام.

تفسير الآية:

اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى في المشار إليه في بداية هذه الآية على أقوال:

الأول: أن المشار إليه هي الحروف المقطعة في أول السورة وهي قوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ ﴾ الشورى: ١-٢)[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه" ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ ﴾ الشورى: ١-٢)"[٢].

قال الرازي رحمه الله معلقا: "و هذا عندي بعيد"[٣].

الثاني: أخبار الغيب فيكون المعنى: كذلك نوحي إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى مَنْ قَبْلَكَ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا[٤].

الثالث: أي مثل ذلك الوحي. أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل (مِن قَبۡلِكَ

---

(١) جامع البيان ١٢/٢٥.

(٢) معالم التنزيل ١٨٤/٧.

(٣) مفاتيح الغيب ١٤٣/٢٧.

(٤) زاد المسير ٢٧٢/٧.

ﷲ) يعني: أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من قبلك إلى رسله[١].

قال الألوسي: كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما في تضـــاعيف الكتب المنزلة على سائر الرسل المتقدمين في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق"[٢].

الرابع: أن (﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ الشورى:١-٢) نزلت في أمر العذاب، فقيل: كذلك نُوحِي إليكَ أن العذاب نازلٌ بمن كذَّبك كما أوحينا ذلك إلى مَنْ كان قَبْلَكَ، قاله مقاتل[٣].

الخامس: أن المشار إليه هو الإيحاء، وخصه الإمام أبو حيان رحمه الله بالقرآن فقال:"أي مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي كفر به هؤلاء،(يُوحِيٓ إِلَيۡكَ)[٤].

و جعله الإمام ابن كثير رحمه الله عاما يشمل الوحي إلى الأنبياء السابقين عليهم السلام فقال:"كما أنزل إليك هذا القرآن، كذلك أنزل الكتب والصحف على الأنبياء قبلك"[٥].

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله:"وتقديم المجرور من قوله:(كَذَٰلِكَ) علـــى (يُوحِيٓ إِلَيۡكَ) للاهتمام بالمشار إليه والتشويق بتنبيه الأذهان إليه، وإذ لم يتقدم في الكلام ما يحتمل أن يكون مشاراً إليه بـــ(كَذَٰلِكَ) عُلم أن المشار إليه مقدر معلوم من الفعل الذي بعد اسم الإشـــارة وهو المصدر المأخوذ من الفعل، أي كذلك الإيحاء يوحي إليك الله"[٦].

والعدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في قوله: (يُوحِيٓ) للدلالة على أن إيحاءه إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام متجدد لا ينقطع في مدة حياته الشريفة لييأس المشركون من إقلاعه[٧].

قال العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله:"وقرأ هذا الحرف عامة السبعة غير ابـــن كـــثير

---

(١) الكشاف ١٧٤/٦.

(٢) روح المعاني ١٠/٢٥-١١.

(٣) زاد المسير ٢٧٢/٧.

(٤) البحر المحيط ٥٠٧/٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣١١٥/٧.

(٦) التحرير والتنوير ٢٧/١٢.

(٧) البحر المحيط ٥٠٧/٧.

(يُوحِىٓ) بكسر الحاء بالبناء للفاعل، وعلى قراءة الجمهور هذه فقوله: (ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) فاعل يوحي.

وقرأه ابن كثير (يُوحَى إليك) بفتح الحاء بالبناء للمفعول، وعلى هذه القراءة، فقوله: الله العزيز الحكيم، فاعل فعل محذوف تقديره: يوحي"(١).

وقوله: (ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ) أي: في انتقامه، (ٱلْحَكِيمُ) في أقواله وأفعاله.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و على القول الأول في المشار إليه يستفاد أن القرآن الكريم معجز بلفظه، وأنه من عند الله تعالى؛ فإذا كان القرآن الكريم يتكون من مثل هذه الأحرف التي هي: الحاء، والميم، والعين، والسين، والقاف، وهي من جنس الأحرف التي يتكلم بها العرب، وثبت عجزهم عن الإتيان بمثله، فدل هذا على إعجازه.

و أما على الأقوال الأخرى فيكون الغرض من التشبيه فيها التسوية بين الطرفين.

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله:"والمعنى: مِثْلَ هذا الوحي يُوحِي الله إليك، فالمشار إليه: الإيحاء المأخوذ من فعل (يُوحِىٓ). وأما (وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) فإدماج، والتشبيه بالنسبة إليه على أصله، أي مثل وحيه إليك وحيه إلى الذين من قبلك، فالتشبيه مستعمل في كلتا طريقتيه كما يستعمل المشترك في معنييه. والغرض من التشبيه إثبات التسوية، أي ليس وحي الله إليك إلا على سنة وحيه إلى الرّسل من قبلك، فليس وحيه إلى الرّسل من قبلك بأوضح من وحيه إليك"(٢).

---

(١) أضواء البيان ٧/١٥٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦/١٢.

قال تعـــالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ ﴾ الشورى: ٧

أركان التشبيه:

المشبه: الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيا.

المشبه به: المشار إليه بقوله تعالى(ذلك) وهو معنى الآية قبلها، أو الإيحاء، أو قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ).

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإنذار، أو رفعة كلام الله تعالى وعلو شأنه، أو التشابه بين الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبين الوحي إلى الأنبياء السابقين عليهم السلام.

تفسير الآية:

اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى في المشار إليه في قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ).

قال بعضهم: هو معنى الآية قبلها: من أنّ الله تعالى هو الرقيب عليهم، وما أنت يا رسولنا برقيب عليهم، ولكن نذير لهم[١].

قال أبو حيان: "(وَكَذَٰلِكَ) أي: ومثل هذا الإيحاء والقضاء، إنك لست بوكيل علـــيهم، (أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا)"[٢].

و قال بعضهم: الإشارة إلى مصدر أوحينا، أي: ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينـــا إليك قرآناً عربياً بلسانك ولسان قومك، بين المعاني لهم، يفهمونه ويعلمون المراد به[٣].

و قيل: المشار إليه هو قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك، (أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا)

---

(١) الكشاف ٦/١٧٧.

(٢) البحر المحيط ٧/٥٠٨.

(٣) الكشاف ٦/١٧٧.

أي: واضحا جليا بينا"[١].

و قال الإمام ابن عاشور رحمه الله:"عطف على جملة ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ باعتبار المغايرة بين المعطوفة والمعطوف عليها بما في المعطوفة من كون المُوحَى به قرآناً عربيّاً، وما في المعطوف عليها من كونه من نوع ما أوحي به إلى الذين من قبله... مع ما حصل بتلك الإعادة من التأكيد لتقرير ذلك المعنى أفضل تقرير... وفي هذا إشارة إلى أنه لا فرق بين ما أوحي إليك وما أوحي إلى مَن قبلك، إلا اختلاف اللّغات[٢].

و خص الله تعالى القرآن بكونه عربيا لأنه واضح بيِّن لهم، لا يحتاجون معه إلى آخر سواه ولا محتج غيره؛ إذ فهمه متأت لهم[٣].

و قوله سبحانه:﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ أي أهل أم القرى لأن البلاد لا تعقل[٤]، ولذلك عطف عليها (من)، وهي في الأغلب لمن يعقل[٥]، وأم القرى هي مكة، سماها تعالى بذلك إجلالاً لها؛ لأن فيها البيت ومقام إبراهيم، ولأنها أشرف من سائر البلاد، لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها.

ومن أوجز ذلك وأدله ما رواه الإمام أحمد: عن عبد الله بن عَدِي بن الحمراء الزهري: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول -وهو واقف بالحَزْوَرَة في سوق مكة-:"والله، إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجت"[٦].

قال البقاعي رحمه الله:"أم القرى: مكة التي هي أم الأرض وأصلها، منها دحيت، ولشرفها أوقع الفعل عليها، عدا لها عداد العقلاء"[٧].

وخص أهل مكة بالذكر لأن السورة مكية، وهم أقرب إليه عليه الصلاة والسلام وأول

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣١١٦/٧.

(٢) التحرير والتنوير ٣٥/١٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٤/٦.

(٤) مفاتيح الغيب ١٤٨/٢٧.

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٥/١٤.

(٦) المسند برقم(١٨٧١٥-١٨٧١٦). ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٤٢٥٢) والترمذي برقم (٣٩٢٥) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه برقم (٣١٠٨).

(٧) نظم الدرر ٣٨٦/٧.

من أنذر، أو لدفع ما يتوهم من أن أهل مكة ومن حولها لهم طمع في شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن لم يؤمنوا؛ لحق القرابة والمساكنة والجوار فخصهم بالإنذار لإزالة ذلك الطمع الفارغ[١]، أو لأنهم المقصود بالردّ عليهم لإنكارهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم[٢].

والاقتصار على إنذار أمّ القُرى ومن حولها لا يقتضي تخصيص إنذار الرّسول صلى الله عليه وسلم بأهل مكة ومَن حولها، ولا تخصيص الرّسول صلى الله عليه وسلم بالإنذار دون التبشير للمؤمنين؛ لأن تعليل الفعل بعلة باعثه لا يقتضي أن الفعل المعلّل مخصص بتلك العلّة ولا بمتعلِّقاها إذ قد يكون للفعل الواحد عللُ كثيرة باعثة عليه ولكن جاء النص بذكر بعضها[٣]، ولأن من حول أم القرى شامل لجميع أهل الأرض كما روى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما: (وَمَنْ حَوْلَهَا) من القرى إلى المشرق والمغرب، وقال: (وَمَنْ حَوْلَهَا): الأرض كلها"[٤].

و لو سلمنا تسليماً جدلياً، أن قوله تعالى (وَمَنْ حَوْلَهَا) لا يتناول إلا القريب من مكة المكرمة حرسها الله، كجزيرة العرب مثلاً، فإن الآيات الأخر، نصت على العموم كقوله: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ وذكر بعض أفراد العام بحكم العام، لا يخصصه عند عامة العلماء[٥].

و قوله: (وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ) يوم الجمع هو يوم القيامة وسمي بذلك لاجتماع الخلائق،، أو اجتماع الأرواح بالأجساد، أو أهل الأرض بأهل السماء، أو الناس بأعمالهم، والمنذر به هو ما يقع في يوم الجمع من الجزاء وانقسام الجمع إلى الفريقين[٦].

و خص الله تعالى النذارة به زيادة في الإنذار وبياناً لعظمة أهواله لأن الإفراد بالذكر يدل

---

(١) روح المعاني ١٣/٢٥.

(٢) التحرير والتنوير ٣٦/١٢.

(٣) التحرير والتنوير ٣٦/١٢.

(٤) جامع البيان ٣١٤/٧.

(٥) أضواء البيان ١٥٩/٧.

(٦) البحر المحيط ٥٠٩/٧.

عليه[1].

و صرح الله بأنه لا ريب فيه: أي لاشك في وقوعه لا محالة؛ لأنه مقتضى العقل للعلم بعدل الله تعالى وحكمته.

قال الإمام البقاعي رحمه الله:"(لَا رَيْبَ فِيهِ) أي لأنه قد ركز في فطرة كل أحد أن الحاكم إذا استعمل عبيده في شيء ثم تظالموا فلا بد له بما تقتضيه السياسة من جمعهم لينصف بينهم وإلا عد سفيهاً، فما ظنك بأحكم الحاكمين"[2].

و المقصود بقوله تعالى (لَا رَيْبَ فِيهِ) أي في نفسه وذاته، وارتياب الكفار فيه لا يعتد به"[3].

قوله تعالى: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) أي عندما يجمع الله تعالى خلقه في يوم الجمع الذي لا شك في وقوعه وكونه لا محالة، فإن الله تعالى يقسم خلقه إلى فريقين:

(فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ): وهم الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين.

(وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ): وهم أصناف الكفرة المكذبين.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و يستفاد من التشبيه عند اعتبار القول الأول، التأكيد على معنى الآية السابقة من أن النبي صلى الله عليه وسلم منذر ومبلغ عن الله تعالى، ليس عليه هداية الناس هداية توفيق كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ البقرة: ٢٧٢ وأن الله تعالى أوحى إليه هذا القرآن ليكون معينا له على الإنذار، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الأعراف: ٢

(١) روح المعاني ١٣/٢٥، وانظر أيضا التحرير والتنوير ٣٧/١٢.

(٢) نظم الدرر ٣٨٧/٧.

(٣) المحرر الوجيز ٢٠٥/١٤.

و يستفاد منه أيضا أن القرآن الكريم منذر بذاته؛ بما فيه من الوعد والوعيد، والآيـــات الدالة على قدرة الله تعالى وعظمته، وهو أمر لا يخفى على من قرأه وتدبره، خاصة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

و على اعتبار القول الثاني يستفاد من التشبيه، وضوح آيات القرآن الكريم وبيان معانيها، وموافقتها للفطرة والعقل السليم.

و يستفاد أيضا أن القرآن الكريم لا يوجد ما يشبه به إلا نفسه، وهذا يدل على أنه أرفع كلام وأعلاه وأشرفه، وأحسنه وأجمله، إذ لا يوجد كلام يشابهه في الحسن، أو يدانيه.

و يستفاد من التشبيه على اعتبار القول الثالث، أن الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو من جنس الوحي إلى الأنبياء السابقين، وأنه عليه الصلاة والسلام ليس بدعا منهم، مع ما في الآية من تخصيص الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه باللسان العربي.

و أيضا يستفاد منه التأكيد والتقرير على إنزال الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشورى: ٣٢

أركان التشبيه:

المشبه: السفن العظيمة الجارية في البحر.

المشبه به: الأعلام. والمقصود بها الجبال. وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علامة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: شكلها وعظمها وضخامتها وارتفاعها وكونها دلالة على عظمة الله تعالى.

تفسير الآية:

يخبر جل في علاه أن من آياته الدالة على قدرته وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه السفن الصغيرة والعظيمة التي تشبه في عظمتها وضخامتها الجبال الرواسي بأمره تعالى.

و المقصود بالجواري: السفن العظيمة التي تسع ناساً كثيرين، والعبرة بها أظهر والنعمة بها أكثر[1].

و عدل عن لفظ الفلك إلى(ٱلْجَوَارِ) إيماء إلى محل العبرة؛ لأن العبرة في تسخير البحر لجريها وتفكير الإنسان في صنعها[2].

قوله سبحانه:(كَٱلْأَعْلَٰمِ): أي كالجبال، واحدها: علم. وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم[3].

و قال الألوسي: والاعلام جمع علم وهو الجبل وأصله الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش وسمى الجبل علماً لذلك، ولا اختصاص له بالجبل الذي عليه النار للاهتداء. بل إذا أريد ذلك قيد[4].

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٠٥.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/١٠٥.

(٣) معالم التنزيل ٧/ ١٩٦.

(٤) روح المعاني ٢٥/٤٢.

أثر التشبيه:

هذا التشبيه من تشبيه المفرد بالمفرد وهو تشبيه مرسل ومجمل؛ فقد ذكرت أداته، و لم يذكر وجهه. ويشترك الطرفان في الوجه من جهة حسية وأخرى معنوية.

فالحسية من جهة العظم والضخامة وسعة المساحة، وكذلك في الارتفاع.

قال البقاعي: (فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ) أي الجبال الشاهقة بما لها -أي السفن الجارية- من العلو في نفسها عن الماء ثم بما يوصلها وما فيه من الشراع عليها من الارتفاع[1].

و المعنوية من جهة أن الطرفين فيهما هداية ودلالة. ونجد في التشبيه أن الله تعالى شبه الجواري بالجبال، وعلى القول الآخر شبهها بكل شيء مرتفع عن الأرض من جهة كونها أعلام، أي علامات يستدل بها ويهتدى.

فالجبال تعتبر علامات هداية ودلالة يستدل بها الناس على صحة الطريق التي يسلكونها في أسفارهم. وهي كذلك علامة هداية ودلالة تدل على وجود الله تعالى وعظيم قدرته وسلطانه، برسوها وثباتها وارتفاعها قال تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾) الغاشية.

و بكونها أوتادا مثبة للأرض تمنعها من الاضطراب والتحرك إلا بقدرة الله تعالى قال سبحانه: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ النبأ: ٧

و تدل على عظمة الله تعالى من أنه سبحانه ينسفها يوم القيامة قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ طه: ١٠٥-١٠٧.

و كذلك السفن العظيمة الجارية في البحر تدل على عظمة الله تعالى. فهي مع ضخامتها وعظمها فإن الذي يحركها ويجريها هو الله تعالى ولذلك قال سبحانه بعدها: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ الشورى: ٣٣ - ٣٤

---

[1] نظم الدرر ٧/٤١٦.

فإذا أمسك سبحانه الريح ظلت راكدة على وجه البحر لا تتحرك، أو إن يشأ سبحانه يوبقها إما بالإغراق والدمار، أو بإرسال الرياح العاصفة التي تفقد ربانها السيطرة عليها وتصبح الأمواج تقذف بالسفينة إلى كل جهة، ولو اجتمع الناس على أن يحركوا السفينة العظيمة ما قدروا على ذلك.

ولا يمنع هذه الدلالة ما يوجد في العصر الحديث من الوقود وسائر الابتكارات التي تحرك السفن؛ فإن الذي هدى الناس إليها هو الله تعالى، وهو سبحانه الذي أودع فيها قوة التحريك.

قال سيد قطب رحمه الله: وغير الريح من القوى التي سخرت للإنسان في هذا الزمان من بخار أو ذرة أو ما يشاء الله بعد الآن مَنْ جعلها قوة في هذا الكون تحرك الجواري في البحر كالأعلام؟"[1].

و مع هذا العظم والضخامة فإنها تطفو فوق سطح الماء ويحملها وهو جوهر سيال يعجز عن حمل حجر صغير أو حديدة صغيرة، أو إنسان واحد فكيف سخره الله تعالى لحمل آلاف الأطنان دون أن تغرق الجارية بها والحاملة لها.

قال الرازي رحمه الله:"هذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه، وعند سكون هذه الرياح تقف، وقد بينا بالدليل في سورة النحل، أن محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى، إذ لا يقدر أحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها، وذلك يدل على وجود الإله القادر، وأيضاً أن السفينة تكون في غاية الثقل، ثم إنها مع ثقلها بقيت على وجه الماء، وهو أيضاً دلالة أخرى[2].

و قال أبو حيان رحمه الله: لما ذكر تعالى من دلائل وحدانيته أنواعاً، ذكر بعدها العالم الأكبر، وهو السموات والأرض؛ ثم العالم الأصغر، وهو الحيوان، ثم أتبعه بذكر المعاد، وأتبعه بذكر السفن الجارية في البحر، لما فيها من عظيم دلائل القدرة، من جهة أن الماء جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل، والسفن تشخص بالأجسام الثقيلة الكثيفة، ومع ذلك جعل تعالى للماء قوة يحملها بها ويمنع من الغوص، ثم جعل الرياح سبباً لسيرها، فإذا أراد أن ترسو،

---

(1) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٦

(2) مفاتيح الغيب ١٧٦/٢٧

أسكن الريح، فلا تبرح عن مكانها[١].

و هي كذلك مع عظمها وضخامتها فإن حجمها بالنسبة للبحر كلا شيء، والبحر آية من آيات الله تعالى، وجندي من جنوده، فالعباد وإن ركبوا الجواري فيه فلا خروج لهم عن قدرة الله تعالى.

قال الإمام الرازي: في جمع الجواري وتوحيد البحر وجمع الأعلام فائدة عظيمة، وهي أن ذلك إشارة إلى عظمة البحر، ولو قال: في البحار لكانت كل جارية في بحر، فيكون البحر دون بحر يكون فيه الجواري التي هي كالجبال، وأما إذا كان البحر واحداً وفيه الجواري التي هي كالجبال يكون ذلك بحراً عظيماً وساحله بعيداً فيكون الإنجاء بقدرة كاملة[٢].

و هذه الأوجه السابقة أنسب في هذا المقام لأن سياق الآيات جاء للدلالة على قدرة الله تعالى.

و يمكن القول بأن هذه الجواري في البحر أيضا علامة هداية ودلالة على فضل الله على عباده وسعة نعمته عليهم فهي مع ضخامتها وثقلها مسخرة لمصلحة العباد ينتقلون عليها وينقلون عليها بضائعهم وتجاراتهم.

قال الإمام الرازي: اعلم أنه تعالى ذكر من آياته أيضاً هذه السفن العظيمة التي تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح، واعلم أن المقصود من ذكره أمران أحدهما: أن يستدل به على وجود القادر الحكيم، والثاني: أن يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد... وأما الوجه الثاني: وهو معرفة ما فيها من المنافع، فهو أنه تعالى خص كل جانب من جوانب الأرض بنوع آخر من الأمتعة، وإذا نقل متاع هذا الجانب إلى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة[٣].

و قد قال الله سبحانه ممتنا على عباده في سورة الزخرف: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الزخرف:١٢-١٣

(١) البحر المحيط ٧ / ٥٢٠

(٢) مفاتيح الغيب ١٠٥/٢٩.

(٣) مفاتيح الغيب ١٧٥/٢٧-١٧٦

قال الإمام الرازي:"ومعنى ذكر نعمة الله –أي في قوله تعالى:(لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه...)- أن يذكروها في قلوبهم، وذلك الذكر هو أن يعرف أن الله تعالى خلق وجه البحر، وخلق الرياح، وخلق جرم السفينة على وجه يتمكن الإنسان من تصريف هذه السفينة إلى أي جانب شاء وأراد، فإذا تذكروا أن خلق البحر، وخلق الرياح، وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصريفات الإنسان ولتحريكاته ليس من تدبير ذلك الإنسان، وإنما هو من تدبير الحكيم العليم القدير، عرف أن ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى، فيحمله ذلك على الانقياد والطاعة له تعالى، وعلى الاشتغال بالشكر لنعمه التي لا نهاية لها"[1].

و قد خص الله تعالى المؤمنين بفهم هذه الآيات التي تدل على عظمة الله سبحانه وقدرته ونعمته على عباده فقال سبحانه:(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾)الشورى

(1) مفاتيح الغيب ١٩٩/٢٧.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ الشورى: ٥٢

أركان التشبيه:

المشبه: الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: طرق الوحي المذكورة في الآية التي قبلها، أو المصدر من الوحي وهو الإيحاء.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الشرف و الرفعة، ويجوز أن يكون الاشتراك في طرق الوحي.

تفسير الآية:

يخبر تعالى في معرض الامتنان على رسوله عليه الصلاة والسلام، أنه قد أوحى إليه روحا من أمره، وهو القرآن كما قال ابن عباس رضي الله عنهما(١)، وروي عنه أيضا أنها النبوة، وقال الحسن: رحمة، وقال السدي ومقاتل: وحيًا، وقال الكلبي: كتابًا، وقال الربيع: جبريل(٢)؛ وعليه فأوحينا مضمن معنى أرسلنا، والمعنى أرسلناه بالوحي إليك لأنه لا يقال: أوحى الملك بل أرسله(٣).

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"والروح في هذه الآية: القرآن وهدى الشريعة"(٤).

و قال ابن عاشور رحمه الله:"والمراد بالروح من أمر الله: ما أوحي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الإرشاد والهداية سواء كان بتلقين كلام معين مأمور بإبلاغه إلى النّاس بلفظه دون تغيّر وهو الوحي القرآني المقصود منه أمران: الهداية والإعجاز، أم كان غير مقيد بذلك بل الرّسول مأمور بتبليغ المعنى دون اللّفظ وهو ما يكون بكلام غير مقصود به الإعجاز، أو بإلقاء المعنى إلى الرّسول بمشافهة المَلكِ، وللرّسول في هذا أن يتصرف من ألفاظ ما أُوحي إليه

---

(١) زاد المسير ٢٩٨/٧.

(٢) معالم التنزيل ٢٠١/٧.

(٣) روح المعاني ٥٨/٢٥.

(٤) المحرر الوجيز ٢٣٧/١٤.

بما يريد التعبير به أو برؤيا المنام أو بالإلقاء في النّفس"[١].

و إطلاق لفظ الروح عليهما، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا بالشريعة مصالح الدنيا والدين، لما فيهما من الخير الكثير والعلم الغزير.

و اختلف في المشار إليه في الآية:

فقيل: هو معنى الآية قبلها، وأن الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يأته إلا على إحدى هذه الطرق.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"المعنى وبهذه الطرق ومن هذا الجنس أوحينا إليك أو بالرسل"[٢].

و قال أبو حيان:"أي مثل ذلك الإيحاء الفصل أوحينا إليك، إذ كان عليه الصلاة والسلام اجتمعت له الطرق الثلاث: النفث في الروع، والمنام، وتكليم الله له حقيقة ليلة الإسراء، وإرسال رسول إليه، وهو جبريل"[٣].

و قيل: المشار إليه هو المصدر وهو (الإيحاء) وعلى هذا يكون المقصود الإيحاء السابق إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عاشور رحمه الله:"وكلا المعنيين صالح هنا فينبغي أن يكون كلاهما مَحْمَلاً للآية"[٤].

و قيل: المشار إليه هو قوله تعالى في أول السورة:﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ﴾ الشورى: ٣ فيكون المعنى كما أوحينا إلى من قبلك أوحينا إليك[٥].

قوله تعالى: (مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ): يبين الله جل وعلا فيه مِنَّتِهِ على هذا النبي الكريم، بأنه علمه هذا القرآن العظيم و لم يكن يعلمه قبل ذلك، وعلمه تفاصيل دين الإسلام و لم يكن يعلمها قبل ذلك.

---

(١) التحرير والتنوير ١٥٢/١٢.

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٧/١٤.

(٣) البحر المحيط ٥٢٧/٧.

(٤) التحرير والتنوير ١٥١/١٢.

(٥) زاد المسير ٢٩٨/٧.

فقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ أي ما كنت تعلم ما هو هذا الكتاب الذي هو القرآن العظيم، حتى علمتكه، وما كنت تدري ما الإيمان الذي هو تفاصيل هذا الـــدين الإسلامي، حتى علمتكه(١).

فانتفاء درايته بالإيمان مثل انتفاء درايته بالكتاب، أي انتفاء العلم بحقائقه ولذلك قـــال: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي﴾ و لم يقل: ما كنت مؤمناً(٢).

وهذا فيه تحدٍّ للمعاندين ليتأملوا حال الرّسول صلى الله عليه وسلم فيعلموا أن ما أوتيه من الشريعة والآداب الخُلقية هو من مواهب الله تعالى التي لم تسبق له مزاولتها، و لم يكن من عند نفسه(٣).

قال الإمام البغوي رحمه الله:"وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، و لم يتبين له شرائع دينه"(٤)، ومعنى ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان على ما عليه قومه وسائر العرب من بقايا دين إبراهيم عليه السلام ومن ذلك: حج البيت وزيارته، والختان، والنكاح، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثا، والرجعة في الواحدة والاثنتين، ودية النفس مائة من الإبل، والغسل من الجنابة، وغيرها مما اشتهر عنهم في ذلك(٥)، و لم يكن عليه الصلاة والسلام يعبد الأصـــنام أو يسجد لها ويذبح بل كان ينكرها، ويعيبها؛ وعلى شدة منازعة قريش إياه في أمر التوحيـــد فإنهم لم يحاجُّوه بأنه كان يعبد الأصنام معهم(٦).

وإدْخال لا النافية في قوله: ﴿وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ للتأكيد وللتنصيص على أن المنفي دراية كـــل واحدٍ منهما(٧).

---

(١) أضواء البيان ٣٠١/٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٥٢/١٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٥٢/١٢.

(٤) معالم التنزيل ٢٠١/٧.

(٥) تأويل مختلف الحديث ١٧٦.

(٦) التحرير والتنوير ١٥٣/١٢.

(٧) التحرير والتنوير ١٥٣/١٢.

و قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الضمير هنا عائد على القرآن أي: جعلنا القرآن نورا.

و قيل عائد إلى الكتاب والإيمان، وإنما جاء مفردا لأن أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل[١]، أو لأن معناهما واحد[٢].

وسمي القرآن نوراً، لأنه يضيء الحق ويزيل ظلمات الجهل والشك والشرك، فيجب على كل مسلم أن يستضيء بنوره، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه ويمتثل أوامره ويجتنب ما نهى عنه ويعتبر بقصصه وأمثاله[٣].

وثبت بالآية أن القرآن الكريم كتاب هداية، ولكن الله تعالى يهدي به من يشاء، فهذه الهداية التي يهدي بها الله تعالى من يشاء من عباده هداية خاصة تقتضي التوفيق للدخول في الإيمان وسلوك طريق الاستقامة، وأما الهداية التي أثبتها الله تعالى للقرآن كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ البقرة: ٢ فهي هداية عامة معناها الدلالة إلى الخير وبيان الحق والترغيب فيه، وبيان طرق الشر والتحذير منها.

و قوله سبحانه في ختام الآية: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادَنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم[٤]، فبيّن تعالى أنه كما أن القرآن يهدي فكذلك الرسول يهدي، وبيّن أنه يهدي إلى صراط مستقيم، وهو كل ما دعا إليه من خصال هذا الدين الحنيف الذي هو ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٥].وهذه أيضا هداية عامة هي هداية الدلالة والإرشاد والبيان.

وتأكيد الخبر بـــ(إنَّ) للاهتمام به؛ لأن الخبر مستعمل في تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بهذا المقام العظيم، وأيضاً للتعريض بالمنكرين لِهَدْيِهِ[٦].

---

(١) جامع البيان ٥٦/٢٥.
(٢) مفاتيح الغيب ١٩٢/٢٧.
(٣) أضواء البيان ٢٠٢/٧.
(٤) جامع البيان ٥٦/٢٥.
(٥) نظم الدرر ٤٣٧/٧.
(٦) التحرير والتنوير ١٥٥/١٢.

وتنكير كلمة(﴿صِرَٰطٍ﴾) للتعظيم ... ولأن التنكير أنسب بمقام التعريض بالذين لم يـــأبهوا بهدايته[1].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و يستفاد منه على اعتبار القول الأول، أن الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ أشكال الوحي المذكور في الآية قبلها، وكذلك الوحي إلى الأنبياء السابقين؛ لأن الآية جاءت بأسلوب النفي المتبوع بالاستثناء، وهذا من أساليب الحصر.

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله:"ويؤخذ من هذه الآية أن النبي محمد صـــلى الله عليـــه وسلم قد أعطي أنواع الوحي الثلاثة، وهو أيضاً مقتضى الغرض من مساق هذه الآيات"[2].

و أما على اعتبار القول الثاني فيكون التشبيه مستعملا لإثبات شرف القـــرآن الكـــريم، ورفعة قدره حيث لا يشبهه كلام، وأنه لو أريد تشبيهه بشيء لم يوجد إلا أن يشبه بنفسه.

و أما على القول الثالث فالمقصود إثبات أن الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو من جنس الوحي إلى الأنبياء السابقين عليهم السلام، وإذا كانت قريش على علـــم بالأنبيـــاء السابقين، وما حصل لأقوامهم من العذاب والنكال جزاء تكذيبهم وكفرهم، فليعلموا أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا منهم، وأنه من جنسهم، وقد جاء بما جاءوا بـــه مـــن الدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك وعبادة الأصنام، فليتبعوه وليؤمنوا به، حتى لا يصيبهم مـــا أصاب من قبلهم.

و يؤكد هذا المعنى الغرض من سياق الآيات الذي هو إثبات نبوة النبي محمد صـــلى الله عليه وسلم وتأكيد الوحي إليه، مع التعريض بتكذيب المشركين وعنادهم، وذمهـــم بـــأنهم خالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قد جاءهم بالحق والهداية إلى الصراط المســـتقيم، الذي هو صراط الله، المرضي عنده، والمقرب إليه، الذي هو الله الذي له ما في الســـموات والأرض، وإليه تصير الأمور.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٥٥.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/١٥١.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الزخرف: ١١

أركان التشبيه:

المشبه: إخراج الموتى من قبورهم للبعث والنشور.

المشبه به: إحياء الأرض بعد موتها.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الحياة بعد الموت أو القدرة الكاملة لله تعالى التي لا يعجزها شيء.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن نفسه وقدرته، وأنه سبحانه هو الذي نزل المطر من السماء، وهذا أمر لا يقدر عليه غيره.

و المقصود بقوله تعالى: (بِقَدَرٍ) بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثا، حيا للأرض الميتة محييا(١).

و قيل المقصود: ينزل بقدر الله تعالى وقضائه وحكمه، على ما قدره سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ(٢).

وقالت فرقة معناه: بتقدير وتحرير، أي قدراً معلوماً، ثم اختلف قائلو هذه المقالة، فقال بعضهم: ينزل كل عام ماء قدراً واحداً لا يفضل عام عاماً، لكن يكثر مرة هنا ومرة هاهنا، وقالت فرقة: بل ينزل الله تقديراً ما في عام، وينزل في آخر تقديراً آخر بحسب ما سبق به قضاؤه، لا إله غيره(٣).

قوله تعالى: (فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) أي فأحيينا به بلدة من بلادكم، مجدبة لا نبات بها

---

(١) جامع البيان ٦٣/٢٥، وانظر معالم التنزيل ٢٠٧/٧.

(٢) المحرر الوجيز ٢٤٣/١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٢٤٣/١٤.

ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفنت من القحوط[١].

قال البقاعي رحمه الله:"ولعله أنث البلد وذكر الميت إشارة إلى أن بلوغها في الضعف والموت بلغ الغاية بضعف أرضه في نفسها وضعف أهله عن إحيائه وقحط الزمان واضمحلال ما كان به من النبات"[٢].

و قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتًا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التي بها قبل مماتكم[٣].

قال الألوسي:"وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشار الذي هو إحياء الموتى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث، وفي ذلك من الرد على منكريه ما فيه"[٤].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و قد سبق ذكر وجه الشبه بين إحياء الموتى وبين إحياء الأرض، وأنه يحتمل أحد وجهين:

إما أن يكون الجامع بينهما، الحياة بعد الموت، أو قدرة الله تعالى فكما قدر على إحياء الأرض بعد موتها، فلا يعجز قدرته، إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم.

قال الإمام الشوكاني:"مثل ذلك الإحياء للأرض بإخراج نباتها بعد أن كانت لا نبات بها تبعثون من قبوركم أحياء، فإن من قدر على هذا قدر على ذلك"[٥].

---

(١) جامع البيان ٦٣/٢٥.
(٢) نظم الدرر ٤٤٤/٧.
(٣) جامع البيان ٦٣/٢٥.
(٤) روح المعاني ٦٧/٢٥.
(٥) فتح القدير ٧١٧/٤.

و قال الإمام الرازي رحمه الله جامعا الوجهين:"يعني أن هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه أنه يجعلهم أحياء بعد الإماتة كهذه الأرض التي أنشرت بعد ما كانت ميتة"(١).

و من تمام إعجاز القرآن أن هذا التشبيه يشتمل على طريقة البعث كما أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم، من أن العباد ينبتون من عجب الذنب كما تنبت الزروع والثمار من الحبوب والبذور.

وفي هذا الأمر يقول الإمام الطبري رحمه الله:"كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتًا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التي بها قبل مماتكم"(٢).

و قال الإمام الرازي رحمه الله:"وهذا الوجه ضعيف لأنه ليس في ظاهر اللفظ إلا إثبات الإعادة فقط دون هذه الزيادة(٣).

و قد سبق أن اللفظ يقبله، ويحتمله معناه، وهو من إعجاز القرآن بدلالته باللفظ الموجز على المعنى الواسع.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٨/٢٧.

(٢) جامع البيان ٥٧٣/٢١.

(٣) مفاتيح الغيب ١٩٨/٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزخرف: ٢٣

أركان التشبيه:

المشبه: قول من قبلهم من المكذبين لرسلهم: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون).

المشبه به: قول مشركي قريش: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون)

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإعراض عن الحق والتكذيب به، والاستدلال على كفرهم بالتقليد المجرد عن الدليل والحجة.

تفسير الآية:

هذه الآية فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن تعالى قد بعث من قبله في كل قرية نبيا، وكل الأنبياء قبله قد لقوا مثل ما لقي هو من قومه من التكذيب برسالته، والطعن في نبوته، ثم كانت العاقبة والنصر لهم على أقوامهم.

و المشار إليه في الآية هو ما حكاه الله تعالى عن قول المشركين في الآية قبلها: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزخرف: ٢٢.

و نسب الله تعالى هذا القول إلى مترفي كل قرية، وهم رؤساؤهم وقادتهم في الكفر والشرك[١]، لأنهم أترفتهم النعمة، أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويعافون مشاق الدين وتكاليفه[٢].

و قوله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ) أي على ملة ودين، وإنا على منهاجهم وطريقتهم، مقتدون بفعلهم، نفعل كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وقرأ مجاهد والعبدري وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

---

(١) جامع البيان ٧٣/٢٥.

(٢) الكشاف ٢٢٥/٦.

«على إمة » بكسر الهمزة وهي بمعنى النعمة... فالآية على هذا استمرار في احتجاجهم، لأنهم يقولون: وجدنا آباءنا في نعمة من الله وهم يعبدون الأصنام، فذلك دليل رضاه عنهم، وكذلك اهتدينا نحن بذلك"(١).

"وقد جاء في حكاية قول المشركين الحاضرين وصفُهم أنفسَهم بأنهم مُهتدون بآثار آبائهم، وجاء في حكاية أقوال السابقين وصفهم أنفسَهم بأنهم بآبائهم مُقتدون، لأن أقوال السابقين كثيرة مختلفة يجمع مختلفها أنها اقتداء بآبائهم، فحكاية أقوالهم من قبيل حكاية القول بالمعنى، وحكاية القول بالمعنى طريقة في حكاية الأقوال كثر ورودها في القرآن وكلام العرب"(٢).

قال الإمام الرازي رحمه الله:"لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد وذلك لأنه تعالى بيّن أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي، ثم بيّن أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف، وإنما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين، وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل"(٣).

"وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل، ولهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة:﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾ الزخرف: ٢٤أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الباطل والهوى"(٤).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و بالتأمل فيه نجد أن المشبه به هو مقولة كفار قريش، وذلك لأن الإشارة دلت عليها،

(١) المحرر الوجيز ٢٤٩/١٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٩/١٢.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠٧/٢٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٧٦٤

وقد اتصل اسم الإشارة بالكاف، وكاف التشبيه دوما يأتي بعدها المشبه به، والسبب في ذلك —والعلم عند الله تعالى- أن تكذيب كفار قريش وإعراضهم قد بلغ الغاية في ذلك، حتى صار أصلا يشبه به، ومرد ذلك إلى أن الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، والحجج التي استدل بها على صحة دعوته، قد بلغت الغاية في الوضوح وبيان الحق، فلا عذر لمن لم يؤمن به، وكانوا يخافون إذا توعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء، ويعلمون أنه إذا قال شـــيئا صدق.

و أيضا أن كفار قريش قد زادوا على كفر الأمم السابقة، بأنهم كانوا يرون مصارع من سبقهم من قوم صالح، وثمود، وقوم لوط، وغيرهم من الأقوام، وقد كانت العظة بهم بليغـــة، والحجة عليهم قائمة، فاستمرارهم بعد ذلك على الجحود والإعراض، أمر زائد على مجـــرد الإنكار، فعظم لذلك كفرهم وتكذيبهم.

﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الدخان: ٢٥ – ٢٨

أركان التشبيه:

المشبه: الإخراج المهين لمن كان في نعمة ورغد عيش إلى عذاب ونقمة.

المشبه به: إخراج فرعون وقومه من النعمة التي كانوا عليها، إلى التغريق والإهانة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإخراج المهين.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا فيقول: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهي الجنات. وعيون ومنابع، وهي: ما كان ينفجر في جنانهم، وزروع قائمة في مزارعهم وموضع كانوا يقومونه شريف كريم، وله حسن وبهجة، وأخرجوا من نعمة كانوا فيها متفكهين ناعمين.

ثم يخبر سبحانه بأنه كما أخرجهم من هذه النعمة إخراجا مهينا إلى غرق وعذاب أليم، فكذلك يخرج الله تعالى من لم يؤمن به واستكبر عن طاعته، وكذب رسله عليهم الصلاة والسلام، ويورث الله تعالى هذه النعمة لقوم آخرين غيرهم، كما ينتقل مال الميت إلى ورثته.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

وهو يدل على عظيم العقوبة التي أخذ الله بها فرعون وقومه، ويدل على ذلك كونها مشبها به، بحيث لو أراد الله أن يشبه شيئا في شدة العقوبة النازلة عليهم، لكانت العقوبة النازلة على فرعون وقومه صالحة للتشبيه بها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ الدخان:٤٣-٤٦

أركان التشبيه:

في هذه الآيات تشبيهان، الأول:

المشبه: طعام الأثيم وهو ثمر شجرة الزقوم عند أكله.

المشبه به: المهل.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الاسوداد وما ينشأ عنه من بشاعة الطعم، والألم والغصص الحاصلة بشربه.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: طعام الأثيم وهو ثمر شجرة الزقوم بعد أكله.

المشبه به: غلي الحميم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الحرارة والألم والفساد الحاصل بأكله.

تفسير الآية:

ينبئنا الله تعالى عن شجرة الزقوم التي أخبر أنها تخرج في أصل الجحيم وأن طلعها كرؤوس الشياطين، بأن ثمرها يكون في الآخرة طعاما للأثيم، والأثيم: هو الفاجر، كثير الإثم في قوله وفعله، وهو مخصوص بالذي إثمه الكفر دون غيره من الآثام.

قال الطبري:"وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام"([1]).

و قال ابن زيد: هو أبو جهل[2].

وروي أن أبا جهل لما نزلت هذه الآية فيه، وأشار الناس بها إليه، جمع عجوة بزبد ودعا إليها ناساً وقال لهم: تزقموا، فإن الزقوم هو عجوة يثرب بالزبد، وهو طعامي الذي حدّث به

[1] جامع البيان ١٥٣/٢٥.

[2] جامع البيان ١٥٤/٢٥.

محمد. وإنما قصد بذلك ضرباً من المغالطة والتلبيس على الجهلة"([1]).

و لكن العبرة بعموم لفظ الآية فهي تتناول كل كافر وفاجر.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"ثم هي بالمعنى تتناول كل أثيم، وهو كل فاجر يكتسب الإثم"([2]).

و قال الإمام ابن كثير رحمه الله:"والأثيم أي: في قوله وفعله، وهو الكافر. وذكر غير واحد أنه أبو جهل، ولا شك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به"([3]).

ثم أخبر سبحانه عن صفة هذا الطعام فقال:(**كَٱلۡمُهۡلِ**) وهو دردي الزيت، أو ماء غليظ كدردي الزيت وهما مرويان عن ابن عباس رضي الله عنهما"([4]).

وقيل هو ذائب الذهب أو الفضة أو النحاس.

عن عبد الله بن سفيان الأسديّ، قال: أذاب عبد الله بن مسعود فضة، ثم قال: من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا"([5]).

ووصفه سبحانه بصفة أخرى وهي:(**يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ**)، وفي قراءة:(تغلي) فمن قرأ بالياء جعله صفة للطعام ومن قرأ بالتاء جعله صفة للشجرة.

قال الإمام الطبري:"والصواب من القول في ذلك أهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب"([6]).

والمعنى: أن هذه الشجرة إذا طعمها الكافر في جهنم صارت في جوفه تفعل كما يفعل المهل السخن من الإحراق والإفساد"([7]).

(**كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ**): وهو الماء المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدّة حرّه"([8]).

---

[1] المحرر الوجيز ٢٩٨/١٤.

[2] المحرر الوجيز ٢٩٨/١٤.

[3] تفسير القرآن العظيم ٣١٧٢/٧.

[4] جامع البيان ١٥٤/٢٥.

[5] جامع البيان ١٥٤/٢٥.

[6] جامع البيان ١٥٦/٢٥.

[7] المحرر الوجيز ٢٩٩/١٤.

[8] جامع البيان ١٥٦/٢٥.

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مجملان، ذكرت الأداة فيهما و لم يذكر الوجه.

و المشبه في التشبيهين واحد، وشبه بشيئين مختلفين باعتبار حالين:

ففي التشبيه الأول نجد أنه شبه بالمهل وذلك من جهة الاسوداد، وما ينتج عن ذلك من بشاعة الطعم والغصص والألم الحاصل به.

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يُذاب في النار إذا أُذيب بها، فتناهت حرارته، وشدّت حميته في شدّة السواد...ثم ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: أسود كمهل الزيت"([1]).

و قال الطاهر ابن عاشور:"والمُهل بضم الميم دُرْدِيُّ الزيت. والتشبيه به في سواد لونه وقيل في ذوبانه"([2]).

و أما التشبيه بالمهل من جهة الغليان فقد منعه أبو علي الفارسي بقوله: ولا يجوز أن يُحْمَل الغَلْيُ على المُهْل، لأن المهْل ذُكِر للتشبيه في الذَّوْب، وإنما يغلي ما شُبِّه به([3]).

و قال الرازي:"واعلم أنه لا يجوز أن يحمل الغلي على المهل لأن المهل مشبه به، وإنما يغلي ما يشبه بالمهل"([4]).

و في التشبيه الثاني: نجد أنه شبه بغلي الحميم وذلك بعد أكله؛ فهو يعقب حرارة وغليانا شديدين في البطون كما يغلي الماء الحميم الذي اشتد غليانه وانتهت حرارته. فيجدون ألمه بعد أكله.

و هو يحدث من الضرر والفساد في البطن ما يحدثه الماء الحميم، وقد أشار الله تعالى إلى ما يحصل بالماء الحميم من الفساد في البطن بقوله جل وعلا: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ محمد: ١٥

و لما كان المقصود من الطعام في الدنيا الانتفاع به ولو كان غير مستساغ الطعم والمذاق،

---

[1] جامع البيان ١٥٤/٢٥.

[2] التحرير والتنوير ٣١٥/١٢.

[3] زاد المسير ٣٤٩/٧.

[4] مفاتيح الغيب ٢٥٢/٢٧.

نبه سبحانه على أن طعام الأثيم لا يحصل به ذلك، وكذلك لما كان تشبيه الطعام بالمهـــل لا يراد منه أن العذاب به ــ أي بالطعام ــ ينتهي بانتهاء أكله كما تنتهي بشاعة طعم المهـــل والغصص والآلام الحاصلة بشربه، ذكر سبحانه التشبيه الثاني ليدل على استمرار العذاب بهذا الطعام حتى بعد أكله.

ثم إن المشبه مضاف إلى آكله وهو الأثيم، ووصفه بالإثم فيه دلالة على أن العذاب بهذا الطعام أشد لأنه طعام عقوبة، فهو لا يسمن ولا يغني من جوع وإنما يتجرع آكله الغصص به، ويعاني من بشاعة طعمه، ما يكون به عذابا لا طعاما، وإنما سمي طعاما: لأن الأثيم مقهور على الأكل منه وهو يراه كهيئة الطعام، فهو ثمر من ثمر الأشجار، ولأنه لا غنى له عنه، كمـــا أن الإنسان في الدنيا لا غنى له عن الطعام.

قال البقاعي:"ولما كان كأنه قيل: ما للأثيم يأكل هذا الطعام، وما الحامل له عليه وعلى مقاربة مكانه، أجيب بأنه مقهور عليه"([1]).

و هذا يدل على أن ثمر شجرة الزقوم بشع المنظر والطعم فمنظره كرؤوس الشـــياطين، وطعمه كالمهل، وهو يغلي في البطون، فيحصل العذاب به من عدة جهات: المنظر وحـــين الأكل وبعده.

---

[1] نظم الدرر ٨/١٣.

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الدخان: ٥٤

أركان التشبيه:

المشبه: تزويج أهل الجنة بالحور العين.

المشبه به: النعيم السابق الذي ذكره الله تعالى في الآيات قبلها.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الكرامة، وحصول النعمة والسرور به.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن نعيم أهل الجنة، وما لهم فيها من الحبرة والسرور بقوله كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالهم الجنات، وإلباسهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوّجناهم أيضا فيها حورا من النساء.

و اختلف في معنى التزويج هنا في الآية:

قال مجاهد: أنكحناهم حورا(١).

و قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل أي جلعناهم اثنين اثنين(٢).

و قال يونس: أي قرناهم بهن فليس من عقد التزويج، والعرب لا تقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها(٣).

قال الألوسي رحمه الله:"وفسر بذلك قيل لأن الجنة ليس فيها تكليف، فلا عقد ولا تزويج بالمعنى المشهور... ويجوز أن يقال: إن ذلك التفسير لأن الحور العين في الجنة ملك يمين كالسراري في الدنيا، فلا يحتاج الأمر إلى العقد عليهن، على أنه يمكن أن يكون في الجنة عقد وإن لم يكن فيها تكليف... وبعض ما حرم في الدنيا كنكاح امرأة الغير ونكاح المحارم لا يفعلونه لعدم خطوره لهم ببال أصلاً"(٤).

---

(١) جامع البيان ١٦٠/٢٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٥٤/٢٧.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٥٤/٢٧.

(٤) روح المعاني ١٣٥/٢٥.

و الحور: جمع حوراء، وهي من اشتد بياض بياض عينها، واشتد سواد سـوادها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضاً في لون الجسد[١].

و العين: جمع عيناء، وهي العظيمة العينين من النساء[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و المشبه هنا مقيد بوصفين، هما: حور وعين، أي جمعن سعة الأعين، مع شدة بيـاض بياضها، وشدة سواد اسودادها، في بياض الجلد، فيحصل بهن من النعيم العظيم، ما لا يقدر على وصفه.

و هذا ما أكده الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله بقوله:"وإنما المراد أنهـم مأنوسـون بصحبة حبائب من النساء، كما أنسوا بصحبة الأصحاب والأحبة من الرجال، اسـتكمالاً لمتعارف الأنس بين الناس، وفي كلا الأنسين نعيم نفساني منجرّ للنفس من النعيم الجثمـاني، وَهذا معنًى سامٍ من معاني الانبساط الروحي، وإنما أفسد بعضه في الدّنيا ما يخالط بعضه من أحوال تجرّ إلى فساد منهي عنه، مثل ارتكاب المحرم شرعاً، ومثل الاعتداء على المرأة قسـراً، ومن مصطلحات متكلفة"[٣].

و الإنسان من طبيعته يحب أن يأنس بأحد، ويحب أن يأنس به هذا الأحد، من زوجة أو ولد أو صديق أو خليل، فجعل الله تعالى لهم هذا الأنس في الجنة بما قرنهم به من الحور العين.

قال الإمام البقاعي رحمه الله:"ولما كان ذلك لا يتم السرور بـه إلا بـالأزواج قـال: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ أي قرناهم كما تقرن الأزواج"[٤].

(١) مفاتيح الغيب ٢٥٤/٢٧.

(٢) جامع البيان ١٦١/٢٥.

(٣) التحرير والتنوير ٣١٨/١٢-٣١٩.

(٤) نظم الدرر ١٤/٨.

قال تعـــالى: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ الجاثية: ٨

أركان التشبيه:

المشبه: إعراض الأفاك الأثيم عن الانقياد لآيات الله تعالى، وهي تتلى عليه.

المشبه به: إعراض من لم يسمع آيات القرآن الكريم، التي فيها الخير والهداية، والدلالـة على الرشاد.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: عدم الانتفاع بما وضحت دلالته، وبانت حجته.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن الذي لم يؤمن بآيات الله تعالى بعد ظهورها ووضوحها، والذي أولـغ في الإفك والإثم حتى صار صفة لازمة له، بأنه يسمع آيات الله تعالى تتلى عليه من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره، فيصر على إفكه وإثمه، غير تائب منه، ولا حائل عنه.

والإصرار على الشيء: ملازمته وعدم الانفكاك عنه، والمراد هنا: يقيم علـى كفـره وضلاله(١).

و هذا الإصرار على الإفك والإثم مصحوب بالاستكبار عن الإيمان بالآيات، والإذعان لما تنطق به من الحق، مزدرياً لها معجباً بما عنده، حتى صار حاله كحال من لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله وذلك بإصراره على كفره.

و من كان هذا صفته، فإن الله تعالى أمر رسوله عليه الصـلاة والسـلام، أن يبشـره بالعذاب، الأليم الموجع في نار جهنم، وأطلق على الإنذار اسم البشارة التي هي الإخبار بمـا يسر على طريقة التهكم(٢).

و في الآية دليل على أن من يسمع القرآن يتلى ثم يصير على الكفر والمعاصي في حالـة كونه متكبراً عن الانقياد إلى الحق الذي تضمنته آيات القرآن كأنه لم يسمع آيات الله، لـه

(١) روح المعاني ١٤٣/٢٥.

(٢) روح المعاني ١٤٣/٢٥، وانظر التحرير والتنوير ٣٣٢/١٢.

البشارة يوم القيامة بالعذاب الأليم وهو الخلود في النار[١].

قال الإمام البقاعي رحمه الله:"فعلم من ذلك ومن الإصرار وما قيد به من الاستكبار أن حاله عند السماع وقبله وبعده على حد سواء، وقد علم بهذا الوصف أن كل من لم تَــرُدُّهُ آيات الله تعالى كان مبالغاً في الإثم والإفك، فكان له الويل"[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و هو أيضا تشبيه تمثيلي، يصور المعرض عن آيات الله تعالى، وهو نافر مستكبر يصرف وجهه عن كل خير ورشاد تدله عليه آيات القرآن الكريم.

و التشبيه يتضمن أمرين:

أولا: تشويه المشبه، بتشبيهه بصفة النقص، والغفلة، وهي صفة من لم يسمع المــواعظ والعبر، والآيات الدالة على الهدى، مع وصفه بتكرر ذلك الإعراض والاستكبار، وهو مــا يفيده المضارع في قوله تعالى:(تُتْلَىٰ) و (يُصِرُّ) حتى صار ذلك وصفا ملازما له، لا ينفك عنه، بحيث لا يمكن القول بأنه لم يعلم المراد من الآيات، أو لم يسمع سماع صحيحا، أو لم يفهــم المغزى، وغير ذلك، لأنه قد تكرر تلاوة الآيات عليه.

ثانيا: إثبات وضوح آيات القرآن الكريم، وظهور دلالتها، ظهورا يمنع من الاسترسال في الغي والاستمرار على الباطل.

قال الزمخشري:"وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق، من تليت عليه وسمعها: كان مستبعداً في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها"[٣].

و قال الرازي رحمه الله:"كذا ههنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها من المستبعد أن يقابل بالإنكار والإعراض"[٤].

---

(١) أضواء البيان ٣٤١/٧.

(٢) نظم الدرر ٢٣/٨.

(٣) الكشاف ٢٧٤/٦.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٦٢/٢٧.

و قال الإمام ابن عاشور رحمه الله:"و(ثُمَّ) للتراخي الرتبي لأن ذلك الإصرار بعد سماع مثل تلك الآيات أعظم وأعجب، فهو يصر عند سماع آيات الله، وليس إصراره متأخراً عن سماع الآيات... وشبه حالهم في عدم انتفاعهم بالآيات بحالهم في انتفاء سماع الآيات، وهذا التشبيه كناية عن وضوح دلالة آيات القرآن، بحيث أن من يسمعها يصدق بما دلت عليه فلولا إصرارهم واستكبارهم لانتفعوا بها"[١].

و مجيء التشبيه بالأداة (كأن) التي فيها تأكيد، واهتمام بالمشبه لتدل على فساد قلبه، ونقص عقله، وأنه لو تأمل ونظر بعين البصيرة، لما أخطأ الطريق المستقيم.

(١) التحرير والتنوير ٣٣٢/١٢.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الجاثية: ٢١

أركان التشبيه:

المشبه: حياة الكافرين، ومماتهم.

المشبه به: حياة المؤمنين ومماتهم

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم المساواة في الحياة، والممات، وحسن العاقبة.

تفسير الآية:

قال الطبري رحمه الله تعالى:"يقول تعالى ذكره: أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير[١].

ثم روى عن قتادة قوله:"لعمري لقد تفرّق القوم في الدنيا، وتفرّقوا عند الموت، فتباينوا في المصير[٢].

و ما قاله الطبري رحمه الله، نتيجة أكيدة لاختلاف الفريقين في الحياة والممات، والآية اكتفت بالتصريح بنفي حسبان الكافرين استواءهم مع المؤمنين في الحياة وفي الممات، ولأجل ذلك جاء خلاف المفسرين في المقصود بمعنى:(سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ):

قال الإمام الرازي رحمه الله:"المسألة الثانية: اختلفوا في المراد بقوله (مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)

قال مجاهد عن ابن عباس: يعني أحسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم، كلا فإنهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين، وذلك لأن

(١) جامع البيان ٢٥/١٧٣-١٧٤.

(٢) جامع البيان ٢٥/١٧٣.

المؤمن ما دام يكون في الدينا فإنه يكون وليه هو الله وأنصاره المؤمنون وحجة الله معه، والكافر بالضد منه....

والوجه الثاني: في تأويل الآية أن يكون المعنى إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة، وذلك لأن المؤمن والكافر قد يستوي محياهم في الصحة والرزق والكفاية بل قد يكون الكافر أرجح حالاً من المؤمن، وإنما يظهر الفرق بينهما في الممات.

والوجه الثالث: في التأويل أن قوله: (سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء فكذلك محيا المحسنين ومماتهم، أي كل يموت على حسب ما عاش عليه"[١].

و قال الإمام ابن عاشور مستدركا على الوجه الثالث:"وظاهر تركيب الآية أن قوله: (سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) داخل في الحسبان المنكور فيكون المعنى: إنكار أن يستوي المشركون مع المؤمنين لا في الحياة ولا بعد الممات... ومِن خلاف ظاهر التركيب ما قيل: إن مدلول (سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) ليس من حسبان المشركين المنكور ولكنه كلام مستأنف"[٢].

قوله تعالى:(سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) أي: بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم ومماتهم[٣].

ويستنبط من هذه الآية تباين حال المؤمن العاصي من حال الطائع، وإن كانت في الكفار[٤]، ولهذا كان كثير من العباد يبكون عند تلاوتها حتى أنها تسمى مبكاة العابدين لذلك[٥].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل، ذكرت أداته ووجهه.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦٨/٢٧.

(٢) التحرير والتنوير ٣٥٣/١٢.

(٣) جامع البيان ١٧٥/٢٥.

(٤) البحر المحيط ٤٨/٨.

(٥) روح المعاني ١٥١/٢٥.

و هو تشبيه مسوق لنفي المشابهة بين طرفيه، ويؤكد النفي فيه، مجيء (أم) التي تفيد الاستفهام الإنكاري.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"والاستفهام الذي يلزم تقديره بعد (أمْ) استفهام إنكاري، والتقدير: لا يحسب الذين اجترحوا السيئات أنهم كالذين آمنوا لا في الحياة ولا في الممات"(١).

و هذا النفي قد تكرر ذكره في آيات من القرآن الكريم، منها ما سبقت دراسته وبيانه، ومنها ما يلحق، ومنها ما لم يذكر، وهو أمر ظاهر جلي لمن تتبعه.

غير أن هنا نكتة لطيفة أشار إليها الإمام ابن عاشور رحمه الله بقوله:"والذي أرى: أن موقعه –أي كاف التشبيه- الإيماء إلى أن الله قدّر للمؤمنين حسن الحال بعد الممات، حتى صار ذلك المقدَّر مَضرِبَ الأمثال ومناط التشبيه، وإلى أن حُسبان المشركين أنفسَهم في الآخرة على حالة حسنة باطل، فعبر عن حسبانهم الباطلِ بأنهم أثبتوا لأنفسهم في الآخرة الحال التي هي حال المؤمنين، أي حسب المشركون بزعمهم أن يكونوا بعد الموت في حالة إذا أراد الواصف أن يصفها وصفها بمشابهة حال المؤمنين عندِ الله، وفي نفس الأمر، وليس المراد أن المشركين مَثَّلوا حالهم بحال المؤمنين فيؤول قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى حكاية الكلام المحكي بعبارة تساويه لا بعبارة قائله، وذلك مما يتوسع فيه في حكاية الأقوال"(٢).

و من فوائد التشبيه، دلالته على كمال عدل الله تعالى، وعلى وجود حياة أخرى يظهر فيها أثر الإيمان وعمل الصالحات، وأثر الكفر وعمل السيئات.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٥١/١٢.

(٢) التحرير والتنوير ٣٥٤/١٢.

﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الجاثية: ٣٤

أركان التشبيه:

المشبه: نسيان الله تعالى للكافرين في العذاب.

المشبه به: نسيان الكفار العمل ليوم القيامة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: وصف النسيان دون حقيقته؛ لأن صفات الله تعالى لا تشبه بصفات المخلوقين، وأيضا صفة النسيان لا تطلق على الله تعالى إلا في باب المقابلة والجزاء.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى عن عقوبة الكافرين يوم القيامة، وأنه يقال لهم: (اليوم ننساكم) أي: نترككم في العذاب، فالنسيان هنا بمعنى الترك، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به(١).

و لم يذكر الله تعالى من الذي يقول للكافرين ذلك، إهانة لهم، تحقيرا لشأنهم.

(كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي: كما تركتم العمل لهذا اليوم الذي يكون فيه الجزاء والحساب، وسبب ذلك هو كفرهم وعدم إيمانهم به(٢)، وهذا من الحمق؛ لأن العاقل يتوقى ما ضرره محتمل ولو كان غير موقن به.

قال البقاعي رحمه الله:" ومن نسي لقاء اليوم نسيء لقاء الكائن فيه بطريق الأولى، وقد عابهم الله سبحانه تعالى بذلك أشد العيب لأن ما عملوه ليس من فعل الحزمة أن يتركوا ما ضرره محتمل لا يعتدون له، وإنما هذا فعل الحمق الذين هم عندهم أسقال لا عبرة لهم ولا وزن لهم، وعبر بالنسيان لأن علمه مركوز في طبائعهم، وعبر في فعله بالمضارع ليدل على الاستمرار، وفي فعلهم بالماضي ليدل على أن من وقع منه ذلك وقتاً

---

(١) الكشاف ٢٨٨/٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣١٨٣/٧.

ما وإن قل كان على خطر عظيم بتعريض نفسه لاستمرار الإعراض عنه"[١].

(ومأواكم النار)أي: هي مستقركم، والمأوى: الموضع الذي يسكنه الإنسان ويكون فيه عامة أوقاته أو كلها أجمع[٢]، وفي هذا إشارة إلى بقائهم في النار أبدا.

قال ابن عاشور رحمه الله:" وعطف { ومأواكم النار } على { اليوم ننساكم } ليعلموا أن تركهم في النار ترك مؤبد"[٣].

(وما لكم من ناصرين) أي: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذّبكم، فيستنقذ لكم منه[٤].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه، وهو المشار إليه بقوله تعالى:(ننساكم كما نسيتم).

والغرض منه مجازاة الكافرين بمثل أعمالهم.

والمشابهة بين الطرفين واقعة في الوصف بالنسيان وليس في حقيقته، فيكون المعنى: كما نسي الكافرون لقاء يوم القيامة فلم يستعدوا له، فكذلك ينساهم الله تعالى في العذاب، ولكن نسيان الله تعالى لهم ليس كنسيانهم العمل للآخرة، لأن نسيان الله تعالى لهم يترتب عليه الخسارة الأبدية، ويترتب عليه العذاب الدائم.

و نسيان الله تعالى لهم في العذاب عقوبة من الله وليس غفلة، ونسيانهم العمل للآخرة بسبب جهلهم و عنادهم واستكبارهم واستحكام الغفلة على قلوبهم.

ونسيانهم لا يضر الله تعالى، ولا يغير من الواقع شيئا، ونسيان الله تعالى لهم يضرهم، وهو سبحانه المدبر الحكيم، المحمود على رحمته وعذابه، ولذلك قال الله تعالى بعد هذه الآية:(فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين... وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)

---

(١) نظم الدر ٤٢/٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣٢٤/١٤.

(٣) التحرير والتنوير ٣٧٥/٢٥.

(٤) جامع البيان ١٨٥/٢٥.

قال تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٥

أركان التشبيه:

المشبه: العقوبة التي توعد الله تعالى بها القوم المجرمين.

المشبه به: العقوبة الواقعة على عاد، قوم هود عليه السلام.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الدمار والهلاك.

تفسير الآية:

يخبر جل في علاه عن الريح التي أرسلها الله تعالى عذابا على عاد، قوم هود عليه السلام، بأنها قد بلغت من القوة أنها (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)، أي تخربه، وترمي بعضه على بعض فتهلكه.

و المقصود بـ(كُلَّ شَيْءٍ) أي مما أراد الله تعالى تدميره، وأذن لها بذلك، وذلك لأنها لم تدمر هودا ومن آمن معه، و لم تدمر مساكنهم، بل جعلها الله تعالى آية لمن أراد أن يتذكر ويعتبر.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وقوله: (كُلَّ شَيْءٍ) ظاهره العموم ومعناه الخصوص في كل ما أمرت بتدميره"(١).

و في إضافة كلمة (رب) إليها في قوله تعالى:(بِأَمْرِ رَبِّهَا) دلالة على أن الريح وتصريف أعنتها، مما يشهد لعظم قدرته، لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده. وذِكْر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وجل يعضد ذلك ويقوّيه"(٢).

قال الرازي رحمه الله:"والمعنى أن هذا ليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات، بل هو

(١) المحرر الوجيز ٣٤/١٥.

(٢) الكشاف ٣٠٥/٦.

أمر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لأجل تعذيبكم"[١].

قوله تعالى:(فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ) أي آثارها وبقاياها وأنقاضها بعد قلع الريح معظمها. والمعنى: أن الريح أتت على جميعهم و لم يبق منهم أحد من ساكني مساكنهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"أي: قد بادوا كلهم عن آخرهم و لم تبق لهم باقية"[٢].

(كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ) يقول تعالى ذكره: كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدنيا، فأهلكناهم بعذابنا، كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا، إذ تمادوا في غيهم وطَغَوا على ربهم، والمقصود تهديد وتخويف مشركي مكة[٣].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه، وهو المشار إليه بالفعل في أول الآية (تُدَمِّرُ).

و المشبه به وهو العذاب الواقع على قوم عاد، موصوف بالأوصاف العظيمة، ومن أهمها ما جاء فيه التشبيه، وهو التدمير لكل شيء، حتى صار هذا التدمير أصلا، يشبه به كل ما يراد بيان خطره وهوله.

و المشبه مقيد بوصف الإجرام، الذي هو بمعنى الكفر، ولا إجرام أعظم منه لأنه متعلق بحق الله تعالى المنعم، المتفضل على عباده حتى مع جرمهم وكفرهم، وكل المعاصي إجرام في حق الله تعالى، فالواجب الحذر من جميعها.

قال البقاعي رحمه الله:"ولما طارت لهذا الهول الأفئدة واندهشت الألباب، قال تعالى منبهاً على زبدة المراد بطريق الاستئناف: (كَذَٰلِكَ) أي مثل هذا الجزاء الهائل في أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الإهلاك (نَجۡزِي) بعظمتنا دائماً إذا شئنا (ٱلۡقَوۡمَ) وإن كانوا أقوى ما يكون (ٱلۡمُجۡرِمِينَ) أي العريقين في الإجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل، ويصلون ما حقه

(١) مفاتيح الغيب ٢٨/٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣١٩٤/٧.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٨/٢٨.

القطع، وذلك الجزاء هو الإهلاك على هذا الوجه الشنيع، فاحذروا أيها العرب مثل ذلك إن لم ترجعوا[1].

(١) نظم الدرر ٦/٦٨.

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ الأحقاف: ٣٥

هذه الآية فيها تشبيهان، أما التشبيه الأول فتحليله:

المشبه: الصبر الذي أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصبره.

المشبه به: صبر أولي العزم من الرسل.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الصبر المخصوص بالصبر العظيم، لأنه صبر أولي العزم.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: حال المشركين عند رؤية ما يوعدون من عذاب الله تعالى في القيامة.

المشبه به: حال من لم يلبث في الدنيا إلا ساعة قليلة من النهار.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: سرعة الانقضاء، ونسيان التمتع لهول ما أمامهم.

تفسير الآية:

يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يصبر على أذى قومه له، واستهزائهم به، وعلى ما يلقى منهم من الشدة، كصبر أولي العزم من الرسل، على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته.

و اختلف في المراد بهم:

فقيل: هم جميع الرسل، لأنهم جميعا أصحاب عزم وجد، ورأي وعقل. ويكون هذا القول مبنيا على اعتبار أن (من) بيانية.

قال ابن زيد: كلّ الرسل كانوا أولي عزم، لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم[1].

و قيل: هم أصحاب الجد والعزم، وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام

(١) جامع البيان ٢٦/٤٥.

جميعا، وهذا القول يكون بناء على اعتبار أن (من) في الآية للتبعيض.

قال ابن عباس وقتادة: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع، فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة[(١)].

و قال البغوي: ذكرهم الله على التخصيص في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٧، وفي قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ الشورى: ١٣ [(٢)].

قال الألوسي:"ولعل الأولى في الآية القول الأول وإن صار أولوا العزم بعد مختصاً بأولئك الخمسة عليهم الصلاة والسلام عند الاطلاق لاشتهارهم بذلك... فكأنه قيل: فاصبر على الدعوة إلى الحق ومكابدة الشدائد مطلقاً كما صبر إخوانك الرسل قبلك"[(٣)].

و قال الشيخ الأمين:"واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن لفظة من، في قوله: من الرسل بيانية يظهر أنه خلاف التحقيق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ القلم: ٤٨ الآية، فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر، ونهاه عن أن يكون مثل يونس، لأنه هو صاحب الحوت وكقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ طه:١١٥ فآية القلم، وآية طه المذكورتان كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل والعلم عند الله تعالى"[(٤)].

و أقول –و العلم عند الله تعالى-: إن أمر اللهِ رسولَه عليه الصلاة والسلام أن يصبر كصبر جميع الرسل، أعظم من أن يؤمر بالصبر كصبر جماعة منهم، وإن كنا نقر لهم بالفضل والخيرية، فأن يحمل الأمر بالصبر على صبر جميع الرسل أولى، إذ ما من رسول إلا كان له عزم وصبر، وما كان من نسيان آدم عليه السلام، فهو قبل هبوطه ونزوله إلى أرض التكليف، وأما

(١) معالم التنزيل ٢٧٢/٧.

(٢) معالم التنزيل ٢٧٢/٧.

(٣) روح المعاني ٣٥/٢٦.

(٤) أضواء البيان ٤٠٨/٧.

يونس عليه السلام، فلعله أمر بالصبر كصبره بعد توبته ورجوعه إلى قومه، وكما نهاه الله تعالى أن يصبر كصبره في آية القلم، فقد أمر تعالى أن يقتدي بهديه وهدي جميع المرسلين في سورة الأنعام. والله أعلم.

و على كلا القولين فإن الآية اقتضت أن نبينا وحبيبنا محمداً صلى الله عليه وسلم من أولي العزم؛ لأن تشبيه الصبر الذي أمر به، بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم؛ لأنه ممتثل أمر ربه، فصبره مثيل لصبرهم، ومَن صَبَرَ صَبْرَهم كان منهم لا محالة[١].

و قد صبر صلى الله عليه وسلم صبرا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعا بصده عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو صلى الله عليه وسلم لم يزل صادعا بأمر الله، مقيما على جهاد أعداء الله، صابرا على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض وأظهر دينه على سائر الأديان، وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا مزيدا إلى يوم الدين[٢].

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لما أمره بالصبر الذي من أعلى الفضائل، نهاه عن العجلة التي هي من أمهات الرذائل، ليصح التحلي بفضيلة الصبر الضامنة للفوز والنصر[٣]، ولأن الاستعجال ينافي العزم ولأن في تأخير العذاب تطويلاً لمدة صبر الرسول صلى الله عليه وسلم[٤].

و المعنى: لا تستعجل بالدعاء في طلب العذاب عليهم لأنه واقع بهم، لا محالة، إذا انتهت مدة الإمهال.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ بيان لسبب النهي عن الاستعجال، لأن العذاب واقع بهم، فلا يؤثر في وقوعه تطويل أجله ولا تعجيله[٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"وحاصل ذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي

---

(١) التحرير والتنوير ٦٧/١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٧٨٤.

(٣) نظم الدرر ٧٦/٨.

(٤) التحرير والتنوير ٦٧/١٢.

(٥) التحرير والتنوير ٦٧/١٢-٦٨.

البرزخ حين عاينوا يوم القيامة وشدائدها وطولها"[١].

و تخصيص الساعة بأنها من النهار، لأنها تكون سريعة الانقضاء لانهماك الإنسان في العمل فيها، بخلاف ساعات الليل فإنها للفراغ من الأشغال تكون طويلة، والتنكير يفيد التقليل[٢].

قال البقاعي رحمه الله:"ولما كانت الساعة قد يراد بها الجنس وقد تطلق على الزمن الطويل، حقق أمرها وحقرها بقوله: ﴿مِّن نَّهَارٍۭ﴾"[٣].

﴿بَلَٰغٌۚ﴾ اسم مصدر، بمعنى التبليغ وفيه وجهان:

إما أن يراد به: أن هذه الموعظة، أو هذه الأخبار الواردة في شأن الكفار، أو هذا القرآن والشرع، بلاغ من الله تعالى للعباد، وإنذار لهم[٤].

أو أن هذه المدة التي لبثوها هي بلغة لهم إلى أجلهم[٥]، وفيه تحقير أمر الدنيا، وأنها مهما طالت فهي قصيرة.

قال الأمين رحمه الله:"التحقيق إن شاء الله أن أصوب القولين في قوله: ﴿بَلَٰغٌۚ﴾ أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره، هذا بلاغ، أي هذا القرآن بلاغ من الله إلى خلقه"[٦].

و على كلا القولين فإنها تعرب خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هذا.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي فلا يهلك مع رحمة الله تعالى الواسعة، وعفوه العظيم، إلا من لا خير فيه ممن خرج عن طاعته، واستكبر عن عبادته، فالاستفهام هنا مستعمل في معنى النفي[٧].

قال الزجاج: تأويله: لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون[٨].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٢١٠/٧.

(٢) التحرير والتنوير ٦٨/١٢.

(٣) نظم الدرر٧٦/٨.

(٤) جامع البيان ٤٦/٢٦، ومعالم التنزيل ٢٧٣/٧.

(٥) جامع البيان ٤٦/٢٦.

(٦) أضواء البيان ٤١٠/٧.

(٧) التحرير والتنوير ٦٩/١٢.

(٨) معالم التنزيل ٢٧٣/٧.

ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية"[١].

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بين، وذلك أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها، وأمر بالطاعة ووعد عليها بالجنة، ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار، فلن يهلك على الله إلا هالك"[٢]. نسأل الله تعالى عفوه ورحمته.

والمراد بالفسق هنا الفسق عن الإيمان وهو فسق الإشراك[٣].

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مجملان، ذكرت أداتهما و لم يذكر وجههما.

و بتأمل التشبيه الأول نجد أنه قد قيد أحد طرفيه، وهو المشبه به، بصبر أولي العزم، وهذا يدل على أنه صبر في مزية مخصوصة على صبر عموم الناس أو مجرد معنى الصبر عند الإطلاق، وبالتالي فهو يدل على أنه صبر جميل، ليس فيه شكوى، وليس فيه انتصار للنفس، وليس فيه ملل من تبليغ دعوة الله تعالى، أو إعراض الناس عنها.

و قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، أرفع مقامات الصبر وأعلاها.

و في التشبيه دلالة على أن أولي العزم من الرسل-سواء قلنا: أنهم جميع الرسل، أو بعضهم- قد صبروا في الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، ونبذ كل ما يعبد سواه، صبرا عظيما ومن عظمه أنه صار أصلا يشبه به.

أما عند النظر إلى التشبيه الثاني، فإنا نجد أنه يدل على أن الكفار يستقلون مدة بقائهم في الحياة، حتى إنهم ليعتبرونها ساعة من نهار، مرت دون شعور، وذلك إما باعتبار أن ما مضى من حياتهم كأن لم يكن لفواته وعدم القدرة على استرجاعه، أو لهول ما رأوا من أهوال القيامة، وشدة العذاب، وطول مدته.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"فإنهم يوم يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة لاحتقارهم ذلك، لأن المنقضي من الزمان إنما يصير عدماً، فكثيره الذي ساءت عاقبته

---

(١) معالم التنزيل ٢٧٣/٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧/١٥.

(٣) التحرير والتنوير ٦٩/١٢.

كالقليل"[1].

و هو مع ذلك يحمل معنى الحسرة، لأنهم لم ينتفعوا من هذه الحياة التي عاشوها، فقد كانت متاعا قليلا، فتزداد حسرتهم، ويطلبون الرجعة فلا يجابون، (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين).

(١) المحرر الوجيز ٤٦/١٥.

قال تعـــالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾ ﴾ محمد: ٣

أركان التشبيه:

المشبه: بيان الله تعالى للناس أحوالهم وأمثالهم وأنواعهم.

المشبه به: بيان الله تعالى في إضلاله لأعمال الكافرين بسبب اتباعهم للباطل، وبيانه لفضله على المؤمنين بسبب اتباعهم للحق من ربهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الوضوح والبيان.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى أنه أضل أعمال الكافرين في هذه الحياة الدنيا، وجعلهم على غير استقامة وهدى، لأنهم اتبعوا الباطل.

قال مجاهد: الباطل: الشيطان(١)، وسمي باطلا لأنه يدعو إلى الباطل، فكل ما يأمر به الشيطان فهو باطل.

و قيل المقصود بالباطل: الهوى(٢).

كما يخبر سبحانه أنه يكفر سيئات المؤمنين، ويهديهم ويصالح حالهم في الدنيا بسبب أنهم اتبعوا الحق من ربهم، والمقصود به: دين الله تعالى وشرعه، وقرآنه، ورسوله عليه الصلاة والسلام، وذلك لمجيئه بالحق ودعوته إليه.

و الفائدة في بيان السبب أن الفعلان قد يتحدان صورة وحقيقة، وأحدهما يورث إبطال الأعمال والآخر يورث تكفير السيئات؛ بسبب أن أحدهما يكون فيه اتباع الحق، والآخر اتباع الباطل.

فإن من يؤمن ظاهراً وقلبه مملوء من الكفر، ومن يؤمن ظاهرا وقلبه مملوء من الإيمان اتحد فعلاهما في الظاهر، وهما مختلفان بسبب اتباع الحق واتباع الباطل، لا بد من ذلك، فإن من

---

(١) جامع البيان ٤٨/٢٦.

(٢) النكت والعيون ١٢٦/٤.

يؤمن ظاهراً وهو يسر الكفر، ومن يكفر ظاهراً بالإكراه وقلبه مطمئن بالإيمان اختلف الفعلان في الظاهر، وإبطال الأعمال لمن أظهر الإيمان بسبب أن اتباع الباطل من جانبه، فكأنه تعالى قال: الكفر والإيمان مثلان يثبت فيهما حكمان وعلم سببه، وهو اتباع الحق والباطل، فكذلك اعلموا أن كل شيء اتبع فيه الحق كان مقبولاً مثاباً عليه، وكل أمر اتبع فيه الباطل كان مردوداً معاقباً عليه، فصار هذا عاماً في الأمثال[١].

و قوله تعالى:(مِن رَّبِّهِمْ) أي: فضلا من الله تعالى ورحمة منه بالمؤمنين أن هداهم لاتباع الحق وقبوله، أو أن المؤمنين اتبعوا الحق لمجيئه من ربهم جل وعلا[٢].

و قيل: أن كلا الأمرين من اتباع الكافرين الباطل، واتباع المؤمنين الحق من الله تعالى، أي بحكمه وقضائه[٣].

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى بعد بيانه لهذين القولين:"ويحتمل أن يقال قوله (مِن رَّبِّهِمْ) عائد إلى الأمرين جميعاً، أي من ربهم اتبع هؤلاء الباطل، وهؤلاء الحق، أي من حكم ربهم، ومن عند ربهم"[٤].

و قوله تعالى:(كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ): الإشارة هنا إلى البيان السابق الذي أوضحه الله تعالى، من إضلاله أعمال الكافرين لاتباعهم الباطل، وتكفيره سيئات المؤمنين، وإصلاح حالهم لاتباعهم الحق.

و المقصود بـ(يَضْرِبُ) يبين ويوضح، وهو من الضرب الذي هو بمعنى النوع[٥]، ولا يستدعي أن يكون هناك مثل مضروب، بل معناه: أنه تعالى لما بيّن حال الكافر وإضلال أعماله، وحال المؤمن وتكفير سيئاته وبيّن السبب فيهما، كان ذلك غاية الإيضاح فقال:

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٢/٢٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٤١/٢٨.

(٣) مفاتيح الغيب ٤١/٢٨.

(٤) مفاتيح الغيب ٤٢/٢٨.

(٥) البحر المحيط ٧٣/٨.

(كَذَٰلِكَ) أي مثل هذا البيان (يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ) ويبين لهم أحوالهم[1].

و الضمير في (أَمْثَٰلَهُمْ) راجع إما إلى الناس أو الفريقين السابقين، على معنى أن أحوال الناس لا تخرج عن هذين النوعين والحالين.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل، ذكرت أداته ووجهه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (يَضْرِبُ) على ما ذكر في معناها.

و التشبيه يفيد أن الله تعالى بين للناس طريق الحق وعاقبته، وفضله على أهله،ثم رغبهم في اتباعه وسلوكه، وبين طريق الشر، وسوء عاقبة أهله، ثم حذرهم من اتباعه، بيانا واضحا لا يبقي لأحد معه حجة على الله تعالى، ولا يلتبس عليه الحق بالباطل

و هذه الفائدة مستفادة من جعل بيان الله تعالى في هذه السورة مشبها به؛ أي أنه بلغ الغاية في الوضوح والكمال حتى صار أصلا يشبه به، ولا ينبغي الفهم أن المشبه ناقص على هذا المعنى، ولكن المقصود: أن بيان الله تعالى يشبه بعضه بعضا في الوضوح، وإقامة الحجة، وبيان المحجة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ الزمر: ٢٣. فهو خير الكلام، وأشرفه وأعلاه.

(١) مفاتيح الغيب ٤٢/٢٨.

قال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ ﴾ محمد: ١٢

أركان التشبيه:

المشبه: أكل الكفار وتمتعهم في الدنيا.

المشبه به: أكل الأنعام.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: كثرة الأكل، والغفلة، وكونه في كل وقت مع عدم التمييز بـــين الضـــار والنافع.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه بأنه يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهـــار، وكثيراً ما يقتصر الله على ذكر الأنهار في وصف الجنة لأن الأنهار يتبعها الأشجار والأشجار تتبعها الثمار(١).

و جاء ذكر ثوابهم بصيغة الوعد لأن الإحسان لا يستدعي أن يكون عن اســـتحقاق، فالمحسن إلى من لم يوجد منه ما يوجب الإحسان كريم(٢).

و يخبر تعالى أن الذين كفروا يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانيـــة الدارسة، ويأكلون من أيّ موضع كان وكيف كان، من غير تمييز للحرام من غيره وهم مع ذلك غير مفكِّرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدّية لهم إلى علـــم توحيد الله ومعرفة صدق رسله، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك، وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره.

و خص الله تعالى الكافرين بالتمتع مع أن المؤمن أيضاً له وجه تمتع بالدنيا وطيباتها، لأن من يكون له ملك عظيم، ويملك شيئاً يسيراً أيضاً لا يذكر إلا بالملك العظيم، ومن لا يملك إلا شيئاً يسيراً فلا يذكر إلا به، فالمؤمن له ملك الجنة فمتاع الدنيا لا يلتفت إليه في حقه، والكافر

---

(١) مفاتيح الغيب ٥١/٢٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٥٢/٢٨.

ليس له إلا الدنيا(١).

أو لأن المؤمنين تمتعوا بما رزقهم الله من الملاذ، لا على وجه أنها ملاذ فقط، بل على وجه أنها مأذون فيها أيضا، وهي بلاغ إلى الآخرة، وأكلوا لا للترفه فقط، بل لتقوية البدن على ما أمروا به تقوتاً لا تمتعاً(٢).

و قوله تعالى عن الكافرين: ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي مسكن لهم، ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم، وذكر الله تعالى وعيدهم بصيغة تنبيء عن الاستحقاق لأن المعذِّب من غير استحقاق ظالم، والله منزه عن الظلم، بل له سبحانه كمال العدل(٣).

قال الألوسي رحمه الله:"وأسند إدخال الجنة إلى الله تعالى و لم يسلك نحو هذا المسلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾، وخولف بين الجملتين فعلية واسمية للإيذان بسبق الرحمة، والإعلام بمصير المؤمنين، والوعد بأن عاقبتهم أن الله سبحانه يدخلهم جنات، وأن الكافرين مثواهم النار وهم الآن حاضرون فيها ولا يدرون وكالبهائم يأكلون"(٤).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه، وإلأيه الإشارة بقوله تعالى:﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ﴾.

و تقع المشابهة بين تمتع الكفار وأكلهم وبين الأنعام من جهات متعددة، فالأنعام تأكل فتسمن وهي في غفلة مما يراد بها، من النحر والذبح، فكلما كانت أسمن، كانت إلى الذبح أقرب، وكذلك الكفار يتمتعون ويأكلون، ولا هَمَّ لهم إلا بطونهم، وفروجهم، وهم في غفلة عن سبب وجودهم، وعن الدلائل التي تدل على الإيمان، وأيضا في غفلة عن ما ينتظرهم من عذاب الله تعالى، الذي من عظمته وشدته، أن غمسة منه تنسيهم ما كانوا فيه من نعيم ومتاع، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"يؤتى بأنعم أهل

---

(١) مفاتيح الغيب ٥١/٢٨.

(٢) نظم الدرر ٨٦/٨.

(٣) مفاتيح الغيب ٥٢/٢٨.

(٤) روح المعاني ١١٣/١٩.

الدنيا، من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟. فيقول: لا. والله يا رب"(١).

و الأنعام تكثر الأكل، فليس لأكلها وقت محدد، بل كل الأوقات تأكل وتجتر، ولا همة لها إلا في الاعتلاف، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الكفار كذلك ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"المؤمن يأكل في مِعيّ واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"(٢).

و أيضا هذا الأكل من الأنعام من غير تمييز بين ما ينفعها ويضرها، وكذلك الكفار يأكلون من غير تمييز بين الضار الذي حرمه الله تعالى، والنافع الذي أحله وأباحه لعباده، مما يعود عليهم بالضرر في الدين والدنيا، ومن ذلك شربهم الخمر، وأكلهم الخنزير، مع ما فيهما من الأضرار.

قال الرازي رحمه الله:"وقوله تعالى: ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يحتمل وجوهاً أحدها: أن الأنعام يهمها الأكل لا غير والكافر كذلك والمؤمن يأكل ليعمل صالحاً ويقوى عليه. وثانيها: الأنعام لا تستدل بالمأكول على خالقها والكافر كذلك. وثالثها: الأنعام تعلف لتسمن وهي غافلة عن الأمر، لا تعلم أنها كلما كانت أسمن كانت أقرب إلى الذبح والهلاك، وكذلك الكافر"(٣).

و في تفسير البحر المديد:"فالتشبيهُ بالأنعام صادقٌ بالغفلةِ عن تدبير العاقبة، وعن شكر المنعِم، وبعدم التمييز للمُضر من غيره، كأكل الحرام وعدم تَوَقيه، وكذا كونُه غير مقصورٍ على الحاجة، ولا على وقتها"(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، برقم(٢٨٠٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معى واحد، برقم(٥٣٩٣)
صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء، برقم(٢٠٦١-٢٠٦٢)

(٣) مفاتيح الغيب ٥٢/٢٨.

(٤) البحر المديد ٥٦/٦.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد: ١٤ – ١٥

أركان التشبيه:

هاتان الآيتان فيهما تشبيهان، أما الأول فتحليله:

المشبه: من كان على بينة من ربه.

المشبه به: من زين له سوء عمله واتبع هواه.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم استواء الحال والمآل.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: المتقون من أهل الجنة.

المشبه به: من هو خالد في النار، وسقوا من الماء الحميم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم استواء الثواب.

تفسير الآية:

يقول سبحانه وتعالى مستفهما استفهام إنكار لا استعلام: هل من كان على بينة وحجة واضحة وظاهرة، وعلم راسخ بالأمر والنهي من ربه تعالى، هل يكون حاله ومآله كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله وسيئه، فأراه جميلا فهو على العمل به مقيم، واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة.

و الجواب قطعا: لا يستويان. فالاستفهام مستعمل في إنكار المماثلة التي يقتضيها حرف

التشبيه.

و قيل: إن المعني بالذي على بينة من ربه هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن من زين له سوء عملهم واتبعوا أهواءهم هم المشركون(١).

وتعقب بأن التخصيص لا يساعده النظم الكريم ولا داعي إليه(٢).

و الراجح بقاء اللفظ عاماً لأهل هاتين الصفتين غابر الدهر(٣).

قال الرازي رحمه الله:"وقوله ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مكمل له؛ وذلك أن البينة إذا كانت نظرية تكون كافية للفرق بين المتمسك بها وبين القائل قولاً لا دليل عليه، فإذا كانت البينة منزلة من الله تعالى تكون أقوى وأظهر فتكون أعلى وأبهر،... وقوله (﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ تكملة وذلك أن من زين له سوء عمله وراجت الشبهة عليه في مقابلة من يتبين له البرهان وقبله، لكن من راجت الشبهة عليه قد يتفكر في الأمر ويرجع إلى الحق، فيكون أقرب إلى من هو على البرهان، وقد يتبع هواه ولا يتدبر في البرهان ولا يتفكر في البيان فيكون في غاية البعد"(٤).

ومعنى وصف البينة بأنها من الله: أن الله أرشدهم إليها وحرّك أذهانهم فامتثلوا وأدركوا الحق، فالحجة حجة في نفسها، وكونها من عند الله تزكية لها وكشف للتردّد فيها وإتمام لدلالتها(٥).

وبني فعل ﴿زُيِّنَ ﴾ للمجهول ليشمل المزيّنين لهم من أيمة كفرهم، وما سولته لهم أيضاً عقولهم الآفنة من أفعالهم السيئة اغتراراً بالإلف أو اتباعاً للذات العاجلة أو لِجلب الرئاسة، أي زَيَّن له مُزيّنَ سوءَ عمله، وفي هذا البناء إلى المجهول تنبيه لهم أيضاً ليرجعوا إلى أنفسهم فيتأمّلوا فيمن زيّن لهم سوء أعمالهم(٦).

ثم يخبر تعالى عباده عن الجنة التي وعد بها المتقين من عباده فقال:

---

(١) جامع البيان ٥٨/٢٦.

(٢) روح المعاني ٤٧/٢٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥٩/١٥.

(٤) مفاتيح الغيب ٥٣/٢٨.

(٥) التحرير والتنوير ٩٣/١٢.

(٦) التحرير والتنوير ٩٣/١٢-٩٤.

(فِيهَآ أَنْهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ): والمعنى: غير متغير ريحه ولا طعمه. قاله ابن عباس وقتادة[1].

(وَأَنْهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ): لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه.

(وَأَنْهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ): يتلذذون بشربها فليست كريهة الطعم والرائحة، وليس فيها من الخبث ما في خمر الدنيا الذي يجلب التقيؤ والصداع ونحوهما من الأعراض التي تصاحب، بل هي حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل.

(وَأَنْهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ) لأن عسل الدنيا تشوبه أجزاء من الشمع أو النحل الميت، فذكر الله أن عسل الجنة مصفى من كل شائبة تنقص لذة شاربه.

(وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ) أي: على الأشجار من الثمرات أشكال وألوان زيادة في نعيمهم.

و لما ذكر النعيم الجسماني ذكر بعده النعيم الروحاني فقال:(وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ): أي: ومع كل ما هم فيه من النعيم فإنه يشعرون بنعيم الروح حيث غفر الله لهم ذنوبهم، وكفر عنهم سيئاتهم.

(كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ) هل يستوي من يكون هذا نعيمه وجزاؤه بجزاء من هو خالد في النار أبدا، وإذا أرد الماء سقي من الماء الحميم الذي يزيد في عذابه ونكاله بأنه من شدة حرارته يقطع أمعاءه.

و الجواب قطعا: لا يستويان.

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مجملان؛ ذكرت أداتهما و لم يذكر وجههما.

والمقصود منهما إنكار المشابهة بين هؤلاء وهؤلاء، وتفضيل الفريق الأول، وإنكار زعم المشركين أنهم خير من المؤمنين

---

(١) جامع البيان ٢٦/٥٨.

و قد سبق بيان فضل المؤمنين والفرق بينهم وبين غيرهم في عدة آيات بما أغنى عن إعادته.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ محمد: ٢٠

أركان التشبيه:

المشبه: نظر الذين في قلوبهم مرض إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: نظر المغشي عليه من الموت.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: وجه حسي وهو ثبات الحدقة، ووجه معنوي هو الخوف والهلع والرعب.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن المؤمنين الخلص من عباده، الذين كان حرصهم يبعثهم على تمني الظهور، وتمني قتال العدو، وفضيحة المنافقين، ونحو ذلك مما هو ظهور للإسلام، أنهم يقولون: هلا نزلت سورة، يأمرنا الله تعالى فيها بالجهاد ومقاتلة العدو، حتى يظهر الإسلام، ويحترم جنابه، ويقذف الرعب في قلوب الكفار، فنمتثل ذلك الأمر، ونفوز بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله، والشهادة في سبيله[1].

و قيل المراد: نزول أي سورة، وليس الطلب مخصوصا بسورة يكون فيها الأمر بالجهاد في سبيل الله تعالى؛ لأن المؤمنين كانوا يشتاقون إلى كتاب الله تعالى وإلى بيان ما ينزل عليهم فيه... وإنما جاء ذكر المنافقين ووصف حالهم في الآية تعرية لهم، لدخولهم في المؤمنين بحسب الظاهر[2].

قوله تعالى:(فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ)، والمقصود بمحكمة: مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجهاً إلا وجوب القتال... وقيل لها محكمة؛ لأنّ النسخ لا يرد عليها من

(١) جامع البيان ٢٦/٦٤.

(٢) روح المعاني ٢٦/٦٧.

قِبَل أنّ القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة، وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة[١].

وأما الإحكام الذي هو بمعنى الإتقان، فالقرآن فيه كله سواء[٢].

قال الإمام الرازي رحمه الله:"فقوله (مُّحۡكَمَةٞ) فيها فائدة زائدة من حيث إنهم لا يمكنهم أن يقولوا المراد غير ما يظهر منه، أو يقولوا هذه آية وقد نسخت فلا نقاتل"[٣].

و معنى ذكر القتال، الأمر به، وذكر ثوابه.

قوله تعالى:(رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لاحِقٌ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ ﴾ محمد: ١٦[٤].

وذكر الله صفة المنافقين، و لم يذكر أسماءهم؛ لتستفيد الأمة من بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، من هذا الخطاب.

و الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والمرض: مرض النفاق والشك[٥]، أي: ينظرون إليك خوفا وجبنا وهلعا من أن تغزيهم، أو تأمرهم بالجهاد مع المسلمين، أو خوفا من الفضيحة لأنهم عند التكليف بالقتال لا يبقى لنفاقهم فائدة، فإنهم قبل القتال كانوا يترددون إلى القبيلتين وعند الأمر بالقتال لم يبق لهم إمكان ذلك[٦].

أو ينظرون إليك شزرا بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد، وعداوة لك وللمؤمنين[٧].

كنظر المغشي عليه من الموت، وهو من أصابته الغشية عند الموت[٨].

و تخصيص نظرهم بنظر المغشي عليه من الموت، لأنه أعظم أسباب الغشيان.

قال البقاعي رحمه الله:"ولما كان للغشي أسباب، بين أن هذا أشدها فقال تعالى: (مِنَ

---

(١) الكشاف ٣٢٩/٦.

(٢) المحرر الوجيز ٦٧/١٥.

(٣) مفاتيح الغيب ٦٢/٢٨.

(٤) التحرير والتنوير ١٠٨/١٢.

(٥) جامع البيان ٦٥/٢٦.

(٦) مفاتيح الغيب ٦٢/٢٨.

(٧) البحر المحيط ٨١/٨.

(٨) الكشاف ٣٢٩/٦.

﴿ٱلۡمَوۡتِ﴾ الذي هو نهاية الغشي، فهو لا يطرف بعينه بل هو شاخص لا يطرف كراهة للقتال من الجبن والخور"(١).

قوله تعالى:(﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾): اختلف في المراد بأولى هنا:

القول الأول: أنها ختام الآية نهاية الكلام، ومنقطعة عما بعدها، وعلى هذا يكون معناها وعيد توعَّد الله به هؤلاء المنافقين(٢)، مأخوذ من الولي: بمعنى القرب، والمعنى: الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه(٣)،أو يكون بمعنى الموت أولى لهم، أو عذاب وهلاك أقرب إليهم من كل شيء(٤).

قال الإمام الرازي رحمه الله:"ويحتمل أن يكون هو خبر لمبتدأ محذوف سبق ذكره وهو الموت كأن الله تعالى لما قال: (﴿نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾) قال: فالموت أولى لهم، لأن الحياة التي لا في طاعة الله ورسوله الموت خير منها"(٥).

و يكون معنى (﴿لَهُمۡ﴾) أنه خاص بهم(٦).

و القول الثاني: أنها متصلة بما بعدها، ويكون معنى اللام هنا الباء، أي: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس(٧).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و هو تشبيه مقيد الطرفين:

---

(١) نظم الدرر ٩٦/٨.

(٢) جامع البيان ٦٥/٢٦.

(٣) الكشاف ٣٢٩/٦.

(٤) روح المعاني ٦٧/٢٦.

(٥) مفاتيح الغيب ٦٢/٢٨.

(٦) نظم الدرر ٩٦/٨.

(٧) معالم التنزيل ٢٨٦/٧.

فالمشبه مقيد بوصف مرض القلب، إذ ربما تتفق مقولتهم مع مقولة المؤمنين في طلـــب نزول الآيات، التي تأمرهم بطاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ولكن تختلف الاستجابة بمقدار سلامة القلب ومرضه، وأيضا هو مقيد بهذا الوصف ليشمل من يأتي من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ممن اتصف بهذه الصفة، صفة التلكع والتأخر عن الاستجابة لأمر الله تعـــالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وبحثهم عن المعاذير التي تسوغ فعلهم من عدم الإحكـــام في الآيات واحتمالها أكثر من معنى، أو دعوى النسخ بدون حجة إلا الهوى، مع تشـــدقهم في أوقات السعة واليسر، بالامتثال لأحكام الدين.

و هذا الوصف يزيد المشبه قبحا، ويجعل صورته في الذهن مكروهة؛ لأنهم موصـــوفون بالمرض، والمرض حالة مكروهة للإنسان.

و المشبه به مقيد، بغشي الموت، وليس أي غشي، لأن غشي الموت أعظم أنواعه، وأشد أقسامه، ليصور عظيم الهلع والجبن والخوف في قلوبهم، الذي يصحبه التوتر، والارتباك.

هذا وجه الشبه من الجهة المعنوية، وعليها يحمل كلام المفسرين، الذين فسروا التشـــبيه بالخوف والجبن، كالطبري، والزمخشري وغيرهما.

ويصدق الوجه من جهة حسية أيضا، حيث أن المغشي عليه من الموت ثابت الحدقـــة، محدق النظر إلى جهة واحدة، وكذلك هؤلاء الذين في قلوبهم مرض، محدقون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، خوفا من أن يأمرهم بالقتال، فيحملهم هذا التحديق على الابتعاد عن مواقع نظره الكريم، والتخفي وعدم البروز.

أو يحدقون النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من العداوة طلبا لعثـــرة منـــه — وحاشاه- أو لموقف يساء فهمه وتفسيره، ليتخذ ذريعة للنيل منه، والطعن في نبوته وشخصيته الفذة، وعلى هذا الوجه يحمل كلام المفسرين الذين ذكروا أن سبب النظر إلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم من قبل مرضى القلوب هو العداوة.

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله:"وجه الشبه ثبات الحدقة وعدم التحريك، أي ينظرون إليك نظر المتحيّر بحيث يتجه إلى صوب واحد ولا يشتغل بالمرئيات لأنه في شاغل عن النظر، وإنما يوجهون أنظارهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانوا بمجلسه حين نزول السورة، وكانوا يتظاهرون بالإقبال على تلقي ما ينطق به من الوحي، فلما سمعوا ذكر القتال بهتـــوا،

فالمقصود المشابهة في هذه الصورة"[١].

و لا تعارض بين هذين الوجهين، إذ الكل واقع من المنافقين، وربما أفصحت عنه ألسنتهم في لحن القول، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ محمد: ٣٠.

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٠٨.

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ الفتح: ١٥ – ١٦

فيه هذه الآيتين تشبيهان، أما الأول فأركانه:

المشبه: منع النبي صلى الله عليه وسلم المخلفين من الأعراب من اتباعه إلى خيبر.

المشبه به: أمر الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم بعدم الإذن للمخلفين من الأعراب باتباعه.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: المنع من الاتباع.

أما التشبيه الثاني فأركانه:

المشبه: تولي المخلفين عن قتال القوم أولي البأس الشديد، إذا حصل منهم ذلك.

المشبه به: تولي المخلفين من الأعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التولي والتخلف.

تفسير الآية:

يخبر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، بأن المخلفين من الأعراب الذين تخلفوا عن اتباعه عندما خرج إلى مكة معتمرا بأنهم سيقولون له: إذا انطلقتم إلى مغانم خيبر فذرونا نتبعكم، يقصدون أن يجيز لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخالِف أمْرَ الله، فيكون تبديلاً لأمره، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم ذلك عوضا من غنائم أهل

مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، و لم يصيبوا منهم شيئا، ونهى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يشارك معه غير الذين خرجوا معه إلى مكة.

فقل يا نبينا ورسولنا مجيبا لهم عن ذلك: لن تتبعونا، فإن الله تعالى خص غنائم خيبر لمن خرج معي إلى مكة، ونهاني أن يتبعني أحد ممن تخلف.

ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم سيقولون: بل أنتم تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنيمة، فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم.

فيقول الله تعالى:(بل كانوا لايفقهون إلا قليلا): أي: ليس الأمر كما يقول هؤلاء المخلفون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسدا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدوّ مغنما، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلا يسيرا، ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به، وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر: إنما تمنعوننا من صحبتكم إليها لأنكم تحسدوننا.

وإنّما نفى الله عنهم الفهم دون الإيمان لأنهم كانوا مؤمنين ولكنهم كانوا جاهلين بشرائع الإسلام ونظمه(1).

ثم يقول الله سبحانه وتعالى آمرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يعرض على هؤلاء المخلفين من الأعراب ويقول لهم: إنكم ستدعون إلى قتال قوم أولي بأس وشدة ونجدة في الحرب، ولهم قوة شديدة، تقاتلونهم حتى يسلموا، فإن أطعتم وامتثلتم فإن الله تعالى سيثيبكم على ذلك الثواب العظيم، وإن توليتم عن هذا القتال كما توليتم عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى سيعذبكم عذابا أليما موجعا.

قال ابن عاشور رحمه الله:" انتقال إلى طمأنة المخلفين بأنهم سينالون مغانم في غزوات آتية ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش الإسلام ليس لانسلاخ الإسلام عنهم ولكنه لِحكمة نوط المسبّبات بأسبابها على طريقة حكمة الشريعة فهو حرمان خاص بوقعة معينة كما تقدم آنفاً، وأنهم سيدعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين كما تُدعى طوائف المسلمين، فذِكر هذا في هذا المقام إدخال للمسرة بعد الحزن ليزيل عنهم انكسار

(1) التحرير والتنوير ٢٦/١٧٠

خواطرهم من جراء الحرمان، وفي هذه البشارة فرصة لهم ليستدركوا ما جنوه من التخلف عن الحديبية وكل ذلك دال على أنهم لم ينسلخوا عن الإيمان"(١).

واختلف في المراد بهؤلاء القوم أولي البأس الشديد:

فقيل: فارس، والروم، وهوازن، وغطفان، وبني حنيفة، وغيرهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنيَّ بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عني بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عُنِي بهم غيرهم، ولا قول فيه أصحّ من أن يُقال كما قال الله جلّ ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد(٢).

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مفصلان، ذكرت أداتهما ووجههما.

أما بالنسبة للتشبيه الأول فامتثال النبي صلى الله عليه وسلم لأمر ربه هو تحقيق لوجه الشبه، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم سيمتثل أمر ربه أحسن امتثال، وبمجرد منع المخلفين من الأعراب من الالتحاق بجيش يتحقق الوجه.

و الغرض من التشبيه بيان خطأ المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية، وتحريض لهم على الامتثال لأوامره عليه الصلاة والسلام مستقبلا.

أما التشبيه الثاني فهو تشبيه في مطلق التولي وليس في الآثار الناتجة عليه، لأن الآثار الناتجة على التولي الثاني ستكون أعظم لتكرر ذلك التولي منهم مرة أخرى بعد التحذير والوعيد عليه.

قال ابن عاشور رحمه الله:"تشبيه في مطلق التولّي لقصد التشويه وليس تشبيهاً فيما يترتب على ذلك التولي"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ١٧٠/٢٦

(٢) جامع البيان ٩٧/٢٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٧٢/٢٦.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩ ﴾

الفتح: ٢٩

أركان التشبيه:

المشبه: رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

المشبه به: زرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الضعف والقلة في البداية، ثم التكامل والتكاثر والقوة.

تفسير الآية:

يخبر جل شأنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله، تعظيما لشأنه وإظهارا لقدره، خاصة بعد أن أنكر المشركون ذلك في صلح الحديبية وقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، وأيضا لما كان صلح الحديبية قد خفيت مصلحته على كثير من المسلمين، وكانوا يرون أن فيه ضعفا، وذلا، فأخبرهم الله أن محمد رسول الله، وأنه مؤيد من عند الله تعالى.

و بهذا يتضح أن قوله(**مُّحَمَّدٌ**) مبتدأ، و(**رَّسُولُ ٱللَّهِ**) خبر.

(**وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ**) ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنها إشارة إلى من شهد الحديبية[(١)].

ولعلهم أن يكونوا داخلين ابتداء، وتكون عامة لكل الصحابة.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والمراد: أصحابه كلهم لا خصوص أهل الحديبية، وإن كانوا هم المقصود ابتداء فقد عُرفوا بصدق ما عاهدوا عليه الله[(٢)].

---

(١) المحرر الوجيز ١٢٣/١٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٢.

وهو انتقال إلى وصف الصحابة رضي الله عنهم، فأثنى الله تعالى عليهم بصفات عظيمة فقال:

(أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ): بلغ من تشدّدهم على الكفار: أنهم كانوا يتحرّزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم[١].

(رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ): متراحمون متعاطفون متعاونون وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه[٢].

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"والشدة على الكفار: هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح لأن المؤمنين الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا هم فئة الحق ونشر الإسلام فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى المؤمنين إيماناً من أجْل إشراق أنوار النبوءة على قلوبهم فلا جرم أن يكونوا أشد على الكفار فإن بين نفوس الفريقين تمام المضادة وما كانت كراهيتهم للصلح مع الكفار يوم الحديبية ورغبتهم في قتل أسراهم الذين ثقفوهم يوم الحديبية وعفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا من آثار شدتهم على الكفار و لم تكن لاحت لهم المصلحة الراجحة على القتال وعلى القتل التي آثرها النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك كان أكثرهم محاورة في إباء الصلح يومئذٍ أشد أشدّائهم على الكفار وهو عمر بن الخطاب وكان أفهمهم للمصلحة التي توخاها النبي صلى الله عليه وسلم في إبرام الصلح أبا بكر. وقد قال سهل بن حنيف يوم صفين: أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتنا يوم أبي جندل، ولو نستطيع أن نرد على رسول الله فعله لرددناه. والله ورسوله أعلم... وأما كونهم رحماء بينهم فذلك من رسوخ أخوة الإيمان بينهم في نفوسهم... وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدّةِ والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الرؤية"[٣].

---

(١) الكشاف ٣٦٠/٦.

(٢) الكشاف ٣٦٠/٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٠٥/١٢.

(تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا) لما ذكر أخلاقهم مع الخلق انتقل إلى ذكر أخلاقهم مع الخالق سبحانه، فوصفهم بقيامهم بأحسن الطاعات وأعظمها وهي الصلاة، والتعبير عنها بالركوع والسجود لأنهما من أشرف حالاتها، ويتضمنان الذل والافتقار بين يدي الله تعالى، ولايمكن أن يكون الثناء على الإنسان لمجرد ركوعه وسجوده دون أن يصلي.

(يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ) ثناء عليهم بالإخلاص في العمل، والافتقار إلى الله تعالى، فهم يبتغون فضل الله لا فضل سواه، ويلتمسون رضاه.

و في التعبير عنهم بأنهم يبتغون (يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ) فائدة لطيفة؛ وهي أنه تعالى قال في حقهم إنهم (يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ) وقال في آخر الآية: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا) و لم يقل لهم ما يطلبونه من ذلك الفضل وذلك لأن المؤمن عند العمل لم يلتفت إلى عمله و لم يجعل له أجراً يعتد به، فقال لا أبتغي إلا فضلك، فإن عملي نزر لا يكون له أجر والله تعالى آتاه ما آتاه من الفضل وسماه أجراً إشارة إلى قبول عمله ووقوعه الموقع وعدم كونه عند الله نزراً لا يستحق عليه المؤمن أجراً(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله، عز وجل، والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه، تعالى، عنهم وهو أكبر من الأول"(٢).

(سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ) السيماء: العلامة، وهذا ثناء عليهم بظهور أثر الطاعة عليهم، وفي معناه أقوال:

قيل: إنه الأثر الذي يكون في الوجه جراء كثرة السجود وملامسته الجبهة للأرض، وهو محمول على ما كان من دون تعمد وقصد، لأن فعل ذلك بتعمد يخرجه إلى كونه رياء وسمعة.

قال مالك بن أنس: كانت جباههم متربة من كثرة السجود في التراب، كان يبقى على

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٩/٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٢٥٨/٧.

المسح أثره. وقاله عكرمة، وأبو العالية[١].

وقيل: أثر النور والوضاءة، وحسن السمت والخشوع الظاهر على الوجوه والجوارح.

قال ابن عباس: السمت الحسن هو السيما، وهو الخشوع خشوع يبدو على الوجه[٢].

وقال الحسن: السيما: بياض وصفرة وبهيج يعتري الوجوه من السهر[٣].

وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: السيما حسن يعتري وجوه المصلين[٤].

قال ابن عطية رحمه الله: وهذه حالة مكثري الصلاة، لأنها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، وتقل الضحك، وترد النفس بحالة تخشع معها الأعضاء[٥].

وقيل: يكون يوم القيامة بياض يعلو وجوههم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو وعد بحالهم يوم القيامة من أن الله تعالى يجعل لهم نوراً[٦].

ثم قال سبحانه:(**ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ**) أي: ما سبق ذكره هو صفتهم في التوراة، وهنا يتم الكلام.

وقوله:(**وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ**) ابتداء وصف آخر لهم في الإنجيل، حيث وصفهم بأنهم كزرع أخرج شطأه، والمقصود بالشطأ: الفراخ والفروع التي تنبت بجانبه، (**فَـَٔازَرَهُۥ**) فقوّاه: أي قوى الزرعَ شطأه وأعانه، وهو من الموازرة التي بمعنى المعاونة، (**فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ**) أي: كملت قوته واشتد عوده حتى قام مستويا على سوقه وهي أعلى حالات تمام الزرع التي تعجب الزراع، وبالتالي فهو أحرى أن يعجب غيرهم لأنه لا عيب فيه، إذ قد أعجب العارفين بالعيوب ولو كان معيباً لم يعجبهم، وهنا تم المثل.

ثم أخبر سبحانه أنه وصفهم بهذا الوصف (**لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ**) فدلّ ذلك على متروك

---

(١) المحرر الوجيز ١٢٣/١٥.

(٢) المحرر الوجيز ١٢٤/١٥.

(٣) المحرر الوجيز ١٢٤/١٥.

(٤) المحرر الوجيز ١٢٥/١٥.

(٥) المحرر الوجيز ١٢٥/١٥.

(٦) المحرر الوجيز ١٢٣/١٥.

من الكلام، وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار[١].

وقيل: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ متعلق بما بعدها من وعد الله تعالى لهم بالمغفرة والأجر العظيم.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُم﴾ هي لبيان الجنس وليست للتبعيض، لأنه وعد مرجٍّ للجميع[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

وهو تشبيه تمثيلي؛ إذ الصورة فيه مركبة من حال المؤمنين عندما كانوا في بداية أمر البعثة ضعفاء، فلما دخل المسلمون في الإسلام شيئا فشيئا قوي أمرهم، وأصبح لهم قوة ومنعة، وهذه الحال تشبه حال الزرع عندما يبدأ في الخروج على الأرض يكون ضعيفا فينمو شيئا فشيئا، وتخرج أفراخه وفسائله بجانبه فيتقوى بها حتى يكون أمره بعد ذلك إلى قوة واستواء.

وهذا المثل يتم عند استواء الزرع على سوقه، ولعل في هذا إشارة إلى حال الزرع بعد قوته، وأنه ييبس ثم يتحطم ويكون هشيما ليس داخل في المثل، وعليه فإنه يدل على بقاء هذه الصفة للمؤمنين إلى أن تقوم الساعة، وأن ما يعتريهم من حالات الضعف والقهر من عدوهم إنما هي حالات يوشك أن تزول وتنتهي سريعا.

وهذا الوجه مناسب لقول الله تعالى في الآية التي قبل هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الفتح: ٢٨

---

(١) جامع البيان ١٣٢/٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ١٢٨/١٥.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ الحجرات: ٢

أركان التشبيه:

المشبه: جهر الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: جهر بعضهم لبعض.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الجهر.

تفسير الآية:

ينادي سبحانه وتعالى المؤمنين بلفظ الإيمان لما فيه من الرحمة والرأفة واللطف، وليقبل المنادى على استماع الكلام ويجعل باله منه، فيأمرهم بحسن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول:

(لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ) أي لا تبلغوا بأصواتكم في مجلسه وبحضرته إذا كلم بعضُكم بعضاً وراء حد سيبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته؛ لأن ذلك مشعر بعدم الاحترام والإجلال والتعظيم.

(وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ) يحتمل أمرين:

أولا: الجهر بالصوت عند خطابهم الرسول صلى الله عليه وسلم لوجوب التغاير بين مقتضَى قوله: (لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ) ومقتضَى (وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ).

ثانيا: أن لا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا بالاسم المجرد، بل ينادونه بلفظ النبوة والرسالة، فيقولوا: يا رسول الله، أو يا نبي الله.

قال مجاهد: لا تنادُوه نداء، ولكن قولا لينًا يا رسول الله[1].

و قال الضحاك: نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرّفوه ويعظِّموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوّة.

(١) جامع البيان ١٣٦/٢٦.

و لا خلاف بين الأمرين فكلاهما مراد في الآية، وإن كان الثاني خلاف الظاهر لأن ذكر الجهر فيه لا يظهر له وجه(١).

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"أي كحال جهركم في جفائه وكونه مخاطبة بالأسماء والألقاب، وكانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم. يا محمد يا محمد، قاله ابن عباس وغيره، فأمرهم الله بتوقيره، وأن يدعوه بالرسالة والنبوءة والكلام اللين، فتلك حالة الموقر"(٢).

و إعادة النهي عن رفع الصوت بالجهر فيه دلالة على منع المساواة أيضا، ويفهم منه وجوب الغض حتى تكون أصواتهم دون صوته صلى الله عليه وسلم.

قال الزمخشري:"وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر: ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأنّ ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون، وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، وردّه إلى حدّ يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزيز والتوقير، ولم يتناول النهى أيضاً رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدوّ أو ما أشبه ذلك"(٣).

و روي عن الحسن: أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا يكون محمله والخطاب للمؤمنين: على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي، ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق"(٤).

(أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ) أي: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري"(٥).

---

(١) روح المعاني ١٣٥/٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ١٣٢/١٥.

(٣) الكشاف ٣٦٤/٦.

(٤) الكشاف ٣٦٤/٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٢٦٣/٧.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه.

و هو يحمل معنى عاليا في الأدب وحسن التعامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، احتراما لجناب النبوة والرسالة التي اختاره الله تعالى لها.

و مخاطبة الناس بعضهم لبعض قد يقع فيها شيء من الجهر، أو الاسترسال في المزاح، وعدم مراعاة حدود الأدب على الوجه الأكمل، لاستوائهم في المنزلة، أو لسقوط التكلف بينهم لقرابة أو صداقة، ويدل على ذلك جعل جهر بعضهم لبعض مشبها به، فوجه الشبه في المشبه به يجب أن يكون أظهر وأكثر، والواقع شاهد على ذلك أيضا.

و مثل هذا لا يليق في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلأجل ذلك وقع النهي عن المشابهة.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠

أركان التشبيه:

المشبه: المؤمنون.

المشبه به: الإخوة.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: المحبة والألفة والتعاون والنصرة.

تفسير الآية:

لما ذكر الله تعالى ما حصل بين الطائفتين من المؤمنين من الاقتتال، وأمر سبحانه بالإصلاح بينهما، بين علة ذلك في هذه الآية فقال:(إنما المؤمنون إخوة)، وهي أخوة الإيمان ورابطة الدين التي تجمعهم، وهم إخوة أيضا باعتبار مرجعهم الأعلى، من آدم عليه السلام وحواء.

قال الزجاج:"إِذا كانوا متفقين في دينهم رجَعوا باتفاقهم إِلى أصل النسب، لأنهم لآدم وحواءَ ، فإذا اختلفت أديانهم افترقوا في النسب"[(١)].

ولفظ (إنما) يفيد الحصر، أي: لا أخوة إلا بين المؤمنين، وأما بين المؤمن والكافر فلا، لأن الإسلام هو الجامع[(٢)].

فلما ذكر الله تعالى رابطة الإيمان التي تجمعهم، أمر سبحانه بالمحافظة عليها وإصلاح كل خلل طارئ عليها فقال:(فأصلحوا بين أخويكم)، والمقصود: كل مقتتلين من أهل الإيمان[(٣)].

وإنما جاء بلفظ المثنى لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان؛ فإذا لزمت المصالحة بين

(١) زاد المسير ٥/٤٠٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٨/١٣٠.

(٣) جامع البيان ٢٦/١٤٩.

الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ لأنّ الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين(١).

ثم أمر الله تعالى بالتقوى، لأنها ألزم عند الإصلاح حتى لا يكون من المصلحين ميل إلى أحد الأطراف دون الآخر.

ورتب سبحانه بعد ذلك على الأخوة الإيمانية والإصلاح والتقوى، الرحمة، وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة(٢).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه بليغ حيث، حذفت أداته ووجهه.

والتشبيه البليغ يفيد دخول المشبه في المشبه به حتى كأنهما شيء واحد.

قال ابن عاشور رحمه الله:" وأخبر عنهم بأنهم إخوة مجازاً على وجه التشبيه البليغ زيادة لتقرير معنى الأخوة بينهم حتى لا يحق أن يقرن بحرف التشبيه المشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الأخُوَّة ... وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين لأن شأن {إنما} أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يُنَزِّل منزلة ذلك ... فلذلك كان قوله تعالى: { إنما المؤمنون إخوة } مفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر"(٣).

والأخوة الحاصلة بين المؤمنين مقررة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام كثيرا، حيث يقول الله تعالى:(فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في تَوادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(٤).

(١) الكشاف ٣٧٥/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٠٠

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٣/٢٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ح(٦٠١١)، ورواه مسلم، كتاب البر

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[1].

والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح(٢٥٨٦)

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لايظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ح(٢٤٤٢)، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح(٢٥٨٠).

قال تعالى: ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ ق: ١١

أركان التشبيه:

المشبه: خروج الموتى من قبورهم للبعث والحساب.

المشبه به: إحياء البلدة الميتة بإخراج نباتها وزروعها، وثمارها، أو ما ذكره الله تعالى من الدلائل الدالة على قدرته، بعد استبعاد الكافرين للبعث في قوله تعالى: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾ ق: ٣

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الحياة بعد الموت، أو القدرة الكاملة لله تعالى التي لا يعجزها شيء.

تفسير الآية:

هذه الآية متعلقة بما سبقها، فقد ذكر الله تعالى قبلها نعمته على عباده وأنه أنزل عليهم من السماء ماء مباركا، أنبت به الجنات، والحب، والنخل (رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ) أي: لأجل أن نرزقهم، على اعتبار أن كلمة (رِّزْقًا) مفعول لأجله، وفي تعليله بذلك بعد تعليل ﴿وَأَنبَتْنَا ﴾ ق: ٧) الأول بالتبصير والتذكير تنبيه على أن اللائق بالعبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أقدم وأهم من تمتعه به من حيث الرزق[١].

أو جعلناها رزقا، لأن الإنبات في معنى الرزق.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"(رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ) وفيه وجهان أحدهما نصب على المصدر لأن الإنبات رزق فكأنه تعالى قال: أنبتناها إنباتاً للعباد، والثاني نصب على كونه مفعولاً له كأنه قال: أنبتناها لرزق العباد"[٢].

وقوله تعالى:(وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا) أي: وأحيينا بهذا الماء المبارك الذي أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبت.

---

(١) روح المعاني ١٧٦/٢٦.

(٢) مفاتيح الغيب ١٥٧/٢٨-١٥٨.

قال البقاعي:"(بَلْدَةً) وسمها بالتاء إشارة إلى أنها في غاية الضعف والحاجة إلى الثبات والخلو عنه، وذكر قوله: (مَّيْتًا) للزيادة في تقرير تمكن الحاجة فيها"(١).

وقوله تعالى:(كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ) المشار إليه هنا إحياء الأرض بعد موتها، فيكون المعنى: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة، فأحييناها به، فأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء.

و يجوز أن يكون المشار إليه ما ذكره الله تعالى من صور قدرته الباهرة التي لا يعجزها شيء، من بناء السماء ورفعها، وتزيينها، وسلامتها من الفروج، ومد الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، والإنبات فيها من كل زوج بهيج، وإنزال الماء المبارك من السماء، وما أنبت الله تعالى به من سائر الثمرات، وما أحيا به من الأرض الموات.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث"(٢).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و قد سبق في الآيات السابقة بيان وجه الشبه بين طرفي التشبيه، بما أغنى عن إعادته هنا.

إلا أنه مما يجدر ذكره والتنبيه عليه في هذا المقام، أن الله تعالى ذكر استبعاد الكافرين للبعث، والرجوع بعد الموت أحياء كما كانوا قبله، فلما أراد الله تعالى أن يبطل مقولتهم تلك، ذكر صورا من عظيم قدرته، فقال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ

(١) نظم الدرر ١٧٥/٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٢٨٧/٧.

﴿ ١١ ﴾ ق:٥-١١)، ليفهم القارئ لهذه الآيات أن الله تعالى يقدر على ما هو أعظم من إخراج الموتى من قبورهم، بعد بلائهم، أحياء كما كانوا قبل موتهم وفنائهم، فكيف يعجز عن ذلك الذي استبعده الكافرون مع قدرته على ما هو أعظم منه.

و يشهد لهذا الوجه قول الإمام الرازي رحمه الله تعالى حيث قال:"وههنا مسائل:

المسألة الأولى: قال في خلق السماء والأرض (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ) وفي الثمار قال: (رِّزْقًا) والثمار أيضاً فيها تبصرة، وفي السماء والأرض أيضاً منفعة غير التبصرة والتذكرة، فما الحكمة في اختيار الأمرين؟ نقول فيه وجوه أحدها: أن نقول الاستدلال وقع لوجود أمرين أحدهما الإعادة والثاني البقاء بعد الإعادة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم، وأنكروا ذلك، فأما الأول فالله القادر على خلق السموات والأرض قادر على خلق الخلق بعد الفناء، وأما الثاني فلأن البقاء في الدنيا بالرزق والقادر على إخراج الأرزاق من النجم والشجر، قادر على أن يرزق العبد في الجنة ويبقى، فكأن الأول تبصرة وتذكرة بالخلق، والثاني تذكرة بالبقاء بالرزق، ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ) حيث ذكر ذلك بعد الآيتين، ثم بدأ بذكر الماء وإنزاله وإنباته النبات"(١).

ثم ذكر بقية الأوجه والمسائل، مع أنه ينبغي أن يعلم أنه لا تعارض بين الوجهين، فكلاهما صالح وموافق لآيات القرآن.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥٨/٢٨.

قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الذاريات: ٢٣

أركان التشبيه:

المشبه: ما أخبر الله تعالى عنه من بداية السورة إلى هذا الموضع، أو الخبر بأن رزق بني آدم، وما يوعدون به من الثواب والعقاب، مكتوب في السماء.

المشبه به: نطق الآدمي.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: التحقق، والوجود، واليقين.

تفسير الآية:

الفاء في قوله تعالى: (فَوَرَبِّ) عطف على الأقسام السابقة التي أقسم الله تعالى بها، فأقسم من قبل بالأمور الأرضية وهي الرياح وبالسماء في قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ الذاريات: ٧ و لم يقسم بربها، وههنا أقسم بربها، وكذلك الترتيب يقسم المتكلم أولاً بالأدنى، فإن لم يصدق به يرتقي إلى الأعلى[١].

فيقسم تعالى في هذه الآية بنفسه المقدسة، وبربوبيته للسماء والأرض، أن ما أخبر به حق: أي ثابت يطابقه الواقع فقد جمع الحق مع الصدق.

وإظهار اسم السماء والأرض دون ذكر ضميرهما لإدخال المهابة في نفوس السامعين بعظمة الربّ سبحانه[٢].

و اختلف في مرجع الضمير:

فقيل: هو عائد على الآية السابقة من كون رزقكم في السماء، وما توعدون[٣].

و قيل: عائد إلى القرآن، أي: أن القرآن حق[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٨/٢٠٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/٣٥٥.

(٣) جامع البيان ٢٦/٢٤١.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٨/٢٠٩.

و قيل: راجع إلى الدين كما في قوله تعالى: (﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ الذاريات: ٦)[١].

وقيل: أنه راجع إلى القول الذي يقال: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الذاريات:١٤).

و قيل: غير ذلك[٢].

قال أبو حيان رحمه الله بعد الإشارة إلى هذه الأقوال:"أقوال منقولة. والذي يظهر أنه عائد على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدم في هذه السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء، وكونهم في ﴿ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ الذاريات: ٨، و﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ الذاريات: ١٠، وكينونة المتقين في الجنة على ما وصف، وذكر أوصافهم وما ذكر بعد ذلك"[٣].

و قوله تعالى:(مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ): معنى الآية: تشبيه تحقيق ما أخبر الله عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده، وهذا كما تقول: إنه لحق كما أنك ها هنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم[٤].

و(مَآ) الواقعة بعد (مِّثْلَ) زائدة للتوكيد، وأردفت بـ(أَنَّ) المفيدة للتأكيد تقوية لتحقيق حقية ما يوعدون، واجتلب المضارع في (تَنطِقُونَ) دون أن يقال: نطقكم، يفيد التشبيه بنطقهم المتجدد وهو أقوى في الوقوع لأنه محسوس[٥].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل، ذكرت أداته ووجهه، وإليه الإشارة في قوله تعالى:(لَحَقٌّ).

و قد شبه الله تعالى ما أخبر به في هذه السورة، في تحققه ووقوعه، بشيء في غاية الوضوح، لا يمكن أن يقع فيه اللبس أو الشك، زيادة في تأكيد الخبر، ليفيد معنى: كما أن نطقكم واقع، ومتجدد بحيث لا تشكون فيه، فكذلك ما أخبر الله تعالى به واقع لا محالة، لا

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٨/٢٠٩.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٨/٢٠٩.

(٣) البحر المحيط ٨/١٣٦.

(٤) فتح القدير ٥/١١٤.

(٥) التحرير والتنوير ١٢/٣٥٦.

ينبغي أن تشكون فيه.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"ثم أقسم تعالى بنفسه على صحة هذا القول والخبر وشبهه في اليقين به بالنطق من الإنسان، وهو عنده في غاية الوضوح، ولا يمكن أن يقع فيه من اللبس ما يقع في الرؤية والسمع، بل النطق أشد تخلصاً من هذه"[1].

و قال الإمام ابن عاشور:"وقوله: ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ زيادة تقرير لوقوع ما أوعدوه بأن شبه بشيء معلوم كالضرورة لا امتراء في وقوعه وهو كون المخاطبين ينطقون[2].

و جاء التشبيه بصيغة المضارع في قوله تعالى:﴿تَنطِقُونَ﴾ وهذا يفيد التشبيه بنطقهم المتجدد وهو أقوى في الوقوع لأنه محسوس[3].

و إذا قلنا أن المشبه هو الخبر بأن رزق بني آدم، وما وعدوا به من الثواب والعقاب مكتوب في السماء، وهم نائلون ذلك لا محالة، فيجب أن يكون يقينهم بذلك كيقينهم بأنهم ينطقون ويتكلمون.

قال البغوي رحمه الله:"قال بعض الحكماء: يعني: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٦/٢٠٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/٣٥٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٢/٣٥٦.

(٤) معالم التنزيل ٧/٣٦٣.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ الذاريات: ٣٠

أركان التشبيه:

المشبه: قول الملائكة في البشارة لسارة بأنها ستلد غلاما عليما.

المشبه به: قول الله تعالى هذه البشارة للملائكة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: قول البشارة أو معناها أو الأمرين معا، وليس صفة الكلام.

تفسير الآية:

هذه الآية متعلقة بما قبلها، من إتيان الملائكة أضيافا على إبراهيم عليه السلام، وإسراعه بإكرامهم، وتقديمه الطعام لهم، ثم توجسه الخيفة منهم عندما لم يمدوا أيديهم إليه، ثم بعد ذلك بشارته بإسحاق نبيا من الصالحين، فلما سمعت زوجه سارة هذه البشارة، قالت على وجه العجب[(١)]، أو السرور[(٢)]، كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟ فكأنها قالت: يا ليتكم دعوتم دعاءً قريباً من الإجابة، ظناً منها أن ذلك منهم، كما يصدر من الضيف، على سبيل الأخبار من الأدعية كقول الداعي: الله يعطيك مالاً، ويرزقك ولداً، فقالوا: هذا منا ليس بدعاء، وإنما بشرناك بذلك كما قال الله تعالى: إنك ستلدين غلامًا، فنحن بلّغنا ما أمرنا بتبليغه.

و قوله تعالى: (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ) تعليل لِجملة (كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ) المتقضية أن الملائكة ما أخبروا إبراهيم إلا تبليغاً من الله، وأن الله صادق وعده وأنه لا موقع لتعجب امرأة إبراهيم لأن الله حكيم يدبر تكوين ما يريده، وعليم لا يخفى عليه حالها من العجز والعقم[(٣)].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و الغرض منه التشبيه في معنى الكلام، أو لفظه، أو كلاهما معا –الله تعالى أعلم– وليس

---

(١) جامع البيان ٢٤٥/٢٦، ومعالم التنزيل ٣٧٧/٧، والكشاف ٤١٤/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨١٠.

(٣) التحرير والتنوير ٣٦١/١٢.

المراد به تشبيه صفة كلام الله تعالى بكلام غيره من المخلوقات، لأن القاعدة في صــفات الله تعالى قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ الشورى: ١١).

قال تعالى: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ الذاريات: ٤٢

أركان التشبيه:

المشبه: ما أتت عليه الريح مما أراد الله تدميره.

المشبه به: الرميم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: البلى والهلاك وعدم الانتفاع.

تفسير الآية:

يخبرنا الله تعالى عن الريح العقيم التي أرسلها على قوم عاد لما كذبوا رسولهم هودا عليه السلام بأنه سبحانه جعل من قوتها أنها لا تذر شيئا مما أتت عليه مما أراد الله تعالى إهلاكه إلا أهلكته وجعلته كالرميم.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"هل في قوله تعالى:(مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ) مبالغة ودخول تخصيص كما في قوله تعالى:(﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ الأحقاف: ٢٥)؟ نقول هو كما وقع لأن قوله:(أَتَتْ عَلَيْهِ) وصف لقوله:(شَيْءٍ) كأنه قال: كل شيء أتت عليه أو كل شيء تأتي عليه جعلته كالرميم ولا يدخل فيه السموات لأنها ما أتت عليها وإنما يدخل فيه الأجسام التي تهب عليها الرياح.

فإن قيل فالجبال والصخور أتت عليها وما جعلتها كالرميم؟ نقول المراد أتت عليه قصداً وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم وذلك لأنها كانت مأمورة بأمر من عند الله فكأنها كانت قاصدة إياهم فما تركت شيئاً من تلك الأشياء إلا جعلته كالرميم"([1]).

و قال الإمام أبو حيان:(مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ) وهو عام مخصوص، كقوله:(﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ الأحقاف: ٢٥. أي مما أراد الله تدميره وإهلاكه من ناس أو ديار أو شجر أو نبات، لأنها لم يرد الله بها إهلاك الجبال والآكام والصخور، ولا العالم الذي لم يكن من قوم

---

[1] مفاتيح الغيب ٢٨/٢٢٣.

عاد"([1]).

و المقصود بالرميم: الشيء الهالك البالي، وقيل نبات الأرض إذا يبس وديس.

قال الإمام البغوي رحمه الله:"كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس وَدِيسَ. قال مجاهد: كالتبن اليابس. قال قتادة: كرميم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي"([2]).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و بالتأمل في التشبيه بوجه عام نجد أن الريح التي وقع بسببها الهلاك والبلى بأمر الله تعالى موصوفة بالعقم، فهي لم تأت بخير أو رحمة أو بركة من تلقيح شجر أو إثارة سحاب أو سوق مطر، بل هي عذاب وهلاك، مما يدل على شدة العقوبة بها، ولأجل ذلك فإنها تصير المعاقبين بها كالرميم البالي المتفت الذي لا يرجى فيه نفع بوجه من الوجوه.

و أيضا فيه دليل على كمال الله تعالى وعظيم قدرته حيث أهلك قوم عاد وجعلهم على هذه الصفة الضعيفة الحقيرة مع ما خلقهم الله تعالى عليه من عظم الأجساد وقوة الأبدان كما قال سبحانه: (﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ الفجر:٧-٨)،

وقال جل وعز: ﴿ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا ﴾ فصلت: ١٥.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:"فالذي أهلكهم على قوتهم وبطشهم، دليل على كمال قوته واقتداره، الذي لا يعجزه شيء، المنتقم ممن عصاه"([3]).

و لعل فائدة التشبيه تقريب صورة الهلاك الواقع على قوم عاد إلى الأمر المعروف والمشاهد بالحواس وهو الرميم، فالرميم مما تعرفه الأذهان وتتصوره، وعظم الهلاك الواقع على قوم عاد مما لا يرى أو يدرك بالحواس فقرب الله صورته بالشيء الذي يمكن تصوره وإدراكه.

---

[1] البحر المحيط ١٤١/٨.

[2] معالم التنزيل ٣٧٨/٧.

[3] تيسير الكريم الرحمن ٨١١.

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ الذاريات: ٥٢

أركان التشبيه:

المشبه: تكذيب قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، وتسميته ساحرا، ومجنونا.

المشبه به: تكذيب الأمم السابقة لأنبيائها عليهم السلام، وتهمتهم بالسحر والجنون.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الاتهام الباطل بالسحر والجنون.

تفسير الآية:

هذه الآية فيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما يجده من أذى قومه، وتكذيبهم له، واتهامه إياه بالتهم الباطلة كالسحر والجنون.

ولذلك قال تعالى: (كَذَٰلِكَ) أي: كما كذبت قريش نبيها محمدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وقالت: هو شاعر، أو ساحر أو مجنون، كذلك فعلت الأمم المكذّبة رسلها، الذين أحلّ الله بهم نقمته، كقوم نوح وعاد وثمود، وفرعون وقومه[1].

قال الزمخشري: "وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميته ساحراً ومجنوناً"[2].

و مراد الزمخشري الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ ﴾ الذاريات:٨. فيكون المعنى: أي مثل قولهم المختلف قال الذين من قبلهم لما جاءهم الرسل.

و قوله تعالى: (مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ) مرجع الضمير في قوله تعالى: (مِن قَبۡلِهِم) إلى قريش قوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم[3].

وزيادة (مِن) في قوله: (مِّن رَّسُولٍ) للتنصيص على إرادة العموم، أي أن كل رسول قال فيه فريق من قومه: هو ساحر، أو مجنون، أي قال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: مجنون، مثل

(١) جامع البيان ١٤/٢٧.

(٢) الكشاف ٤٢٣/٦.

(٣) معالم التنزيل ٣٨٠/٧.

قوم نوح دون السحر إذ لم يكن السحر معروفاً في زمانهم[١].

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وقوله: ﴿إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ معناه: إلا قال بعض: هذا وبعض: هذا وبعض: الجميع ألا ترى أن قوم نوح لم يقولوا قط: ﴿سَاحِرٌ﴾ وإنما قالوا: ﴿بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ سبأ: ٨[٢].

فالقصر المستفاد من الاستثناء قصر ادعائي لأن للأمم أقوالاً غير ذلك وأحوالاً أخرى، وإنما قُصروا على هذا اهتماماً بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتان، إذ يرمون أعقل الناس بالجنون، وأقومهم بالسحر[٣].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه، وهو المشار إليه بقوله تعالى:(إلا قالوا ساحر أو مجنون).

و التشبيه جار على أصله في إلحاق ناقص بكامل؛ ليفيد معنى أن قريشا قد بلغ اتهامهم الكاذب للنبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عظيما حتى صار أصلا يشبه به، وما ذلك إلا لأن قريشا قد علمت من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، صدقه وأمانته، وبعده عن كل صفة سوء، فضلا عن السحر والجنون، وهذا العلم عندهم قد صار يقينا، حتى قال قائلهم:"لقد عرفت الشعر وزجل الكهان، وتمتة السحار وما هو في ذلك من شيء، وإن أقرب الأقوال إليه أن تقولوا ساحر يفرق بين الرجل وزوجه والابن وأبيه....)

(١) التحرير والتنوير ٢١/١٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢٢٣/١٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/١٣.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾ الذاريات: ٥٩

أركان التشبيه:

المشبه: نصيب كفار مكة وغيرهم ممن كفر بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام من العذاب.

المشبه به: نصيب الأمم السابقة التي كفرت بالله تعالى ورسله عليهم السلام من العذاب.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: استحقاق العذاب ونزوله بهم وإن تأخر إلى يوم القيامة.

تفسير الآية:

هذه الآية فيها وعيد صريح للكفار من أهل مكة، وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم، ومجيء الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: إذا لم يفردني عبادي بالعبادة التي خلقتهم لأجلها، فإن لهم عذابا شديدا.

و وصفوا بالظلم؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهؤلاء وضعوا العبادة التي هي حق لله تعالى في غير موضعها(١).

وأصل"الذَّنُوب"في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب(٢).

روى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله(فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟) يقول: دلوا(٣).

قال ابن زيد:"يقول ذنوبا من العذاب، قال: يقول لهم سجل من عذاب الله، وقد فعل هذا بأصحابهم من قبلهم، فلهم عذاب مثل عذاب أصحابهم"(٤).

و المراد بأصحابهم: الأمم السابقة الذين حلت بهم عقوبة الله تعالى كقوم نوح وعاد وثمود، وفرعون، وغيرهم.

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبا وحظا نازلا بهم، مثل نصيب

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٣٥/١٤.

(٢) معالم التنزيل ٣٨١/٧.

(٣) جامع البيان ١٩/٢٧.

(٤) جامع البيان ٢٠/٢٧.

أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على منهاجهم من العذاب.

قوله تعالى:(فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ): أي فلا يدعوا، ويطلبوا نزول العذاب بهم، لأنه واقع بهم لا محالة، وإن أخروا إلى يوم القيامة.

و قد أخبر الله تعالى عنهم أنهم استعجلوا العذاب، كما في قوله تعالى:﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ ﴾ المعارج:١ وفي قوله جل شأنه:﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٢ ﴾ الأنفال: ٣٢

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وقوله: (فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) تحقيق للأمر، بمعنى هو نازل بهم لا محالة في وقته المحتوم، فلا يستعجلوه"(١).

و قال الإمام البقاعي رحمه الله:"(فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) أي يطلبوا أن آتيهم به قبل أوانه اللاحق به، فإن ذلك لا يفعله إلا ناقص، وأنا متعال عن ذلك لا أخاف الفوت، ولا يلحقني عجز ولا أوصف به، ولا بد أن أوقعه بهم في الوقت الذي قضيت به في الأزل، لأنه أحق الأوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم، وحينئذ تكون، فيا له من تهديد ما أفظعه، ووعيد ما أعظمه وأوجعه، أمر لا يدفعه دافع، ولا يمنع من وقوعه مانع"(٢).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و التشبيه يدل على اشتراك الطرفين في الظلم، لأن الله تعالى سمى المشبه به (ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ)، فقيده بالإضافة إلى أصحابهم، واسم الصحبة يتضمن الاشتراك في وصف ما، يدل عليه وصف المشبه بالذين ظلموا، فهم اشتركوا في الظلم، الذي هو الشرك بالله تعالى؛ فحلت بهم عاقبته من عذاب الله تعالى، وقد أثبتت آيات القرآن الكريم، تعرض الرسل لتكذيب أقوامهم حتى حلت بهم عقوبة الله تعالى.

(١) المحرر الوجيز ٢٢٨/١٥.

(٢) نظم الدرر ٢١٤/٨.

و يدل على هذا المعنى أيضا، مجيء القرآن بكلمة: (الذنوب) التي تدل على تساوي النصيب في السقي من البئر، مما يدل على أن قريشا قد تساوت مع أصحابها من الأمم السابقة، في السبب الذي استحقت به العقوبة، وهو الظلم.

و في جعل العذاب الواقع على الأمم السابقة مشبها به، يدل على تهويل ما نزل بهم من العذاب حتى أنه صار أصلا يشبه به، وعليه فهو يدل على عظم التهديد والتخويف من الله تعالى لقريش، وعظم التحذير لهم أن يسلكوا سبيل السابقين في الكفر بالله تعالى وبرسوله عليه الصلاة والسلام.

و يحتمل أن يكون في التشبيه هيئة مركبة يشير إليها الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله بقوله:"والكلام تمثيل لهيئة تساوي حظ الذين ظلموا من العرب بحُظوظ الذين ظلموا من الأمم السالفة بهيئة الذين يستقون من قليب واحد؛ إذ يتساوون في أنصبائهم من الماء، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، وأطلق على الأمم الماضية اسم وصف أصحاب الذين ظلموا باعتبار الهيئة المشبه بها إذ هي هيئة جماعات الوِرد يكونون متصاحبين، وهذا التمثيل قابل للتوزيع بأنه يشبّه المشركون بجماعة وردت على الماء، وتُشبه الأمم الماضية بجماعة سبقتهم للماء، ويُشبه نصيب كل جماعة بالدلو التي يأخذونها من الماء"[1].

(١) التحرير والتنوير ١٣/٣٠-٣١.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤)﴾ الطور: ٢٤

أركان التشبيه:

المشبه: الغلمان الذين يطوفون في خدمة أهل الجنة.

المشبه به: اللؤلؤ المكنون.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: الحسن والجمال.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن أهل الجنة وأنهم تدور عليهم الكؤوس الطيبة التي لا لغو فيها ولا تأثيم، وأن الذين يطوفون بهذه الكؤوس (غِلْمَانٌ).

معنى غلمان: خدم شباب[١]، ولفظ الغلمان: جمع كثرة لغلام[٢]، والغلام: الطَّارُّ الشارب.وقيل هو من حين يولد إلى أن يشيب[٣]. وَيُطْلَقُ الْغُلَامُ عَلَى الرَّجُلِ مَجَازًا بِاسْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ[٤].

قال ابن منظور: والعرب يقولون للكهل غُلامٌ نَجيبٌ وهو فاشٍ في كلاهم[٥]. ويطلق أيضا على الكهل قال ابن الاعرابي يقال فلان غلام الناس وان كان كهلا[٦].

و قوله تعالى: (غِلْمَانٌ لَّهُمْ) يدل على الملكية والاختصاص.

قال الزمخشري: "أي مملوكون لهم مخصوصون بهم"[٧].

هذا وجه وهناك وجه آخر وهو أن هذه الخدمة التي يقوم بها الغلمان خالصة لنفع أهل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٨١٥

(٢) المصباح المنير ٢/٥٤١.

(٣) لسان العرب ١١/٧٧ مادة (غلم).

(٤) المصباح المنير ٢/٥٤١.

(٥) لسان العرب ١١/ ٧٨ مادة (غلم)

(٦) تاج العروس ١٧/٥٢٠ مادة (غلم).

(٧) الكشاف ٦/٤٣١

الجنة ومقصودة لهم ليس لنفع يعود على الغلمان.

و قد أشار إلى هذين الوجه الإمام الرازي بقوله:"وقوله:(لَّهُمْ): أي ملكهم؛ إعلاماً لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور. ويحتمل وجهاً آخر وهو أنه تعالى لما بيّن امتياز خمر الآخرة عن خمر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا، فإن الغلمان في الدنيا إذا طافوا على السادة الملوك يطوفون عليهم لحظ أنفسهم إما لتوقع النفع أو لتوفر الصفح، وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متمحض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم إليهم والغلام الذي هذا شأنه له مزية على غيره وربما يبلغ درجة الأولاد"[1].

(كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ): أي كأنهم في بياض اللؤلؤ وصفائه. و(مَّكْنُونٌ): أي مصون في كن.

قال الزمخشري: في أصدافه، لأن ذلك أبلغ في صفائه وحسنه[2]، وقيل: مكنون أي مخزون لنفاسته، لأن النفيس هو الذي يخزن ويكن[3].

و قال الشوكاني: أي: مستور مصون في الصدف لم تمسه الأيدي. قال الكسائي: كننت الشيء: سترته وصنته من الشمس، وأكننته: جعلته في الكنّ[4].

و هذه المعاني متقاربة لا تنافي بينها فاللؤلؤ المكنون: هو المصون المحفوظ في كن أو في صدفه لنفاسته وغلائه عند أربابه لم تبلغه الشمس و لم تصله الأيدي، وكل شيء له هذه الصفة فهو مخزون عند أهله محافظ عليه غاية المحافظة.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

هذه الآية في معرض نعيم أهل الجنة فكل وصف مشترك بين المشبه والمشبه به يتحقق به نوع نعيم لهم فهو مقصود، فيصلح لوجه التشبيه الحسن والجمال والبهاء والنضرة واللمعان.

---

(1) مفاتيح الغيب ٢٥٤/٢٨

(2) الكشاف ٤٣١/٦

(3) أضواء البيان ٦٨٩/٧.

(4) فتح القدير ٢٠٠/٥

وتزداد قيمة التشبيه بالقيود المذكورة لكل من المشبه والمشبه به.

فالمشبه مقيد بوصف الغلمان الذي يشعر بالجد والنشاط والمبادرة إلى الخدمة مع القـوة عليها، كما يدل على كثرة هؤلاء الغلمان الذين يطوفون ويسعون في خدمة أهل الجنة فلفظ (غِلْمَانٌ) جمع كثرة لغلام.

و هو مقيد كذلك بقوله تعالى:(لَّهُمْ) الدال على اختصاص مخدومهم بهم لا يشـاركه فيهم غيره. وهذا فيه زيادة نعيم وإكرام. كما يزداد النعيم أيضا بمعرفة أن هذه الخدمة الـتي يقوم بها الغلمان خالصة لأهل الجنة، متمحضة لنفعهم، ليس لخير أو مصلحة تعـود علـى الغلمان.

و المشبه به هو اللؤلؤ الذي يدل التشبيه به على البياض والصفاء واللمعان ليدل علـى جمال هؤلاء الغلمان وحسن خلقتهم وهيئتهم.

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله:(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) إخبار عن خَدَمهم وحَشَمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب، المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم.

وهو مقيد بكونه (مَّكْنُونٌ) بجميع ما تحويه هذه الكلمة من معاني الستر والصيانة والحفظ والخزانة لنفاسته على أربابه فلا يتحلى به إلا في المحافل والمواكب فلذلك يبقى على لمعانـه وبياضه.

و يفيد القيد بالمكنون ما ذكره الإمام الرازي بقوله: أو لبيان أنهم كالمخدرات لا بروز لهم ولا خروج من عندهم فهم في أكنافهم"[1]. وكلما كان الخدم حاضرون لدى المخـدوم وتحت نظره وطوع أمره كان النعيم بهم أكمل وأحسن.

و جاءت التشبيه بأداة (كأن) للدلالة على التأكيد والمبالغة وبيان قوة وجه الشبه بـين الطرفين، وللدلالة على الاهتمام بالمشبه وهم الغلمان. فهؤلاء الغلمان لما لهم من الأثر في نعيم أهل الجنة، ولما لهم من الرفعة والمكانة وهم الخدم قد اهتم التشبيه بهم و لم يجعل ذكرهم يمـر دون أن ينبه على حسنهم وجمالهم، وكمال صفاتهم.

---

(1) مفاتيح الغيب ٢٨/٢٥٤

و من فوائد التشبيه: تجدد النعيم حيث أن الغلمان يكثرون الطواف على أهل الجنة كما يشعره لفظ:(وَيَطُوفُ) وفي كل مرة من طوافهم يناولوهم ما فيه لذاهم وبتجـــدد الطـــواف والمناولة يحصل لهم في كل مرة نعيم ليس في غيرها.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: وهذا يدل على كثرة نعيمهم وسعته، وكمال راحتهم[1].

كما أن من فوائد التشبيه حسن وجوه أهل الجنة فإذا كان هذا حال الخدم فمـــا بـــال المخدومين.

و قد ورد تشبيه خدم الجنة باللؤلؤ في أكثر من موضع من القرآن، وفي كل ورود زيادة فائدة، ففي هذه الآية إشعار بأن هؤلاء الخدم ملك لأهل الجنة ومخصوصون بهم، وفي سورة الإنسان في قوله تعالى:(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾)الإنسان. زيادة صفة الخلود والبقاء على الشباب وعدم المشيب والهرم. وأيضا تفرقهم في خدمة أهـــل الجنة حيث شبهوا باللؤلؤ المنثور.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٨١٥

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ النجم:٨-٩.

أركان التشبيه:

المشبه: قرب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: قرب قاب القوسين.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه التشبيه: القرب بين شيئين.

تفسير الآية:

لما أنكر المشركون الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا إنما يعلمه بشر، أثبت الله تعالى لهم الوحي بذكر طريقة من طرقه، وهي ما كان بواسطة الملك -وهو جبريل عليه السلام-.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"وهذا التفريع -يعني قوله تعالى: -﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ النجم:١٠- هو المقصود من البيان، وما قبله تمهيد له، وتمثيل لأحوال عجيبة بأقرب ما يفهمه الناس، لقصد بيان إمكان تلقّي الوحي عن الله تعالى؛ إذ كان المشركون يحيلونه فبينّ لهم إمكان الوحي بوصف طريق الوحي إجمالاً، وهذه كيفية من صور الوحي"[١].

و اختلف في من هو الذي:(دَنَا فَتَدَلَّىٰ)؟

فقيل: هو جبريل عليه السلام، فيكون معنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض"فتدلى"فنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فكان منه "قاب قوسين أو أدنى"، بل أدنى، وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة[٢].

أو دنا سبحانه من جبريل حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، وهو مروي عن مجاهد[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٩٨/١٣.

(٢) معالم التنزيل ٤٠١/٧.

(٣) جامع البيان ٥٧/٢٧.

و قيل: دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، قاله الضحاك[١].

و الذي يترجح والله تعالى أعلم القول الأول؛ لأن حادثة الإسراء جاءت الدلالة عليها بعد ذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ النجم:١٣-١٥.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"والصحيح عندي أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ النجم: ١٣فإن ذلك يقضي بنزلة متقدمة، وما روي قط أن محمداً رأى ربه قبل ليلة الإسراء"[٢].

و قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"فهبط عليه جبريل، عليه السلام، وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل، عليه السلام، أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة"اقرأ"، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليتردى من رؤوس الجبال، فكلما هَمّ بذلك ناداه جبريل من الهواء:"يا محمد، أنت رسول الله حقا، وأنا جبريل". فيسكن لذلك جأشه، وتقر عينه، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها، حتى تَبَدّى له جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سد عُظْم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله، عز وجل، ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة المَلَك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قَدْره، وعلوّ مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه"[٣].

و الدنو والتدلي بمعنى القرب، والفائدة من تكرار اللفظين ما قاله الزجاج رحمه الله: دنا بمعنى قَرُبَ، وتدلى: زاد في القُرْب[٤].

أو هو من المؤخّر الذي معناه التقديم، فيكون الكلام: ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم

---

(١) معالم التنزيل ٤٠٢/٧.

(٢) المحرر الوجيز ٢٥٩/١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٣٢٦/٧.

(٤) زاد المسير ٦٥/٨.

قوله: (دَنَا)، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلي والتدلي على الدنوّ[١].

و قوله تعالى:(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) القاب: بمعنى القدر، فيكون معناه على قدر قوسين.و هو مروي عن الحسن، وقتادة[٢].

و قيل: حيث كان الوتر من القوس، وهو مروي عن مجاهد[٣].

و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن القوس هنا: الذراع تقاس بها الأشياء[٤].

و عن أبي رزين أنه قال: ليست بهذه القوس، ولكن قدر الذراعين أو أدنى[٥].

و على كل الأقوال فالمقصود تأكيد شدة قرب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم عند الوحي، ولذلك فسر قوله تعالى:(أَوْ أَدْنَى) قيل: بل أدنى،[٦]، أو على مقتضى نظر البشر، أي لو رآه أحدكم لقال في ذلك قوسان أو أدنى من ذلك[٧]، فتكون (أو) للشك من جهة العباد[٨].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه بليغ؛ لم تذكر أداته ولا وجهه.

و هو يفيد شدة القرب مع حقيقته، فليس قرب جبريل عليه السلام مع عظمته، وضخامة خلقه، قرب معنوي بل المراد إثبات القرب الحسي، وهو لا ينقي القرب المعنوي بالتأييد والإعانة. والله تعالى أعلم.

---

(١) جامع البيان ٥٥/٢٧.

(٢) جامع البيان ٥٦/٢٧.

(٣) جامع البيان ٥٦/٢٧.

(٤) المحرر الوجيز ٢٦٠/١٥، والبحر المحيط ١٥٦/١٠.

(٥) جامع البيان ٥٦/٢٧.

(٦) جامع البيان ٥٥/٢٧، ومعالم التنزيل ٤٠١/٧.

(٧) المحرر الوجيز ٢٥٩/١٥.

(٨) روح المعاني ٤٨/٢٧.

قال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ القمر: ٧

أركان التشبيه:

المشبه: خروج الناس من قبورهم.

المشبه به: الجراد المنتشر.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: الكثرة والانتشار وعدم الاهتداء إلى أي جهة.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى عن حال الناس عند قيامهم من قبورهم بأنهم يكونون في تلك الأحداث العصيبة، خشع الأبصار: أي ذليلة خاضعة.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وإنما وصف جلّ ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع"([1]).

و قال الزمخشري:"وخشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخزال، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما"([2]).

ثم وصف الله تعالى كيفية خروجهم من الأجداث، وهي القبور بقوله:(**كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ**): أي يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتَشر([3]).

و قيل: المقصود بالجراد فرخه قبل أن تتكون له الأجنحة والأرجل.

قال الطاهر ابن عاشور:"والمراد هنا: الدَّبى وهو فراخ الجراد قبل أن تظهر له الأجنحة لأنه يخرج من ثُقبٍ في الأرض هي مَبيضاتُ أصوله فإذا تم خلقه خرج من الأرض يزحف بعضه فوق بعض قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ القارعة"([4]).

---

[1] جامع البيان ١٠٥/٢٧.

[2] الكشاف ٤٥٠/٦.

[3] جامع البيان ١٠٦/٢٧.

القارعة"([1]).

أثر التشبيه:

هذا التشبيه كغالب تشبيهات القرآن مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وهو يصور لنا حال الناس عند قيامهم من القبور، حيارى يسيرون في كل اتجاه، غير مهتدين لطريق، وهذه الحال تشبه حال فرخ الجراد، عندما يخرج من الأرض يزحف بعضه فوق بعض غير مهتد لطريق، ولكنه يسير في كل ناحية.

قال الإمام البغوي رحمه الله:"وذكَّر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: ﴿ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾القارعة:٤. وأراد أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها، كالجراد لا جهة لها، تكون مختلطة بعضها في بعض"([2]).

و قال ابن الجوزي:"وإنما شبَّههم بالجراد المنتشِر، لأن الجراد لا جهةَ له يَقْصِدها، فهو أبداً مختلف بعضه في بعض، فهم يخرُجون فزعين ليس لأحد منهم جهة يَقْصِدها"([3]).

إضافة إلى ما يصوره هذا التشبيه من حال الفزع الذي بسببه يكون الانتشار والتفرق والتموج بعضهم على بعض، وكذلك الكثرة؛ إذ كثرة العدد سبب في ذلك أيضا.

قال الطاهر رحمه الله:"وخامسها –أي من الأهوال-: تشبيههم بالجراد المنتشر في الاكتظاظ واستتار بعضهم ببعض من شدة الخوف زيادة على ما يفيده التشبيه من الكثرة والتحرك"([4]).

و قال:"وهذا التشبيه تمثيلي لأنه تشبيه هيئة خروج الناس من القبور متراكمين بهيئة خروج الجراد متعاظلاً يسير غير ساكن"([5]).

و أفراخ الجراد عند خروجها أضعف ما تكون، مما يدل على حال الضعف والذل والهوان الذي يكون عليه الناس عند بعثهم من قبورهم([6]).

---

[1] التحرير والتنوير ١٣/ ١٧٩.
[2] معالم التنزيل ٤٢٨/٧.
[3] زاد المسير ٩٤/٨.
[4] التحرير والتنوير ١٧٧/١٣.
[5] التحرير والتنوير ١٧٩/١٣.
[6] تخريج الحديث.

قال الإمام الرازي:"فكأنهم جراد يتحرك من الأرض ويدب إشارة إلى كيفية خروجهم من الأجداث وضعفهم"([1]).

و هذا الوجه من التشبيه الذي أشار إليه العلماء مشابه للتشبيه الوارد في سورة القارعة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ القارعة: ٤

أما من فرق بين تشبيه سورة القارعة وهذا التشبيه فبين أن الناس أول ما يقومون من قبورهم فزعين متجهين في كل ناحية، لا يدرون إلى أين يتجهون مناسب لتشبيههم بالفراش المبثوث، فإذا دعاهم الداعي اتجهوا إليه مسرعين في اتجاه واحد وهذا مناسب لتشبيههم بالجراد المنتشر.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وشبههم بالجراد المنتشر، وقد شبههم في أخرى بالفراش المبثوث، وفيهم من كل هذا شبه، وذهب بعض المفسرين إلى أنهم أولاً كالفراش حين يموجون بعض في بعض ثم في رتبة أخرى كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعي"([2]).

---

[1] مفاتيح الغيب ٣٥/٢٩.

[2] المحرر الوجيز ٢٩٦/١٥.

قال تعـالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾ القمر: ١٩-٢٠

أركان التشبيه:

المشبه: قوم عاد المعذبين أثناء وقوع العذاب أو بعده.

المشبه به: أعجاز النخل المنقعر.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: القوة والشدة أثناء النزع، أو بيان حالهم بعد النزع.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه عن قوم عاد الذين أرسل إليهم نبيه هودا عليه السلام فكذبوه و لم يؤمن معه إلا القليل منهم بأنه أرسل عليهم ريحا صرصرا: وهي الشديدة الهبوب الباردة التي لها صوت.

قال الإمام الطبري:"وهي الشديدة العصوف في برد، التي لصوتها صرير، وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهيئة قول القائل: صرّ، فقيل منه: صرصر"([1]).

(فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ) أي في يوم شؤم وشر عليهم.

قال ابن عاشور:"والنحْس: سوء الحال. وإضافة يوم إلى نحس من إضافة الزمان إلى ما يقع فيه كقولهم... يوم فتح مكة. وإنما يضاف اليوم إلى النحس باعتبار المنحوس، فهو يوم نحس للمعذبين يوم نصر للمؤمنين ومصائب قوم عند قوم فوائد. وليس في الأيام يوم يوصف بنحس أو بسعد لأن كل يوم تحدث فيه نحوس لقوم وسعود لآخرين، وما يروى من أخبار في تعيين بعض أيام السنة للنحس هو من أغلاط القصاصين فلا يلقي المسلم الحق إليها سمعه"([2]).

(مُّسۡتَمِرّٖ): قيل استمر بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافى بهم جهنم([3]).

[1] جامع البيان ٢٧/١١٤.

[2] التحرير والتنوير ١٣/١٩٢-١٩٣.

[3] جامع البيان ٢٧/١١٥.

و قال الزمخشري:"قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم. أو استمر عليهم جميعاً كبيرهم وصغيرهم، حتى لم يبق منهم نسمة، وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور، ويجوز أن يريد بالمستمر: الشديد المرارة والبشاعة"([1]).

و يجوز إرادة المعاني كلها إذ لا تعارض بينها، فمن القواعد المقررة في علم التفسير أنه إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها([2]).

(تَنزِعُ ٱلنَّاسَ): تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رءوسهم، فتندقّ رقابهم، وتبين من أجسامهم([3]).

قال ابن كثير رحمه الله:"وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس"([4]).

و قال ابن عاشور:"والنزع: الإِزالة بعُنف لئلا يبقى اتصال بين المزال وبين ما كان متصلاً به"([5]).

وجاءت الآية بلفظ الناس و لم تأت بالضمير العائد على قوم عاد كما قال أبو حيان:"ليشمل ذكورهم وإناثهم، إذ لو عاد بضمير المذكورين، لتوهم أنه خاص بهم"([6]).

(كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ): وهي أصولها التي قطعت فروعها([7]).

(مُّنقَعِرٍ) أي منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض([8]).

أثر التشبيه:

هذا التشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وهو يبين شدة العذاب الواقع

---

[1] الكشاف ٤٥٣/٦.

[2] قواعد التفسير ٨٠٧/٢.

[3] جامع البيان ١١٥/٢٧.

[4] تفسير القرآن العظيم ٣٣٥٥/٧.

[5] التحرير والتنوير ١٩٣/١٣.

[6] البحر المحيط ١٧٩/٨.

[7] معالم التنزيل ٤٣٠/٧.

[8] روح المعاني ٨٧/٢٧.

على قوم عاد، فالألفاظ المستخدمة في التشبيه تدل على قوة الأخذ وشدة الجذب، ويستفاد هذا من قوله جل وعز: (تَنزِعُ)، إضافة إلى ما فيها من تصوير المقاومة لهذه الريح والمحاولات اليائسة في التشبث بالسلامة والبقاء([1]).

و قوة الأخذ وشدة الجذب تدل على ثباقم وقوقم في الأرض، إما لطول أجسامهم وعظمها، أو أهم كانوا يُعْملون أرجلهم في الأرض بقصد التمنع على الريح، أو أهم كانوا يصطفون آخذين بأيدي بعضهم، أو يدخلون في الشعاب، أو يحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم الريح وتأخذهم فترفعهم ثم تكبهم وتدق رقاهم، ونزعهم في هذه الأحوال يحتاج قوة وشدة، كما أن النخل يحتاج قلعه من مغارسة ليتحقق الوصف المذكور في الآية قوة وشدة. وأن تلك الحفر التي نزعوا منها تشبه حفر النخل المنقعر.

قال الزمخشري:"وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض، ويتدخلون في الشعاب، ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقاهم"([2]).

و هذا الوجه مناسب لبيان حالهم أثناء النزع.

و ربما ناسب أن يكون الوجه مقصودا به حالهم بعد وقوع العذاب عليهم فيكونون جثثا بلا رؤوس، كما أن النخيل المنقعرة التي تقلع من منابتها لموقا تزول فروعها ويتحاتّ ورقها فلا تبقى إلا الجذوع الأصلية.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وقيل: إنما شبههم بأعجاز نخل منقعر، لأن رءوسهم كانت تبين من أجسامهم، فتذهب لذلك رِقابهم، وتبقى أجسادهم"([3]).

و قال الزمخشري:"وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، لأنّ الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس"([4]).

و قال ابن عاشور رحمه الله:"وشبه الناس المطروحون على الأرض بأصول النخيل المقطوعة التي تقلع من منابتها لموقا إذ تزول فروعها ويتحاتّ ورقها فلا تبقى إلا الجذوع

[1] الإعجاز البلاغي ١٢٤.
[2] الكشاف ٤٥٣/٦.
[3] جامع البيان ١١٦/٢٧.
[4] الكشاف ٤٥٣/٦.

الأصلية فلذلك سميت أعجازاً"([1]).

أو أنهم بعد إسقاط الريح لهم من العلو تدك رؤوسهم ورقابهم وتتطاير أجزاؤهم فيشبهون ما تشعب وتناثر من النخل المنقعر.

قال ابن عطية رحمه الله:"وروي عن مجاهد: أنها كانت تلقي الرجل على رأسه فيتفتت رأسه وعنقه وما يلي ذلك من بدنه فلذلك حسن التشبيه بأعجاز النخل وذلك أن المنقعر هو الذي ينقلب من قعره، فذلك التشعث والشعب التي لأعجاز النخل كان يشبهها ما تقطع وتشعث من شخص الإنسان"([2]).

و قال ابن عاشور رحمه الله:"و وجه الوصف بمنقعر الإشارة إلى أن الريح صرعتهم صرعاً تفلقت منه بطونهم وتطايرت أمعاؤهم وأفئدتهم فصاروا جثثاً فُرغا. وهذا تفظيع لحالهم ومثلة لهم لتخويف من يراهم"([3]).

و في وصف المشبه به بالمنقعر دلالة على خلو مواضعهم وأماكنهم منهم كما أن النخلة المنقعرة يخلو مكانها منها ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٥.

---

[1] التحرير والتنوير ١٣/١٩٤.

[2] المحرر الوجيز ١٥/٣٠٤.

[3] التحرير والتنوير ١٣/١٩٤.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١ ﴾ القمر: ٣١

أركان التشبيه:

المشبه: قوم ثمود بعد نزول العذاب بهم.

المشبه به: هشيم المحتظر.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التمزق، والتفرق، واليبس، والتراكم بعضهم فوق بعض.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا عن قوم ثمود بأنه جل شأنه أرسل عليهم الصيحة فأصبحوا بعدها كهشيم المحتظر.

و أكثر ما يستعمل الهشيم في الحطب المتكسر اليابس، وقد اختلف في معناه هنا في الآية:

فقيل: هو العظام المحترقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[١].

وقيل: التراب الذي يتناثر من الحائط. قاله سعيد بن جبير وهذا قول غريب[٢].

و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا: هو الرجُل يجعل لغنمه حظيرة بالشَّجر والشوك دون السِّباع، فما سقط من ذلك وداسته الغنمُ، فهو الهَشيم[٣].

وقال الضحاك: هو الشوك الذي تحظر به العرب حول مواشيها من السباع، والهشيم: يابس الشجر الذي فيه شوك ذلك الهشيم[٤].

و قيل غير ذلك.

و المحتظر: اسم فاعل، وهو المتكلف بالحظيرة العامل لها.

---

(١) جامع البيان ١٢٠/٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٣٥٦/٧.

(٣) زاد المسير ٩٨/٨.

(٤) جامع البيان ١٢١/٢٧.

و معنى الآية: أن قوم ثمود بادوا وهلكوا حتى صاروا كالهَشِيم المتحطِّم الذي يجمعه صاحبُ الحظيرة بعد أن بلغ الغاية في الجفاف، فهو يُجمع لِيوقد[١].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و كلا من المشبه والمشبه به مقيدان؛ فالمشبه وهو قوم ثمود مقيد بحالهم بعد نزول الصيحة بهم، والمشبه به مقيد بكونه هشيم المحتظر، لأن هشيم المحتظر يتميز بكونه يجمع ليرصف ويعمل منه السياج حول الحظيرة، أو يتميز بتقادمه وطول الزمن عليه بعد بنائه ورصفه فيكون يابسا، محطما، متفرقا، متراكما بعضه فوق بعض، يجمع ليوقد لعدم الفائدة فيه.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"فالمشبه به هو الهشيم المجموع في الأرض قبل أن يُسيّج ولذلك قال: (كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ) و لم يقل: كهشيم الحظيرة، لأن المقصود بالتشبيه حالته قبل أن يرصف ويصفف وقبل أن تتخذ منه الحظيرة[٢].

وبالنظر إلى هذه الأوصاف المصاحبة لهشيم المحتظر نجد أنها تقرب لنا صورة قوم ثمود بعد نزول العذاب بهم، فالهشيم قبل أن يكون هشيما، كان نباتا مورقا حسن الخضرة جميل المنظر متماسكا قويا، وقد كان قوم ثمود كذلك فأعطاهم الله من القوة ما كانوا ينحتون به الجبال، ويقوون به على بذر الزروع والثمار كما أخبر الله عنهم فقال سبحانه:(أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين)، ثم إن الهشيم بعد نضارته وخضرته يصبح يابسا محطما تطؤه الدواب ويتفتت ويكون سهل الانكسار وبالتالي فهو لا يستفاد منه في بناء ولا غيره فلا يصلح إلا للحرق، كما أن قوم ثمود بعد نزول العذاب بهم صاروا محطمين يابسين متراكمين بعضهم فوق بعض، لا يستفاد منهم لأن الميت لا يغني عن نفسه شيئا فكيف يغني عن غيره.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"المسألة الثالثة: لماذا شبههم به؟ قلنا: يحتمل أن يكون التشبيه بكونهم يابسين كالحشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان وكأنه يقول: سمعوا الصيحة فكانوا كأنهم ماتوا من أيام، ويحتمل أن يكون لأنهم انضموا بعضهم إلى بعض كما ينضم الرفقاء عند

---

(١) زاد المسير ٩٨/٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٣.

الخوف داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض... ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم أي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد.. كذلك ماتوا فصاروا كالحطب الذي لا يكون إلا للإحراق لأن الهشيم لا يصلح للبناء"[١].

و قال النيسابوري:"ووجه التشبيه: أن ما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتطؤه البهائم فيتكسر، وأنهم صاروا موتى جاثمين ملقى بعضهم فوق بعض كالحطب الذي يكسر في الطرق والشوارع"[٢].

و على قول من قال بأنهم كالعظام المحرقة فيكون معنى التشبيه أنه سبحانه مَثَّلَ قوم ثمود بعد هلاكهم وبلائهم بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرته[٣].

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/٥٧.

(٢) تفسير النيسابوري ٧/٩٥.

(٣) جامع البيان ٢٧/١٢٠.

﴿ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ ﴾ القمر: ٣٥

أركان التشبيه:

المشبه: جزاء من شكر من عباد الله المؤمنين.

المشبه به: جزاء لوط ومن آمن معه بإنجائهم من العذاب الواقع على قومهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: النجاة من العذاب.

تفسير الآية:

هذه الآية واردة بعد ذكر قصة لوط عليه السلام، وكيفية إهلاك قومه وإنجائه ومن آمن معه، فأخبر الله تعالى أن هذا الإنجاء للوط عليه السلام والمؤمنين معه نعمة من عنده سبحانه.

ثم قال جل وعلا:(كذلك نجزي من شكر) أي: وكما أثبنا لوطًا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا[1].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته ووجهه، وهو المشار إليه قبل هذه الآية في قوله تعالى:(نجيناهم بسحر).

والغرض منه بيان مقدار النعمة التي أنعم الله تعالى بها على لوط عليه السلام حيث أنجاه من عذاب قومه، وبيان أن لوطا عليه السلام والمؤمنين معه قد بلغوا منزلة رفيعة من الشكر، ويؤكد هذا أن الله تعالى جعل إنجاءه للوط عليه السلام مشبها به، جريا على العادة من كون الوجه في المشبه به أقوى من المشبه.

وجزاء الله تعالى للشاكرين لا يقتصر على إنجائهم فقط بل يشمل إيصال الخير لهم

---

(١) جامع البيان ٢٧/١٢٢.

ورفع مكانتهم، ولكن سياق الآية يشير إلى الإنجاء إشارة صريحة، مما يدل على عظيم النعمة به.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠﴾ القمر: ٥٠

أركان التشبيه:

المشبه: حصول ما أمر الله تعالى به وأراد تكوينه.

المشبه به: لمح البصر.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: اليسر والسرعة.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى مبينا عظيم قدرته، ونفوذ مشيئته وإرادته، أن أمره إذا أراد تكوين شيء، فإنه إنما يأمر به مرة واحدة، لا يحتاج إلى تأكيد فيكون حصوله وتحققه على مراد الله كلمح البصر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"(وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ) أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين"[(١)].

و الواحدة وصف لموصوف محذوف دل عليه الكلام، تقديره (إلا كلمة واحدة) أو (قولة واحدة) وهي كلمة (كن)[(٢)].

قال الإمام الرازي:"واعلم أن المراد من: (كُن) ليس هو الحرف والكلمة التي من الكاف والنون، لأن الحصول أسرع من كلمة كن إذا حملتها على حقيقة اللفظ، فإن الكاف والنون لا يوجد من متكلم واحد إلا الترتيب، ففي (كن) لفظ زمان والكون بعد بدليل قوله تعالى: (فَيَكُونُ) بالفاء فإذا لو كان المراد بـــ(كن) حقيقة الحرف والصوت لكان الحصول بعده بزمان

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٣٦١/٧.

(٢) جامع البيان ١٣٠/٢٧، ومعالم التنزيل ٤٣٦/٧.

وليس كذلك". [١]

قوله تعالى:(﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾) المقصود به النظر بالعين، لأن النظر بالعين أسرع حركة في الإنسان، فيكون المراد تفهيم الناس بأعجل شيء يحسونه.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وفي أشياء أمر الله تعالى أوحى من لمح البصر"[٢].

بل كل أمره سبحانه كذلك، وهذا إنما هو للتقريب والتفهيم.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و المشبه في الآية ليس أمر الله تعالى، وإنما هو تحقق ما أمر به، وحصول ما أراده الله تعالى على الصفة التي أرادها، وفي الوقت الذي أراده سبحانه، وهذا ما أشار إليه الإمام الرازي بقوله:"وقوله: (﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾) تشبيه الكون لا تشبيه الأمر، فكأنه قال: أمرنا واحدة، فإذا المأمور كائن كلمح بالبصر"[٣].

و التشبيه بلمح البصر في تقريب الزمان أسرع وأبلغ ما جاء في كلام العرب[٤].

قال الإمام الرازي رحمه الله:"النظر بالعين أسرع حركة توجد في الإنسان؛ لأن العين وجد فيها أمور تعين على سرعة الحركة:

أحدها: قرب المحرك منها، فإن المحرك العصبية ومنبتها الدماغ، والعين في غاية القرب منه.

ثانيها: صغر حجمها، فإنها لا تعصى على المحرك ولا تثقل عليه بخلاف العظام.

ثالثها: استدارة شكلها، فإن دحرجة الكرة أسهل من دحرجة المربع والمثلث.

رابعها: كونها في رطوبة مخلوقة في العضو الذي هو موضعها... فلولا سرعة حركة الآلة

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٦/٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ٣١٧/١٥.

(٣) مفاتيح الغيب ٧٥/٢٩.

(٤) التحرير والتنوير ٢٢١/١٣.

التي بها إدراك المبصرات لما وصل إلى الكل إلا بعد طول زمان[1].

و الغرض من التشبيه بلمح البصر في السرعة تقريبه إلى الأذهان، وإلا فإن أمر الله تعالى أسرع من ذلك.

و يجوز أن يكون وجه الشبه اليسر وعدم الكلفة، فلما كانت حركة العين أخف الحركات، وأيسرها على الإنسان، فكذلك أمر الله تعالى في اليسر والسهولة، لا يصعب عليه شيء، ولا يمانع إرادته مانع.

قال البقاعي رحمه الله:"فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه، فكذلك الأفعال كلها، بل أيسر من ذلك"[2].

و قال الألوسي رحمه الله:"(وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ) أي: ما شأننا إلا فعلة واحدة على نهج لا يختلف ووتيرة لا تتعدد وهي الإيجاد بلا معالجة ومشقة"[3].

و الوجهان متفقان ليس بينهما اختلاف، بل هما مرتبطان؛ إذا لا يمكن أن يكون تحقيق الأمر على هذه السرعة إلا إذا لم يكن فيه كلفة ولا مشقة.

و في هذا دلالة واضحة على عظمة الله تعالى وعظيم قدرته سبحانه.

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٨/٢٩.

(٢) نظم الدرر ٢٨٩/٨.

(٣) روح المعاني ٩٤/٢٧

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ الرحمن: ١٤

أركان التشبيه:

المشبه: الصلصال الذي خلق منه الإنسان.

المشبه به: الفخار.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الجودة.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن عظيم منته على عباده، وعظيم قدرته، أنه خلق الإنسان، وهو آدم عليه السلام لأنه أصل البشر، وهم فروعه، من صلصال، والصلصال: هو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار، يعني أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخا، كالذي قد طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار(١).

و عن عكرمة قال: الصلصال: طين خُلط برمل فكان كالفخار(٢).

و قيل: الصلصال مأخوذ من صل اللحم: إذا أنتن، أي هو الطين المتغير(٣).

و جمهور المفسرين على القول الأول(٤).

و المقصود بالفخار: الطين الذي طبخ بالنار، حتى صار ظرفا للمائعات، فهو يفخر على سائر أنواع الطين.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله: والفخار: الطين الطيب، إذا مسه الماء فخر أي ربا وعظم"(٥).

و قال الإمام الرازي رحمه الله:"والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف، مستعمل على

---

(١) جامع البيان ١٤٥/٢٧.

(٢) جامع البيان ١٤٦/٢٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣٢٧/١٥.

(٤) المحرر الوجيز ٣٢٧/١٥.

(٥) المحرر الوجيز ٣٢٧/١٥.

أصل الاشتقاق، وهو مبالغة الفاخر كالعلام في العالم، وذلك أن التراب الذي من شأنه التفتت إذا صار بحيث يجعل ظرف الماء والمائعات ولا يتفتت ولا ينقع، فكأنه يفخر على أفراد جنسه"(١).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و الطين الذي خلق منه آدم لم يشو بالنار حتى يكون فخارا، ولكنه لطيب أصله وجودته كان كالفخار المشوي بالنار.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"وذلك في الطين لكرمه وجودته، فهي إشارة إلى ما كان من تربة آدم من الطين الحر"(٢).

و هذا التشبيه مسوق لبيان فضل أصل الإنسان، على أصل الجان، ليعلم العباد فضل أصلهم فيشكرون ربهم، فأصل الإنسان الطين الذي هو محل الرزانة والمنافع، والثبات، وأصل الجان النار التي هي محل الخفة والطيش، والإحراق.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:"وهذا يدل على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين والتراب، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع، بخلاف عنصر الجان وهو النار، التي هي محل الخفة والطيش والشر والفساد"(٣).

و فيه أيضا تمهيد لتوبخهم على تقصيرهم في طاعة الله تعالى مع تفضله سبحانه عليهم بأنواع النعم.

قال الإمام الألوسي رحمه الله:"(خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ) تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين".(٤)

و لما كان الفخار يعلم جودته وحسن صنعه من الصوت الذي يصدره إذا نقر، فكذلك

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٨/٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ٢٦٦/١٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٨٢٩.

(٤) روح المعاني ١٠٥/٢٧.

الإنسان الذي هو من الصلصال، يعلم حسن خلقه، ورجاحة عقله من منطقه حين يتكلم.

قال الإمام البقاعي رحمه الله:"(كَٱلْفَخَّارِ) أي كالخزف المصنوع المشوي بالنار، لأنه أخذه من التراب ثم خلطه بالماء حتى صار طيناً ثم تركه حتى صار حمأ مسنوناً، ثم صوره كما يصور الإبريق وغيره من الأواني، ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة فصار كالخزف الذي إذا نقر عليه صوت صوتاً يعلم منه هل فيه عيب أم لا، كما أن الآدمي بكلامه يعرف حاله وغاية أمره ومآله"[١].

---

(١) نظم الدرر ٨/٣٠٠.

قال تعالى:(وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾)الرحمن: ٢٤

أركان التشبيه:

المشبه: السفن الجواري في البحر.

المشبه به: الأعلام.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: شكلها وعظمها وضخامتها وسعة مساحتها، وكونها هداية على الله.

تفسير الآية:

يقول سبحانه وتعالى:(وَلَهُ) اللام للملك وخص تعالى الجواري بأنها له، وهو تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن، لأنهم لما كانوا هم منشئيها، أسندها تعالى إليه، إذ كان تمام منفعتها إنما هو منه تعالى، فهو في الحقيقة مالكها[1].

و قال الرازي: لا شك أن الفلك في البحر لا يملكه في الحقيقة أحد إذ لا تصرف لأحد في هذا الفلك وإنما كلهم منتظرون رحمة الله تعالى معترفون بأن أموالهم وأرواحهم في قبضة قدرة الله تعالى وهم في ذلك يقولون: لك الفلك ولك الملك وينسبون البحر والفلك إليه... وإليه الإشارة بقوله:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٥ "[2].

و الضمير يعود على رب المشرقين والمغربين وهو الله عز وجل.

(ٱلْجَوَارِ): وهي السفن واحدها جارية؛ لجريها على الماء بأمر الله.

(ٱلْمُنشَـَٔاتُ) قرئت بفتح الشين وكسرها، فيكون معناها على قراءة الفتح: أي التي أنشأها

---

(1) البحر المحيط ١٩٢/٨

(2) مفاتيح الغيب ١٠٣/٢٩-١٠٤.

الله تعالى أو أنشأها الناس وصنعوها، قال قتادة: (ٱلْمُنشَـَٔاتُ) يعني المخلوقات[1].و قيـل: أي المرفوعات، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض[2]. وقيل: هي ما رفع قلعه من السـفن وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشئات.

قال مجاهد:"ما رفع قلعه من السفن فهي منشأة، وما لم يرفع قلعه فليس بمنشأة"[3].

و يكون معناها على قراءة الكسر: أي الرافعات الشراع، أو اللاتي ينشـئن الأمـواج بجريهن، أو التي تنشىء السفر إقبالاً وإدباراً[4]. والآية تحتمل المعنيين على القراءتين[5].

قوله تعالى:(فِى ٱلْبَحْرِ) أي عليه وإنما أتى بحرف الجر(في) بدلا من (على) لأنها لما كانت ثقيلة في أنفسها، وكان يوضع فيها من الأحمال ما يثقل الجبال، وكان كل ثقيل ليس له من ذاته إلا الغوص في الماء، كانت كأنها فيه لا عليه لأنها جديرة بالغرق[6].

قوله تعالى:(كَٱلْأَعْلَـٰمِ): قال أبو حيان رحمه الله:"أي كالجبال والآكام، وهذا يدل على كبر السفن حيث شبهها بالجبال، وإن كانت المنشآت تنطلق على السفينة الكبيرة والصغيرة[7].

أثر التشبيه:

تقدم ذكر وجه الشبه بين الجواري والأعلام في سورة الشورى بما أغنى عن إعادته هنا، وتبين فيما سبق أن الجواري تدل على عظمة الله تعالى وقدرته وتدل أيضا على فضله ونعمته على عباده، وإن كان وجه الشبه في مظاهر القدرة في سورة الشورى أنسب لسياق الآيات، فإن وجه الشبه في مظاهر النعمة هنا أنسب لأن هذه الآية واردة في سورة الرحمن التي فصل الله فيها النعم على عباده.

---

(1) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٣٦٨

(2) معالم التنزيل ٧/ ٤٤٥

(3) جامع البيان ٣٧/٢٣

(4) البحر المحيط ٨/ ١٩٢.

(5) التحرير والتنوير ٢٥١/١٣

(6) نظم الدرر ٨/ ٣٠٤

(7) البحر المحيط ١٩٢/٨

قال الإمام البقاعي رحمه الله:"ولما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك وبليغ القدرة، وكان الملك القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، وكانت رحمته لا تتم إلا بعمومها، قصر هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخـــر القمر من مقر الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال...)[1].

و زيادة لفظ(ٱلۡمُنشَـَٔاتُ) في هذه الآية على ما ورد في سورة الشورى لبيان زيادة النعمة.

قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور (ٱلۡمُنشَـَٔاتُ) بفتح الشين، فهو اسم مفعـــول، إذا أُوجـــد وصُنع، أي التي أنشأها الناس بإلهام من الله فحصل من الكلام مِنَّتان مِنة تسخير السفن للسير في البحر ومنّة إلهام الناس لإنشائها[2].

و قال: ووصفت الجَوَارِي بأنها كالأعلام، أي الجبال وصفاً يفيد تعظيم شأنها في صنعها المقتضي بداعة إلهام عقول البشر لصنعها، والمقتضى عظم المِنّة بها لأن السفن العظيمة أمكن لحمل العدد الكثير من الناس والمتاع[3].

---

(1) نظم الدرر ٢٩٢/٨

(2) التحرير والتنوير ٢٥١/١٣

(3) التحرير والتنوير ٢٥٢/١٣

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧ ﴾ الرحمن: ٣٧

في هذه الآية تشبيهان، أما التشبيه الأول فتحليله:

المشبه: السماء.

المشبه به: الوردة.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: الاحمرار وكثرة الشقوق.

و أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: تموج السماء واضطرابها.

المشبه به: الدهان.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الذوبان، واللمعان، والتلون.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى بأن السماء يوم القيامة تعتريها الشدائد والأهوال، فتتشقق وتتفطر وتصير أبوابا لنزول الملائكة.

قال الإمام البغوي رحمه الله: "انفرجت السَّمَاءُ، فصارت أبوابًا لنزول الملائكة"([1]).

و اختلف في جواب (إذا) فقيل إنه محذوف، ومقصود به الإبهام والتعظيم، كأنه يقول فإذا انشقت السماء فما أعظم الهول، وأفظعه، وما أعظم انشقاق السماء وانفطارها([2]).

و قيل: إنه قوله تعالى: ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ٣٩ ﴾ الرحمن:٣٩

[1] معالم التنزيل ٧/٤٤٩.

[2] المحرر الوجيز ١٥/٢٧٠.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"و جملة:(فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ) جواب شرط (إذا)، واقترن بالفاء لأنها صُدرت باسم زمان وهو (فَيَوۡمَئِذٖ) وذلك لا يصلح لدخول (إذا) عليه"([1]).

وأخبر سبحانه أن السماء إذا انشقت وتفطرت يوم القيامة فإنها تصير وردة كالدهان.

و معنى الوردة: الفرس الورد. قاله ابن عباس رضي الله عنهما([2]).

قال الفراء:"أراد لون الفرس الورد، يكون في الربيع إلى الصفرة، وفي الشتاء إلى الحمرة، وفي اشتداد البرد إلى الغبرة"([3]).

و قيل: أي محمرة كالوردة وهي النوار المعروف. وهذا قول الزجاج والرماني([4]).

و قال الرازي رحمه الله:"ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يقال: وردة للمرة من الورود كالركعة والسجدة والجلسة والقعدة من الركوع والسجود والجلوس والقعود...(فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ) واحدة أي الحركة التي بها الانشقاق كانت وردة واحدة، وتزلزل الكل وخرب دفعة، والحركة معلومة بالانشقاق لأن المنشق يتحرك، ويتزلزل"([5]).

و قوله تعالى:(كَٱلدِّهَانِ)، قيل معناه: الأديم الأحمر.

قال الضحاك، عن ابن عباس في قوله:(وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ)قال: هو الأديم الأحمر"([6]).

و قال الكلبي:"أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن"([7]).

و قيل الدهان: جمع دهن.

قال ابن جريج:"تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم"([8]).

---

[1] التحرير والتنوير ٢٦٢/١٣.

[2] جامع البيان ١٦٥/٢٧.

[3] البحر المحيط ١٩٥/٨.

[4] المحرر الوجيز ٣٣٩/١٥.

[5] مفاتيح الغيب ١١٨/٢٩.

[6] تفسير القرآن العظيم ٣٣٧٢/٧.

[7] معالم التنزيل ٤٤٩/٧.

[8] معالم التنزيل ٤٤٩/٧.

و قال الزمخشري:"كدهن الزيت، كما قال:(كالمهل)، وهو درديّ الزيت، وهو جمع دهن. أو اسم ما يدهن به كالخزام والإدام"([1]).

و حقيقة الفرق بين القولين يوضحها الشيخ الأمين بقوله:"وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر، يكون الله وصف السماء عند انشقاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بحمرة الورد، وحمرة الأديم الأحمر.

قال بعض أهل العلم: إنها يصل إليها حر النار فتحمر من شدة الحرارة. وقال بعض أهل العلم: أصل السماء حمراء إلا أنها لشدة بعدها وما دونها من الحواجز لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته، وأنها يوم القيامة ترى على حقيقة لونها.

وأما على القول بأن الدهان هوما يدهن به، فإن الله وقد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما حمرة لونها، والثاني أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن"([2]).

و يرجح الإمام الطبري رحمه الله القول الثاني فيقول:"وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب"([3]).

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان: الأول منهما بليغ؛ لم تذكر أداته ولا وجهه، والثاني مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و قد أشار إلى هذين التشبيهين جملة من العلماء.

قال الألوسي عند تفسير كلمة (وَرْدَةً):"و في الكلام تشبيه بليغ"([4]). وعنى به تشبيه السماء بالوردة.

و قال الطاهر ابن عاشور: وقوله:(فَكَانَتْ وَرْدَةً) تشبيه بليغ، أي كانت كوَرْدة...

---

[1] الكشاف ٤٧١/٦.

[2] أضواء البيان ٧٥١/٧.

[3] جامع البيان ١٦٦/٢٧.

[4] روح المعاني ١٥٢/٢٠.

والدهان: بكسر الدال: دردي الزيت. وهذا تشبيه ثان للسماء في التموج والاضطراب"([1]).

و بالنظر إلى المشبه في كلا التشبيهين نجد أنه السماء في يوم القيامة وفي حالة انشقاقها وانفطارها، وهو قيد يحدد حالة المشبه به عند التشبيه.

و في تشبيه السماء بالوردة معان متعددة، فعلى القول بأنها الفرس الورد الذي يتغير لونه فكذلك حال السماء يتغير لونها من شدة الأهوال التي تعتريها.

و على القول بأن الوردة هي النوار المعروف فالتشبيه بها يحتمل أوجها:

فقد يراد من ذلك الاحمرار، لما يعتري السماء من لهيب وحرارة، وقد يراد كثرة الشقوق كما أن أوراق الورد فيها شقوق متعددة.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"ويجوز عندي: أن يكون وجه الشبه كثرة الشقوق كأوراق الوردة"([2]).

و يصح إرادة الضعف، فالورد ضعيف الأوراق والساق، والسماء عندما تعتريها التغيرات والشقوق والحرارة تضعف وتتفطر خضوعا وذلا لأمر الله جل وعلا.

و أما تشبيه السماء بالدهان، فإذا أريد به الأديم والجلد الأحمر فهو تأكيد للتشبيه السابق، وأما إذا أريد به الدهن الذائب فهو وصف آخر يفيد بأن السماء يوم القيامة تكون في حمرة الورد وذوبان الدهن.

قال سعيد بن جبير وقتادة:"المعنى تصير في حُمْرة الورد، وجريان الدهن"([3]).

و قال ابن عطية رحمه الله:"واختلف الناس في قوله:(كَٱلدِّهَانِ) فقال مجاهد والضحاك: هو جمع دهن، قالوا وذلك أن السماء يعتريها يوم القيامة ذوب وتميع من شدة الهول"([4]).

و تشبه السماء يوم القيامة الدهن من جهات أخرى متعددة كالصفاء كما قال الطبري رحمه الله:"واختلف أهل التأويل في معنى قوله:(كَٱلدِّهَانِ)، فقال بعضهم: معناه كالدهن

---

[1] التحرير والتنوير ٢٧/١١٣.

[2] التحرير والتنوير ١٣/٢٦١.

[3] اللباب ١٨/٣٣٦.

[4] المحرر الوجيز ١٥/٣٤٠.

صافية الحمرة مشرقة"([1]).

و كذلك التلون؛ فإن الدهن إذا أذيب تعتريه الألوان ويتغير لونه من حين لآخر.

قال عطاء بن أبي رباح:"كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوانًا"([2]).

و قال ابن عطية رحمه الله:"وقال بعضهم: شبه لمعانها بلمعان الدهن"([3]).

و أما على القول بأن الوردة: المرة من الورود، فإن السماء تشبه الدهن في أن حركتها تكون بجميعها حركة واحدة سريعة يحصل بها التشقق، كما أن الدهن تكون حركته حركة واحدة بجميعه ويكون ذوبانه وانصبابه كذلك.

قال الإمام الرازي:"ولكن ما المناسبة بين الوردة وبين الدهان؟ نقول: الجواب عنه من وجوه... والثالث: هو أن الدهن المذاب ينصب انصبابة واحدة ويذوب دفعة والحديد والرصاص لا يذوب غاية الذوبان، فتكون حركة الدهن بعد الذوبان أسرع من حركة غيره فكأنه قال حركتها تكون وردة واحدة كالدهان المصبوبة صباً لا كالرصاص الذي يذوب منه ألطفه وينتفع به ويبقى الباقي، وكذلك الحديد والنحاس"([4]).

و قال النيسابوري:"ويمكن أن يكون وجه تشبيه السماء يومئذ بالدهن هو الميعان والذوبان بسرعة وعدم رسوب الخبث كخبث الحديد ونحوه، والغرض بيان بساطة السماء وأنه لا اختلاف للأجزاء فيها"([5]).

و هذا التشبيه يقرب لنا حالة السماء يوم القيامة بما هو مشاهد ومحسوس، ليمكن تصوره في الأذهان.

---

[1] جامع البيان ١٦٥/٢٧.

[2] معالم التنزيل ٣٣٩/١٥.

[3] المحرر الوجيز ٣٤٠/١٥.

[4] مفاتيح الغيب ١١٨/٢٩.

[5] تفسير النيسابوري ١٠٥/٧.

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ ﴾ الرحمن: ٥٨

أركان التشبيه:

المشبه: نساء أهل الجنة من الحور العين.

المشبه به: الياقوت والمرجان.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: الحسن والجمال والصفاء، وكذلك ألوان أجسامهن في البياض المشرب بالحمرة.

تفسير الآيات:

يخبر سبحانه وتعالى عن نساء أهل الجنة بأنهن في حسنهن وجمال طلعتهن كالياقوت والمرجان، وهما من نفيس الجواهر وأحسن الحلي.

أثر التشبيه:

هذا التشبيه من التشبيه المرسل المجمل فقد ذكرت أداته و لم يذكر وجه الشبه فيه ليعم كل وجه يصلح لبيان النعيم بين المشبه والمشبه تبعا لسياق الآيات.

و يتميز الياقوت بأنه حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر([1]).

و كذلك نساء أهل الجنة في صفائهن وحسنهن يرى مخ سوقهن من وراء اللحم والعظم، مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم:"إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر،

---

[1] جامع البيان ٢٧/١٧٧.

والتي تليها على أضْوَأ كوكب دُرّي في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يُرَى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب"([1]).

و يجوز أن يقع الشبه في الألوان فيشبهن بحسن بياض اللؤلؤ وحمرة الياقوت، والمرجان صغار اللؤلؤ وهي أشد بياضاً وضياء من الكبار بكثير([2]).

قال أبو السعود: أي مشبهاتٌ بالياقوتِ في حُمرةِ الوجنةِ، والمرجانِ أي صغارِ الدرِّ في بياضِ البشرةِ وصفائِها([3]).

وقال البقاعي رحمه الله: وقد يستفاد من ذلك أن ألواهن البياض والحمرة على نوع من الإشراب هو في غاية الإعجاب من الشفوف والصفاء، وهو مع ذلك ثابت لا يعتريه تغير([4]).

و قال ابن عاشور رحمه الله: ووجه الشبه بالياقوت والمرجان في لون الحمرة المحمودة، أي حمرة الخدود كما يشبه الخد بالورد([5]).

و لا تعارض بين ما تقرر هنا مع ما تقرر في سورة الصافات من أن أحسن ألوان النساء هو البياض المشوب بصفرة فللعلماء جمع بينهما:

قال الألوسي:"واستشكل التشبيه على ما تقدم بآية عروس القرآن (كأهن الياقوت و المرجان)، فإنها ظاهر في أن ألواهن حمرة، وأين هذا من التشبيه بالبيض المكنون على ما سمعت قبل، فيتعين أن يراد التشبيه من حيث النعومة والطراوة كما روي ثانيا أو من حيث تناسب الأجزاء كما قيل أخيرا؟ وأجيب بأنه يجوز أن يكون المشبهات بالبيض المكنون غير المشبهات بالياقوت والمرجان، وكون البياض المشوب بالصفرة أحسن الألوان في النساء غير مسلم بل هو حسن ومثله في الحسن البياض المشوب بحمرة على أن الأحسنية تختلف باختلاف طباع الرائي، وللناس فيما يعشقون مذاهب، والجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم(٣٢٤٥-٣٢٥٤).
صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول من يدخل الجنة، برقم(٢٨٣٤).

[2] مفاتيح الغيب ١٣١/٢٩

[3] تفسير أبي السعود٦/٢٥٣.

[4] نظم الدرر ٨/٣١٧.

[5] التحرير والتنوير ١٣/٢٧٠.

وقيل يجوز أن يكون تشبيههن بالبيض المكنون بالنظر إلى بياض أبدانهن المشوب بصفرة ما عدا وجوههن وتشبيههن بالياقوت والمرجان بالنظر إلى بياض وجوههن المشوب بحمـــرة، وقيل تشبيههن بهذا ليس من جهة أن بياضهن مشوب بحمرة بل تشبيههن بالياقوت من حيث الصفاء وبالمرجان من حيث الأملاس وجمال المنظر".([1]).

و قد يكون الوجه عائد إلى أن نساء الجنة لما وصفن بأنهن قاصرات الطرف ممتنعات عن الاجتماع بالإنس والجن لم يطمثهن، كن كالياقوت المحفوظ في معدنه والمرجان المصـــون في صدفه لم تلمسه يد لامس.

قال الإمام الرازي:"ولا يبعد أن يقال: لأنهن لما كن قاصرات الطرف ممتنعـــات عـــن الاجتماع بالإنس والجن لم يطمثهن فهن كالياقوت الذي يكون في معدنه والمرجان المصون في صدفه لا يكون قد مسه يد لامس"([2]).

و استخدام أدة التشبيه (كأن) مشعر بالاهتمام بنساء أهل الجنة من الحور العين وأنهن من أسباب السعادة والنعيم فيها، وكونهن على هذا الصفاء والجمال والبياض المشرب بـــالحمرة والحفظ والصيانة فيه زيادة نعيم لهم فقد جبلت طباع البشر على حب هذه الصفة وانشراح الصدر لها.

---

[1] روح المعاني ٩٠/٢٣.

[2] مفاتيح الغيب ١٣١/٢٩.

قال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الواقعة: ٢٣

أركان التشبيه:

المشبه: نساء أهل الجنة (الحور العين).

المشبه به: اللؤلؤ المكنون.

أداة التشبيه: الكاف وكلمة أمثال.

وجه الشبه: الحسن والجمال والبياض والصفاء.

تفسير الآية:

يخبر تعالى بأن لأهل الجنة نساء وصفهن بأنهن (وَحُورٌ عِينٌ)، والحور: جمع حوراء، وهي المرأة النقية بياض العين، الشديدة سوادها([1]).

و في لسان العرب:"والحَوَرُ أَن يَشْتَدَّ بياضُ العين وسَوادُ سَوادِها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيضَّ ما حواليها، وقيل الحَوَرُ شِدَّةُ سواد المُقْلَةِ في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد ولا تكون الأَدْماءُ حَوْراءَ. قال الأزهري لا تسمى حوراء حتى تكون مع حَوَرِ عينيها بيضاءَ لَوْنِ الجَسَدِ... والأَعْرابُ تسمي نساء الأَمصار حَوارِيَّاتٍ لبياضهن وتباعدهن عن قَشَفِ الأَعراب بنظافتهن... والحَوارِيَّاتُ من النساء النَّقِيَّاتُ الأَلوان والجلود لبياضهن"([2]).

و روي عن مجاهد: يحار فيهن الطرف([3]).

و معنى (عِينٌ): النُّجْلَ العيون عِظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون.

---

[1] جامع البيان ٢٠٧/٢٧.

[2] لسان العرب ٢٦٥/٤ مادة (حور).

[3] جامع البيان ٢٠٨/٢٧.

(كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ): أي يشبهن في الصفاء والبياض والحسن اللؤلؤ المكنون: أي الرطب المخزون في الصدف لنفاسته([1]).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته ولم يذكر وجهه، ليعم كل وجه مناسب للطرفين يحصل به نعيم تبعا لسياق الآيات في ذكر جزاء المقربين من عباد الله.

فالمشبه مقيد بوصفين يزيدانه حسنا وجمالا:

الوصف الأول: (وَحُورٌ) والحوراء لا تكون إلا بيضاء البشرة كما في لسان العرب، وكذلك تتميز بشدة بياض العين مع شدة سوادها وتمام استدارة الحدقة ورقة الجفون مع بياض ما حولها.

الوصف الثاني: (عِينٌ) وهو اتساع العين، وهو وصف مستحسن يزيد المرأة جمالا وبهاء مما يدل على نعيم أهل الجنة بهن في جميع الأحوال سواء بالنظر أو المخاطبة والتحدث أو الملابسة والمخالطة والمعاشرة.

و وصفهن بأنهن (حور عين) دال على الحسن والجمال وتشبيههن باللؤلؤ يدل على زيادة الوصف لهن بالحسن والجمال فكيف إذا قيد اللؤلؤ بأنه في أحسن حالته: رطبا ومصونا في أصدافه لم تره عين أو تمسه يد أو تصبه شمس أو يناله شيء من أذى أو غبار أو قتر.

قال ابن الجوزي:"والمكنون: الذي لم يغيِّره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال، فهُنَّ كاللؤلؤ حين يخرج من صدفه"([2]).

و قال الرازي:"وأما قوله تعالى:(ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ) إشارة إلى غاية صفائهن أي اللؤلؤ الذي لم يغير لونه الشمس والهواء"([3]).

كما أن استخدام لفظ(كَأَمْثَٰلِ) فيه جمع بين أداتين من أدوات التشبيه والمعنى يتضح

---

[1] معالم التنزيل ١١/٨. وتفسير القرآن العظيم ٣٣٩٣/٧.

[2] زاد المسير ١٣٧/٨.

[3] مفاتيح الغيب ١٥٦/٢٩.

باستخدام إحدى الأداتين ولكن لما في ذلك من المبالغة والزيادة وقوة التأكيد جمع بينهما.

قال الإمام الرازي:"الكاف للتشبيه، والمثل حقيقة فيه، فلو قال: أمثال اللؤلؤ المكنون لم يكن إلى الكاف حاجة، فما وجه الجمع بين كلمتي التشبيه؟ نقول: الجـواب المشـهور أن كلمتي التشبيه يفيدان التأكيد والزيادة في التشبيه"([1]).

و كما مر من قبل فإن تشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون هو لتقريب المشبه، لأن الجنـة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

[1] مفاتيح الغيب ١٥٥/٢٩.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحديد: ١٦

أركان التشبيه:

المشبه: الذين آمنوا.

المشبه به: أهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: لا يكونوا مثلهم في قسوة القلب، والفسوق.

تفسير الآية:

يقول الله تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقادُ له وتسمع له وتطيعه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فقال: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ }[1].

وعن الحسن رحمه الله: أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرؤون، فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق[2].

والخشوع في الشرع خشية من الله تداخل القلوب، فتظهر آثارها على الجوارح بالانخفاض والسكون، كما هو شأن الخائف[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/٣٤٣٥

(٢) الكشاف ٦/٤٩٦.

(٣) أضواء البيان ٧/ ٨١٢.

و { ذِكْر الله }: ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه وسلم، أو هو الصلاة. و { ما نزل من الحق }: القرآن، ويجوز أن يكون الوصفان للقرآن؛ تشريفاً له بأنه ذكر الله، وتعريفاً لنفعه بأنه نزل من عند الله ، وأنه الحق ، فيكون قوله:{وما نزل من الحق} عطف وصف آخر للقرآن(١).

وقوله:{وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنًا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد.

والمقصود بالأمد: أي: الأجل، بطول أعمارهم وآمالهم، أو طال أمد ما بينهم وبين أنبيائهم عليهم السلام وبعد العهد بهم(٢).

{ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة. كما قال: { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ } [المائدة:١٣] ، أي: فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهو عنه؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية(٣).

والفسق هنا بمعنى الكفر، والمعنى : أن كثيراً منهم تجاوزوا ذلك الحَدَّ من قسوة القلوب فنبذوا دينهم وبدلوا كتابهم وحرفوه وأفسدوا عقائدهم فبلغوا حدّ الكفر(٤).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته ووجهه.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩١/٢٧.

(٢) روح المعاني ٢٧/ ١٨١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٤٣٦/٨

(٤) التحرير والتنوير ٣٩٣/٢٦.

والغرض منه تحذير المؤمنين مشابهة أهل الكتاب في قسوة القلب، والخروج عن طاعة الله تعالى.

ويستفاد من التشبيه التنبيه على أن طول الأمد، والبعد عن زمن النبوة سبب لقسوة القلب فعلى المؤمنين، الحذر من ذلك، ولا يفهم منه أن من طول الأمد عذر لمن قسى قلبه وخرج عن طاعة الله تعالى، أو التماس العذر لأهل الكتاب بسبب ذلك، بل المراد الحذر من هذه الأسباب.

وتكون مواجهة طول الأمد بالنسبة للأجيا المتأخرة بالصلة العميقة بكتاب الله تعالى والتفهم له، وتعلم أحكام الإسلام، وقيام العلماء والصالحين بالدعوة إلى الله تعالى.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والمقصود التحذير لا أنهم تلبسوا بذلك ولم يأن لهم الاقلاع عنه . والتحذير مُنْصَبٌّ إلى ما حدث لأهل الكتاب من قسوة القلوب بعد طول الأمد عليهم في مزاولة دينهم ، أي فليحذر الذين آمنوا من أن يكونوا مثلهم على حدثان عهدهم بالدين. وليس المقصود عذر الذين أوتوا الكتاب بطول الأمد عليهم لأن طول الأمد لا يكون سبباً في التفريط فيما طال فيه الأمدُ بل الأمر بالعكس، ولا قصدُ تهوين حصوله للذين آمنوا بعد أن يطول الأمد لأن ذلك لا يتعلق به الغرض قبل طول الأمد، وإنما المقصود النهي عن التشبه بالذين أوتوا الكتاب في عدم خشوع قلوبهم، ولكنه يفيد تحذير المؤمنين بعد أن يطول الزمان من أن يقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب. ويستتبع ذلك الأنباءَ بأن مدة المسلمين تطول قريباً أو أكثر من مدة أهل الكتاب الذين كانوا قبل البعثة ، فإن القرآن موعظة للعصور والأجيال... وفاء { فطال عليهم الأمد } لتفريع طول الأمد على قسوة القلوب من عدم الخشوع ، فهذا التفريع خارج عن التشبيه الذي في قوله : { كالذين أوتوا الكتاب من قبل } ، ولكنه تنبيه على عاقبة ذلك التشبيه تحذيراً من أن يصيبهم مثل ما أصاب الذين أوتوا الكتاب من قبل"[١].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩٢/٢٦.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ الحديد: ٢٠ - ٢١

أركان التشبيه:

هذه الآيتان فيها تشبيهان، أما الأول فتحليله:

المشبه: الحياة الدنيا.

المشبه به: النبات الجديد الذي ينموا ويكون مخضرا ويانعا، ثم هيجه وجفافه، ثم اصفراره ويبسه، ثم تحطمه وهشمه.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: سرعة الانقضاء بعد الاغترار بالزهو والجمال.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: عرض الجنة.

المشبه به: عرض السموات والأرض.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: السعة.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا عباده بأن هذه الحياة الدنيا ليست دار مقر، وإنما دار ممر، وأنها إن أغرت بحسنها وجمالها وزينتها، فإنها ستنقضي قريبا وستنتهي سريعا فيصفها سبحانه بعدة صفات،

فهي لعب: أي تعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان.

ولهو، أي: شيء يفرح الإنسان به فيلهيه ويشغله عما يعنيه ثم ينقضي كلهو الفتيان.

وزينة، أي: شيء يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان.

و تفاخر بين الناس: أي: كتفاخر الأقران يفتخر بعضهم على بعض بالصفات الفانية الزائلة، وهو إما التفاخر بالنسب، أو التفاخر بالقدرة والقوة والعساكر وكلها ذاهبة.

و تكاثر في الأموال والأولاد: أي: يكاثر بعضكم بعضا فيهما.

وحصر الحياة الدنيا على هذه الأمور إنما هو بالنظر إلى ما تنصرف إليه همم غالب الناس من شؤون الحياة الدنيا، والتي إن سلم بعضهم من بعضها لا يخلو من ملابسة بعض آخر إلا الذين عصمهم الله تعالى فجعل أعمالهم في الحياة كلها لوجه الله، وإلا فإن الحياة قد يكون فيها أعمال التقى والمنافع والإحسان والتأييد للحق وتعليم الفضائل... وهي أيضاً أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سِنّ الطفولة والصبا، واللهوَ طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخرَ طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة[1].

ثم بين سبحانه أن الدنيا وإن لم تشتمل على ذلك فينبغي للعاقل أن ينصرف عنها لأن مثلها كمثل الغيث أصاب أرضا قابلة للزرع والنبت، فأنبت هذا الغيث النبات والزروع والثمار، التي تعجب الكفار. ثم لم يلبث هذا الزرع أن اصفر وييس وتهشم وتحطم وأصبح باليا، فهذا مثل الدنيا.

واختلف في المراد بالكفار هنا في الآية:

فقيل: هم الزراع. قاله ابن مسعود رضي الله عنه[2].

قال الأزهري: والعرب تقول للزارع: كافر؛ لأنه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الأرض[3].

وخصهم بالذكر، لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة، الذي لا عيب له[4].

---

(١) التحرير والتنوير ٤٠١/١٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٣٤/٢٩.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٣٤/٢٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤٢٢/١٥.

و قيل: الكفار من الكفر بالله، وذلك لأنهم أشد تعظيماً للدنيا وأشد إعجاباً بمحاسنها.

ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حَذّر من أمرها ورغّب فيما فيها من الخير فقال:(وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ) أي: والآخرة إما فيها عذاب شديد لمن عصى الله تعالى بالكفر، واستكبر عن طاعته، وهو عذاب دائم مستمر، أو فيها مغفرة من الله تعالى ورحمة منه ورضوان، دائمة لمن أطاعه واتقاه، والواو و أو هنا بمنزلة واحدة[١].

وذكر الله تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرضوان؛ لأن الحذر في الإنسان ينبغي أن يكون أولاً، فإذا تحرر من المخاوف مد حينئذ أمله[٢].

ثم أخبر سبحانه أن هذه الحياة الدنيا إنما هي متاع للغرور لمن أقبل عليها، وأعرض بها عن طلب الآخرة.

قال سعيد بن جبير: الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم الوسيلة[٣].

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"والحياة الدنيا في هذه الآية عبارة عن الأشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة بالحياة الدنيا، وأما ما كان من ذلك في طاعة الله وسبيله، وما كان من الضرورات التي تقيم الأود، وتعين على الطاعات، فلا مدخل له في هذه الآية"[٤].

ثم لما أخبر الله تعالى عن الآخرة وما فيها من العذاب المقيم أو النعيم المقيم أمر عباده المؤمنين بأن يتسابقوا إلى رحمته ورضوانه في الجنة فهي الجديرة بالسباق والمنافسة، والمراد: سابقوا إلى سائر ما كلفتم به من الأعمال الصالحة لأن المغفرة والجنة لا ينالان إلا بالانتهاء عن جميع المعاصي والاشتغال بكل الطاعات.

و أخبرهم أن الجنة التي أعدها دارا لأوليائه عرضها السموات والأرض.

قال الزمخشري:"وذكر العرض دون الطول؛ لأنّ كل ماله عرض وطول فإنّ عرضه أقل

---

(١) جامع البيان ٢٧/٢٧٠.

(٢) المحرر الوجيز ١٥/٤٢٢-٤٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٩/٢٣٥.

(٤) المحرر الوجيز ١٥/٤٢١.

من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة: عرف أنّ طوله أبسط وأمدّ.

ويجوز أن يراد بالعرض: البسطة"[1].

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"والعَرْض: مستعمل في السعة وليس مقابل الطُول لظهور أنه لا طائل في معنى ما يقابل الطول"[2].

و على كلا القولين فالمراد الدلالة على عظم الجنة واتساعها، واستحقاقها بالمسابقة إليها.

ثم أخبر الله تعالى أنه أعد هذه الجنة لمن آمن به وبرسله عليهم الصلاة والسلام، وجاء لفظ الرسل جمعا، ليشمل المؤمنين من كل أمة.

(ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ) أي: هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله، فضل الله تفضل به على المؤمنين، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه، وهو ذو الفضل العظيم عليهم، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا، ووهب لهم من النِّعم، وعرّفهم موضع الشكر، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم[3].

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مجملان، ذكرت أداتهما و لم يذكر وجههما.

و الغرض من التشبيه الأول التزهيد في الدنيا لأن التعلق بها يعوق عن الفَلاَح، فضُرب لهم مثلُ الحياة الدنيا بحال محقَّرة على أنها زائلة تحقيراً لحاصلها.

و المشبه يمثل حالة أهل الدنيا في أطوار نموهم وأحوالهم الغالبة التي عبر الله عنها بقوله:(لعب، ولهو، وزينة...) فكل أحوال أهلها تبدأ جميلة محبوبة مغرية، ثم تبدأ في التمكن والقوة ثم تأخذ بعد ذلك في الاضمحلال والزوال شيئا فشيئا، وأما أحوالهم التي يكون فيها لمصالح دينهم ودنياهم فيما أحله الله وأباحه فليس داخل في المثل، لأن هذه أحوال تعود بالنفع والفائدة.

---

(١) الكشاف ٧/١.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٤٠٨.

(٣) جامع البيان ٢٧/٢٧٠-٢٧١.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"فشبهت هيئة أهل الدنيا في أحوالهم الغالبة عليهم والمشار إلى تنويعها بقوله: (**لَعِبٌ وَلَهْوٌ**...) إلى آخره بهيئة غيث أنبت زرعاً فأينع ثم اصفر ثم اضمحلّ وتحطم، أي تشبيه هيئة هذه الأحوال الغالبة على الناس في الحياة في كونها محبوبة للناس مزهية لهم وفي سرعة تقضيها بهيئةٍ نبات جديد أنبته غيث فاستوى واكتمل وأُعجب به من رآه فمضت عليه مدة فيبس وتحطم.

والمقصود بالتمثيل هو النبات، وإنما ابتدىء بغيث تصويراً للهيئة من مبادئِها لإِظهار مواقع الحسن فيها لأن ذلك يكتسب منه المشبه حُسناً"[(١)].

و لفظ الاصفرار في الآية يدل على التهيؤ للزوال، وهو مناسب لمقام التزهيد في الدنيا.

وهذا التمثيل مع كونه تشبيه هيئة مركّبة بهيئةٍ مثلها هو صالح للتفريق ومقابلة أجزاء الهيئة المشبهة بأجزاء الهيئة المشبه بها، فيشبَّه أول أطوار الحياة وإقبالها بالنبات عقب المطر، ويشبّه الناس المنتفعون بإقبال الدنيا بناس زُراع، ويشبّه اكتمال أحوال الحياة وقوة الكهولة بهياج الزرع، ويشبّه ابتداء الشخوخة ثم الهرم وابتداء ضعف عمل العامل وتجارة التاجر وفلاحة الفلاح باصفرار الزرع وتهيئه للفناء، ويشبه زوال ما كان للمرء من قوة ومال بتحطم الزرع[(٢)].

أما التشبيه الثاني فالغرض منه الدلالة على تقريب المشبه ليسهل تخيله وتصوره.

و السموات والأرض أكبر شيء في معهود الناس، ولا يتخيلون شيئا أكبر منهما، فإذا شبه بها عرض الجنة، علموا أنها من السعة والبسط شيئا عظيما.

قال الطاهر رحمه الله:"وتشبيه عَرْض الجنة بعَرْض السماء والأرض، أي مجموع عرضيهما لقصد تقريب المشبه بأقصى ما يتصوره الناس في الاتساع، وليس المراد تحديد ذلك العرض"[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/٤٠٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٤٠٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/٤٠٨.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ المجادلة: ٥

أركان التشبيه:

المشبه: كبت الذين يحادون الله و رسوله.

المشبه به: كبت من قبلهم من الأمم السابقة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الخزي و الذل والإهانة.

تفسير الآية:

يؤكد سبحانه و تعالى أن الذين يخالفون الله تعالى في حدوده وفرائضه، فيجعلون حدودا غير حدوده، بأنهم قد أهينوا و أخزوا جزاء على أفعالهم الشنيعة، كما أهين و أخزي من كان قبلهم من المحادين لله و لرسله عليهم الصلاة و السلام(١).

قال الإمام ابن عطية:" وكبت الرجل: إذا بقي خزيان يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه"(٢).

و جاء (كبتوا) بصيغة الماضي: لتحقق وقوعه وقرينة ذلك تأكيد الخبر ب { إنّ } لأن الكلام لو كان إخباراً عن كبت وقع لم يكن ثم مقتضى لتأكيد الخبر إذ لا ينازع أحد فيما وقع(٣).

أو لتقريب المخبر عنه(٤).

و في الآية تهديد لكفار قريش، و بشارة للنبي صلى الله عليه و سلم بالنصر و الظفر

---

(١) جامع البيان ١٦/٢٨.

(٢) الوجيز ٤٤٢/١٥.

(٣) التحرير و التنوير ٢٣/٢٨.

(٤) اللباب لابن عادل ١٦٦/١٥.

و الظهور على قومه، و قد أظهره الله تعالى عليهم، و كبت قومه يـــوم بـــدر، ويـــوم الخندق[1].

و قوله:(وقد أنزلنا آيات بينات) أي واضحة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق ماجاء به من الحق، وعلى رأسها آيات القرآن الكريم، وفي الآية تعـــريض بكفار قريش، و وصف لهم بالجهل إذ أعرضوا عن هذه الآيات الواضحات.

و قوله:(وللكافرين عذاب مهين) أي مخز، ومذل لهم في الآخرة جزاء على محادقم و استكبارهم، ووصف عذابهم بالمهين في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله، والانقياد له، والخضوع لديه.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته و وجهه، و هو الكبت الذي يدل على الذل والإهانة.

وفي التشبيه إشارة إلى سبب الكبت، و هو المحادة لله و لرسله علـــيهم الصـــلاة و السلام، و الإعراض عن دين الله تعالى و شرعه.

كما أن جعل كبت الأمم السابقة مشبها به يدل على عظم الكبت الحاصل عليهم حيث صار أصلا يشبه به، و يدل أيضا على تمام البلاغ و الإنذار الذي جاءهم على لسان رسلهم؛ لأن الله تعالى لا يوقع العقوبة إلا بعد الإنذار والإعذار، (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)، و يدل على تمام البلاغ من النبي صلى الله عليه و ســـلم لأن الله توعد قريشا بمثل ذلك الكبت.

---

(١) زاد المسير ٤٩٧/٥.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ المجادلة١٨

أركان التشبيه:

المشبه: حلف المنافقين لله يوم القيامة.

المشبه به: حلف المنافقين للمؤمنين في الدنيا.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: مضمون الحلف الكاذب بأنهم كانوا مؤمنين.

تفسير الآية:

يخبر جل وعلا عن المنافقين أنهم يبعثهم الله يوم القيامة، فيحلفون لله تعالى ويقسمون له بأنهم كانوا في الدنيا مؤمنين، ولم يكونوا مشركين كما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنعام: ٢٣، كما كانوا يحلفون لكم في الدنيا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن المنافق يحلف لله يوم القيامة كذباً كما يحلف لأوليائه في الدنيا كذباً"(١).

ثم أخبر سبحانه عنهم بأنهم يحسبون أن هذا الحلف لله تعالى الذي لا تخفى عليه خافيه، وهو يعلم سرائرهم وبواطنهم، يحسبون أن ذلك الحلف نافع لهم ومنج لهم من العذاب.

قال الزمخشري: "ليس العجب من حلفهم لكم، فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر، وأن لهم نفعاً في ذلك دفعاً عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية، وأنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى علم ما يوعدون، ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والإضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٧٥/٢٩.

(٢) الكشاف ١٧/٧.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ جملة استئنافية لبيان أن الكذب من صفات المنافقين، وأن كذبهم لا يخفى على الله تعالى.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و المشابهة فيه في كونه كذبا وهم يعلمون، وفي الإقسام على أنهم مؤمنين غير مشركين، وفي حسبان أن ذلك نافعا لهم.

و فيه دلالة على توغلهم في النفاق والكذب ومرونهم عليهما، وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل"[١].

---

(١) الكشاف ١٧/٧.

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الحشر: ١٥-١٧.

أركان التشبيه:

في هذه الآيتين تشبيهان، أما التشبيه الأول فتحليله:

المشبه: بنو النضير من اليهود.

المشبه به: بنو قينقاع لقرب زمن جلائهم من زمن جلاء بني النضير.

أداة التشبيه: الكاف، وكلمة مثل.

وجه الشبه: التشابه في الدين والمسكن، والعقوبة، مع اتحاد سببها.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: المنافقون في إغوائهم لبني النضير، ووعدهم لهم بالنصرة.

المشبه به: الشيطان في إغوائه لبني آدم إن اتبعه وكفر بالله، ووعده له بالنصرة وقت الحاجة.

أداة التشبيه: الكاف، وكلمة مثل.

وجه الشبه: الإغواء ثم الخذلان والتبرؤ وقت الحاجة.

تفسير الآية:

يقول سبحانه وتعالى: إن مثل يهود بني النظير في عصيانهم ونزول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم في الزمن القريب، واختلف في المراد بالذين من قبلهم:

فقيل: بنو قينقاع، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[1].

---

(١) جامع البيان ٥٧/٢٨.

و قيل مشركي قريش يوم بدر. قاله مجاهد رحمه الله[١].

قال ابن كثير رحمه الله:"وهذا القول أشبه بالصواب، فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل هذا"[٢].

قوله تعالى(ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ) أي في الدنيا حلت بهم عقوبة الله تعالى، والوبيل: الوخيم، وسيء العاقبة[٣].

وقوله(وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: مع ما نالهم في الدنيا من العذاب لهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع.

ثم ضرب الله تعالى مثلا آخر لممثل آخر وهو خذلان المنافقين لبني النضير حين زينوا لهم عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقض عهده، وحربه، ووعدوهم بالنصر والوقوف معهم، فلما وقعت الحرب خذلوهم، وتخلوا عنهم، بمثل الشيطان حين يغوي الإنسان، ويزين له الكفر بالله تعالى، فلما كفر هذا الإنسان، واستمر على كفره حتى مات، ووافى يوم القيامة العذاب، قال له الشيطان الذي كان يرجو أن ينصره: إني بريء منك، فخذله وتخلى عنه.

و إنما قيل إن هذا الجواب من الشيطان يكون يوم القيامة، لأنه لا يتكلم مع الناس في الدنيا.

و صدق الشيطان في براءته من الإنسان، ولكنه كذب في خوفه من الله تعالى.

قال أبو حيان:"وقول الشيطان: (إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ) رياء، ولا يمنعه الخوف عن سوء يوقع ابن آدم فيه"[٤].

و المراد بالشيطان، والإنسان في الآية العموم لأن العرف أن يعمل هذا شياطين بناس كما يغوي الشيطان الإنسان ثم يفر منه بعد أن يورطه[٥].

---

(١) جامع البيان ٥٧/٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٤٨٤/٨.

(٣) الكشاف ٣١/٧.

(٤) البحر المحيط ٢٥٠/٨.

(٥) المحرر الوجيز ٤٧٦/١٥.

و ما قيل من أن المراد إغواء الشيطان للمشركين يوم بدر[١]، أو كونه مخصوصا بعابد من عباد بني إسرائيل[٢]، فإنها تكون كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكله لها[٣].

قوله: (فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ) أي: فكان عاقبة الشيطان، والإنسان الذي أطاعه، النار، خالدين فيها أبداء جزاء كفرهما بالله تعالى، وهذا الجزاء جزاء لجميع الظالمين الكافرين بالله تعالى.

أثر التشبيه:

التشبيه الأول تشبيه مرسل مجمل؛ حيث ذكرت أداته و لم يذكر ووجهه؛ فالمشابهة بينهما من جهات متعددة.

و من آثاره ترجيح قول من قال بأن بني قينقاع هم المعنيون في الآية لأن مشابهتهم لبني النضير من جهات متعددة، فهم جميعا يهود، وساكنون بالمدينة، وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ميثاق وحلف، واشتركوا في نقض العهد، ثم تحصنوا في حصونهم أثناء الحصار، ثم نزولهم على حكم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم استووا في العقوبة التي عاقبهم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الجلاء، وقد كان جلاء بني قينقاع بعد غزوة بدر في ذي القعدة من السنة الثانية من الهجرة[٤]، وجلاء بني النضير كان في ربيع الأول سنة أربع من الهجرة[٥].

و في جعل عقوبة بني قينقاع مشبها به، دليل على بلوغهم الغاية في الشر والكفر حيث صاروا أصلا يشبه به.

و التشبيه يتضمن التعيير ببني النضير؛ حيث لم يتعظوا بمن نزلت بهم عقوبة الله تعالى، وقد كانوا في زمن قريب من زمنهم.

---

(١) الكشاف ٣١/٧، ومفاتيح الغيب ٢٩٢/٢٩.

(٢) جامع البيان ٥٨/٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٤٨٥/٨.

(٤) الرحيق المختوم ٢٣٩.

(٥) الرحيق المختوم ٢٩٧.

قال الألوسي:"ويتضمن تعييرهم بأنهم كانت لهم في أهل بدر؛ أو بني قينقاع أسوة فبعد لم ينطمس آثار ما وقع بهم"[١].

و أما التشبيه الثاني، فهو مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و هو تشبيه تمثيلي؛ إذ وجه الشبه فيه مركب من إغواء المنافقين لبني النضير، ووعدهم بالنصرة، ثم خذلانهم وقت الجد والحرب، كما يغوي الشيطان الإنسان ويعده ويمنيه ثم يخذله بعد ذلك، ثم تؤول العاقبة إلى الخسارة وعدم الظفر بالمطلوب.

فقوله تعالى:(فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ) داخل في التشبيه، لأن عاقبة كل من الفريقين الخسارة والهلاك وعدم الانتفاع من الموعود بشيء.

قال ابن عاشور رحمه الله:"أي كان عاقبة الممثل بهما خسرانهما معاً. وكذلك تكون عاقبة الفريقين الممثلين أنهما خائبان فيما دبّرا وكادا للمسلمين"[٢].

---

(١) روح المعاني ٥٩/٢٨.

(٢) التحرير والتنوير ١١٠/١٣.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الحشر: ١٩

أركان التشبيه:

المشبه: الذين آمنوا.

المشبه به: الذين نسو الله.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم نسيان الله.

تفسير الآية:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعداد ليوم القيامة بتقوى الله والعمل الصالح، عقب على ذلك بأن نهاهم أن يشبهوا الغافلين الذين نسوا الله تعالى، وذلك بأن أشركوا معه غيرهم أو أسرفوا على أنفسهم باقتراف السيئات والكبائر، فعاقبهم الله تعالى ذنوبهم بأن أنساهم أنفسهم، وهو يحتمل معنيين: إما أن ينسيهم الله مصالح أنفسهم في الآخرة، فلا يوفقوا للعمل الصالح والاستعداد لها، وإما أن يريهم الله تعالى من أهوال القيامة ما ينسون معه أنفسهم(١).

وهذا الوجه الثاني لا يسلم له ، لأن هذا عام في جميع الخلائق يوم القيامة ، وليس خاصاً بمن نسي الله كما قال تعالى:{ وَتَرَى الناس سكارى } ، فهو عام في جميع الناس(٢).

ثم بين الله تعالى أن من كان هذا وصفه فإنه يكون من الفاسقين الخارجين عن طاعة الله تعالى.

---

(١) الكشاف ٣٢/٧، و مفاتيح الغيب ٢٩٢/٢٩.

(٢) أضواء البيان ٩٢/٨.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته ووجهه.

والغرض منه تحذير المؤمنين من مشابهة الذين نسوا الله تعالى، نسيانا أوقعهم في الكفر والفسق، وأغفلهم عن مصالح أنفسهم في الآخرة.

ولما كان نسيان العباد لله تعالى مراتب بين سبحانه بأن هذا النسيان قد بلغ منتهاه حتى أوقعهم في الكفر، وصار وصف الفسق الذي يعني الخروج عن الطاعة إلى المعصية وصفا ملازما لهم، ويؤكد ذلك جعل الذين نسوا الله تعالى مشبها به، تمشيا مع العادة في التشبيه من كون الوجه في المشبه به أعظم منه في المشبه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ الممتحنة: ١٣

أركان التشبيه:

المشبه: يأس الذين غضب الله عليهم من الآخرة.

المشبه به: يأس الكفار من أصحاب القبور

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: كمال اليأس.

تفسير الآية:

ذكر الواحدي في أسباب النزول: أنها نزلت في ناس من فقراء المسلمين يعملون عند اليهود ويواصلونهم ليصيبوا بذلك من ثمارهم، وربما أخبروا اليهودَ بأحوال المسلمين عن غفلة وقِلة حذر فنبههم الله إلى أن لا يتولوهم. فنهاهم الله عن ذلك لئلا يوافقوهم على شرهم وكفرهم فيحرموا خير الآخرة كما حرم أولئك.

و اختلف في الذين غضب الله عليهم في الآية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كفار قريش لأن كل كافر فعليه غضب من الله"[(١)].

وقال ابن زيد والحسن ومنذر بن سعيد: هم اليهود لأن غضب الله قد صار عرفاً لهم[(٢)].

قال ابن عاشور رحمه الله: "هم اليهود، فالمراد بهم غير المشركين إذ شُبه يأسهم من الآخرة بيأس الكفار، فتعين أن هؤلاء غير المشركين لئلا يكون من تشبيه الشيء بنفسه، وقد نعتهم الله بأنهم قوم غَضب الله عليهم، وهذه صفة تكرر في القرآن إلحاقها باليهود"[(٣)].

و قال الشيخ عطية محمد سالم رحمة الله في تكملته للأضواء: "ومما تقدم للشيخ رحمة الله تعالى عليه في مقدمة الأضواء: أنه إذا اختلف في تفسير آية، وكان أكثر استعمال القرآن لأحد

(١) المحرر الوجيز ٥٠٠/١٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥٠٠/١٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٦٩/١٣.

المعنيين كان مرجحاً على الآخر، وهو محقق هنا، كما قال الحسن، أصبح عرفاً عليهم... وعلى هذا فتكون خاصة في اليهود والمنافقين، والغرض من تخصيصها بهما وعودة ذكرهما بعد العموم المتقدم في عدوي وعدوكم، كما أسلفنا هو والله تعالى أعلم: لما نهى أولاً عن موالاة الأعداء وأمر بتقطيع الأواصر بين ذوي الأرحام، جاء بعدها ما يشيع الأمل بقوله:﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ الممتحنة: ٧. وعاديتم عامة باقية على عمومها. ولكن اليهود والمنافقين لم يدخلوا في مدلول عسى تلك، فنبه تعالى عليهم بخصوصهم لئلا يطمع المؤمنون أو ينتظروا شيئاً من ذلك، فأيأسهم من موالاتهم ومودتهم، كيأس اليهود والمنافقين في الآخرة، أي بعدم الإيمان الذي هو رابطة الرجاء المتقدم في عسى، وفعلاً كان كما أخبر الله، فقد جعل المودة من بعض المشركين ولم يجعلها من بعض المنافقين ولا اليهود، فهي إذا مؤسسة لمعنى جديد، وليست مؤكدة لما تقدم، والعلم عند الله تعالى(١).

و معنى قوله تعالى:(﴿ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾): أي من الثواب والنعيم في الآخرة، ويأس اليهود إما أن يراد به يأسهم من رحمة الله وكرامته في الآخرة لتيقنهم العذاب بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم مع يقينهم بصدق نبوته(٢).

وإما أن يراد به إعراضهم عن العمل للآخرة، فيكون اليأس مستعملا هنا بمعنى الإعراض(٣).

و يأس سائر الكفرة منها هو كفرهم بها وإنكارهم أن تكون هناك آخرة(٤)، أو يراد به إعراضهم عن التفكر في أمر الآخرة لشدة تكذيبهم بها مع وضوح أمرها(٥).

و قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"قد يئسوا من الآخرة، أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل"(٦)،فيكون اليأس على هذا عاما في اليهود والكفار.

---

(١) أضواء البيان ٨/١٦٧-١٦٨.
(٢) جامع البيان ٢٨/٩٣، والكشاف ٧/٤٧.
(٣) التحرير والتنوير ١٣/١٦٩.
(٤) المحرر الوجيز ١٥/٥٠٠.
(٥) التحرير والتنوير ١٣/١٦٩.
(٦) تفسير القرآن العظيم ٨/٣٥٠٨.

﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾: اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى على قولين:

الأول: أن المقصود بالكفار هم الأحياء، وقد يئسوا من قراباتهم الذين قد ماتوا وصاروا في القبور أن يرجعوا إليهم، أو يلتقوا بهم مرة أخرى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يعني من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل[١].

وقال الحسن: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات[٢].

وقال قتادة: كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا[٣].

القول الثاني: أن المقصود بالكفار هم الأموات الذين دخلوا في قبورهم وعاينوا العذاب وأيقنوا بالهلاك في الآخرة وقد يئسوا من رحمة الله وعفوه في الآخرة، وعلى هذا القول تكون (من) بيانية لأنها بينت المقصود من لفظة (الكفار) في الآية.

قال مجاهد: أصحاب القبور الذين في القبور قد يئسوا من الآخرة[٤].

و قال الكلبي: "كما يئس الكفار الذين قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار"[٥].

قال ابن زيد: "كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عاينوا من أمر الآخرة"[٦].

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على علم منهم بأنه لله نبيّ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى؛ صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم.

---

(١) جامع البيان ٢٨/٩٣.

(٢) جامع البيان ٢٨/٩٣.

(٣) جامع البيان ٢٨/٩٣.

(٤) جامع البيان ٢٨/٩٣.

(٥) جامع البيان ٢٨/٩٤.

(٦) جامع البيان ٢٨/٩٤.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأحياء قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون"(١).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

فإن قلنا بتخصيص اليهود والمنافقين بالذين غضب الله عليهم، فيكون الجامع بين الطرفين هو اليقين الجازم بعدم النفع في الآخرة، وانقطاع رجائهم من رحمة الله تعالى لتكذيبهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع علمهم بصدقه وصحة نبوته، وأن يقينهم هذا كيقين الكافر الحي بعدم رجوعه ميته إليه، أو بعثه، أو كيقين الكافر الميت الذي قد عاين العذاب وأيقن في الآخرة بالهلاك بانقطاع رجائه رحمة الله له في الآخرة.

قال الزمخشري:"(قَدْ يَئِسُوا) من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ) من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل: (مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) بيان للكفار، أي: كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة؛ لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم"(٢).

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"فشبه إعراض اليهود عن الآخرة بيأس الكفار من نعيم الآخرة، ووجه الشبه تحقق عدم الانتفاع بالآخرة"(٣).

و إن قلنا بأن الذين غضب الله عليهم هم عموم الكفرة وعلى رأسهم كفار قريش، فيكون الجامع هو التكذيب بالآخرة وإنكارها كما أن الكافر الحي ينكر رجوع ميته إليه، وبالتالي ترك العمل لها والإعراض عنها.

والغرض من تشبيههم بيأس الكفار من أصحاب القبور وصفهم بكمال اليأس من

(١) جامع البيان ٩٤/٢٨.

(٢) الكشاف ٤٧/٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٧٠/١٣.

الآخرة.[1]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾ الصف: ٤

أركان التشبيه:

المشبه: اصطفاف المجاهدين المقاتلين في سبيل الله.

المشبه به: البنيان المرصوص.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه:الثبات، والقوة، والانتظام.

تفسير الآية:

يبين الله جل جلاله في هذه الآية أنه يحب من عباده أن يجاهدوا في سبيله لإعلاء كلمته وإعزاز دينه، وبين سبحانه لهم كيف يصنعون فيه وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا.

قوله:(كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ) الرص: انضمام الأشياء بعضها إلى بعض.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بأحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فتسميه أهل مكة المرصوص[2].

وقال الطبري رحمه الله:"كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئًا،"[3].

يقال: رصصت البناء إذا لايمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة، وقال الليث: يقال: رصصت البناء إذا ضممته[4].

---

(١) روح المعاني ٨٢/٢٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٣١٣.

(٣) جامع البيان ٢٨/ ٩٦.

(٤) مفاتيح الغيب ٣١٢/٢٩-٣١٣.

قال الألوسي: ويراد به المحكم[١].

و قيل:(مَّرۡصُوصٌ): مبني بالرصاص.

قال الفراء: مرصوص بالرصاص[٢].

أثر التشبيه:

هذا التشبيه من التشبيه المرسل المفصل فقد ذكرت أداته ووجهه.

و وجه الشبه بينهما من جهتين حسية ومعنوية:

فالحسية: هي الاصطفاف والتراص والتساوي، فكما أن البنيان يكون متساوي الأجزاء، ومرصوصة حجارته بعضها بجانب بعض، فكذلك حال المجاهدين يكونون صفوفا متراصة بعضهم بجانب بعض، ومتراصين ليس فيهم متقدم ولا متأخر. وهي مناسبة لحال المجاهدين قبل بدأ المعركة ونشوب القتال، وهي الحال المناسبة للمقاتلين في جميع الجيوش.

قال الألوسي:"ثم إن القتال على هذه الهيئة اليوم من أصول العساكر المحمدية النظامية لا زالت منصورة مؤيدة بالتأييدات الربانية، وأنت تعلم أن للوسائل حكم المقاصد فما يتوصل به إلى تحصيل الاتصاف بذلك مما لا ينبغي أن يتكاسل في تحصيله" [٣]،

و لا مجال لإنكار هذا الوجه لأنه هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال[٤].

و عليه يحمل كلام المفسرين الذين قالوا بذلك.

قال الرازي: والمعنى يصفون أنفسهم عند القتال كأنهم بنيان مرصوص[٥].

---

(١) روح المعاني ٨٤/٢٨

(٢) مفاتيح الغيب ٣١٢/٢٩

(٣) روح المعاني ٨٤/٢٨

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٨٥٨

(٥) مفاتيح الغيب ٣١٢/٢٩

و قال أبو حيان: والظاهر تشبيه الذوات في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص(١).

أما الجهة المعنوية: فهي أنهم يكونون في حال اجتماع قلوبهم، واستواء نياتهم، ووحدة كلمتهم، وموالاة بعضهم لبعض، كالبنيان المرصوص في اجتماع لبناته، واعتماد بعضها على بعض حتى تبدوا كأنها قطعة واحدة، وهي مناسبة لحال المجاهدين منذ بدأ الاستعداد للقتال إلى نهاية المعركة؛ إذ لا يمكن أن يكونوا صفا واحدا مع الفرقة والاختلاف. وعليه يحمل كلام المفسرين الذين قالوا بوجه الشبه المعنوي لاستبعادهم أن يكونوا صفا واحدا متراصين والمعركة تتطلب منهم كرا وفرا.

قال الزمخشري: وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص(٢).

و نقل الرازي عن أبي إسحاق: ويجوز أن يكون على أن يستوي شأنهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة، وموالاة بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص(٣).

و قال ابن عاشور: والتشبيه في الثبات وعدم الانفلات وهو الذي اقتضاه التوبيخ السابق في قوله:(لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾)الصف(٤).

و يستفاد من التشبيه الأمر بالجد والثبات أثناء القتال فكما أن البنيان المرصوص ثابت لا يتحرك، فكذلك يجب على المجاهدين الجد والثبات.

قال ابن عطية رحمه الله: وإنما المقصد الجد في كل أوطان القتال وأحواله، وقصد بالذكر أشد الأحوال وهي الحالة التي تحوج إلى القتال صفا متراصاً(٥).

و قال أبو إسحاق: أعلم الله تعالى أنه يحب من يثبت في الجهاد ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص(٦).

و قال الرازي: وقيل: ضرب هذا المثل للثبات: يعني إذا اصطفوا ثبتوا كالبنيان المرصوص

---

(١) البحر المحيط ٢٦١/٨

(٢) الكشاف ٤٨/٧

(٣) مفاتيح الغيب ٣١٣/٢٩

(٤) التحرير والتنوير ١٧٦/١٣

(٥) المحرر الوجيز ٣٤٨/٦

(٦) مفاتيح الغيب ٣١٣/٢٩

الثابت المستقر[1].

و أداة التشبيه (كأن) تأتي في التشبيه المبالغ فيه والمتأكد؛ لتدل على أهمية المبالغة والاهتمام من قبل المجاهدين في سبيل الله تعالى بأن تكون صفوفهم وقلوبهم كالبنيان المرصوص.

و تأتي أداة التشبيه (كأن) كذلك لتدل على الاهتمام بالمشبه، وهو هنا المقاتلون في سبيل الله لتؤكد أن تحقيق هذا الأمر -وهو أن تكون صفوفهم كأنها بنيان مرصوص- يتوجه إليهم ويجب عليهم ليؤيدهم الله تعالى، ويتحقق لهم النصر، وأنهم إذا قصروا في ذلك أتاهم من الخذلان بقدر تقصيرهم، وإلا فإن الله تعالى لا يغالبه مغالب، ولا يعزه عزيز.

---

(1) مفاتيح الغيب ٣١٣/٢٩

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ الصف: ١٤

أركان التشبيه:

المشبه: نصرة المؤمنين لله ونبيه ودينه.

المشبه به: نصرة الحواريين لربهم ونبيهم ودينهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: النصرة وسرعة الاستجابة.

تفسير الآية:

أمر الله المؤمنين بنصر الدين، وهو نصر غير النصر الذي بالجهاد؛ لأن ذلك تقدم التحريض عليه في قوله: ﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾ الصف: ١١الآية. ووَعَدهم عليه بأن ينصرهم الله، فهذا النصر المأمور به هنا نصر دِين الله الذي آمنوا به، بأن يبثّوه ويَثْبُتوا على الأخذ به دون اكتراث بما يلاقونه من أذى من المشركين وأهلِ الكتاب... وهذا هو الذي شبه بنصر الحواريين دين الله الذي جاء به عيسى عليه السّلام، فإن عيسى لم يجاهد من عاندوه، ولا كان الحواريون ممن جاهدوا ولكنه صبر وصبروا، حتى أظهر الله دين النصرانية، وانتشر في الأرض، ثم دبّ إليه التغيير حتى جاء الإسلام فنسخه من أصله"[١].

و الحواريون، هم: أصفياء عيسى عليه السلام، وأوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلاً[٢].

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/١٩٨-١٩٩.

(٢) الكشاف ٧/٥٥.

قال الزمخشري:"فإن قلت: ما معنى قوله: (﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾)؟ قلت: يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين (نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ)، والذي يطابقه أن يكون المعنى: من جندي متوجهاً إلى نصرة الله، وإضافة (أنصاري) خلاف إضافة (أَنْصَارَ الله) فإنّ معنى (نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ): نحن الذين ينصرون الله. ومعنى (مَنْ أَنصَارِيٓ) من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله؛ ولا يصح أن يكون معناه: من ينصرني مع الله؛ لأنه لا يطابق الجواب"(١).

و قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"(مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ)؟ أي: معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ (قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ) -وهم أتباع عيسى عليه السلام-:(نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ) أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به، ومُوَازروك على ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاةً إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في أيام الحج: من رجل يُؤويني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي، حتى قيَّض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وَفَوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله: الأنصار، وصار ذلك علما عليهم، رضي الله عنهم، وأرضاهم"(٢).

ثم بين سبحانه وتعالى أن النصارى قد انقسموا بعد عيسى عليه السلام إلى طائفتين: طائفة آمنت به، وطائفة كفرت برسالته؛ وذلك بجعله هو الله أو إلها أو ابنا لله تعالى، فأيد سبحانه الطائفة المؤمنة على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين عليهم، فمعنى (ظَٰهِرِينَ) أنهم منصورون لأن عاقبة النصر كانت لهم فتمكنوا من الحكم في اليهود الكافرين بعيسى ومزقوهم كل ممزق(٣).

قال الإمام البقاعي رحمه الله:"والظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى: (جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) [آل عمران: ٥٥] وغيرها أن تأييد المؤمنين به كان بعد

---

(١) الكشاف ٥٥/٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٥١٨/٨.

(٣) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٣

رفعه بيسير، حين ظهر الحواريون وانبثوا في البلاد يدعون إلى الله بما آتاهم من الآيات، فاتبعهم الناس، فلما تمادى الزمان ومات الحواريون رضي الله عنهم افترق الناس ودب إليهم الفساد، فغلب أهل الباطل وضعف أهل الحق حتى كانوا عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم عدماً أو في حكم العدم"(١).

و قيل: إن التأييد كان ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وظهور الحجة على صحة قولهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:"فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، فأيدنا الذين آمنوا على عدّوهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين"(٢).

وإنما قال تعالى: (فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) و لم يقل: فأيدناهم لأن التأييد كان لمجموع المؤمنين بعيسى لا لكل فرد منهم إذ قد قتل من أتباعه خلق كثير ومُثِّل بهم وأُلْقوا إلى السباع في المشاهد العامة تفترسهم(٣).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه، وإليه الإشارة بقوله تعالى:(﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ).

و هو أيضا تشبيه تمثيلي، فالوجه فيه مركب من الأمر والاستجابة، أي كونوا عندما يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم على حال من الاستجابة والمبادرة إلى الامتثال كحال الحواريين عندما أمرهم عيسى عليه السلام بنصرة دين الله تعالى.

قال الزمخشري:"فإن قلت: ما وجه صحة التشبيه –وظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول

(١) نظم الدرر ٩/٤.

(٢) جامع البيان ٢٨/١٠٤-١٠٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/٢٠٣.

عيسى صلوات الله عليه: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾؟- قلت: التشبيه محمول على المعنى، وعليه يصح. والمراد: كونوا أنصار الله كما الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾"[١].

و قال ابن عاشور رحمه الله:"والتشبيه بدعوة عيسى ابن مريم للحواريين وجواب الحواريين تشبيهُ تمثيل، أي كونوا عند ما يدعوكم محمد صلى الله عليه وسلم إلى نصر الله كحالة قول عيسى ابن مريم للحواريين واستجابتهم له... فالتشبيه بمجموع الأمرين قول عيسى وجواب الحواريين لأن جواب الحواريين بمنزلة الكلام المفرع على دعوة عيسى"[٢].

و في جعل استجابة الحواريين لأمر عيسى عليه السلام بنصرة الله تعالى مشبها به، دليل على أنهم قد بلغوا الغاية في الاستجابة، فقد صدقوا في استجابتهم، ووفوا بوعدهم، وهذا يحمل على التأسي والاقتداء بهم، وفيه تثبيت لقلوب المؤمنين، حيث أن الحواريين قد صبروا فاصبروا كما صبروا.

قال ابن عاشور رحمه الله:"والتشبيه لقصد التنظير والتأسّي فقد صدق الحواريون وعدهم، وثبتوا على الدّين، و لم تزعزعهم الفتن والتعذيب"[٣].

---

(١) الكشاف ٥٥/٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/١٩٩-٢٠٠.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/٢٠٠.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾ الجمعة: ٥

أركان التشبيه:

المشبه: اليهود الذين حملوا التوراة فلم يحملوها.

المشبه به: الحمار الذي يحمل أسفار العلم والحكمة.

أداة التشبيه: الكاف وكلمة (مثل).

وجه الشبه: العناء بحمل ما فيه نفع وعدم الانتفاع به.

تفسير الآية:

هذه آية من الآيات الحكيمة في سورة الجمعة التي بدأها الله تعالى بتنزيه نفسه وتقديسها، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، ثم ذكر سبحانه منته على العرب الأميين بأنه أرسل فيهم رسولا، وبعث إليهم كتابا ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ثم بين سبحانه أن هذا من فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده لأنه سبحانه أهل الفضل وفضله عظيم لا يقارنه فضل.

بعد ذلك بين سبحانه أنه مَنّ على اليهود والنصارى بأن بعث إليهم التوراة التي كان فيها هدى ونور ورحمة، وأوجب عليهم فيها واجبات ونهاهم فيها عن جملة من المحرمات، ثم أمرهم بأن يحملوها، ومعنى يحملوها: يقوموا بطاعة الله تعالى فيما أمرهم به ونهاهم عنه.

(ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا) لم يعملوا بما فيها و لم يؤدُّوا حقها([1]).

و من جملة ما أمرهم الله تعالى به الإيمان بالرسول النبي الأمي الأمين، محمد بن عبد الله الذي يجدون صفته وصفة أمته، ومكان بعثته في كتبهم، ولكنهم لم يؤمنوا به، و لم يتبعوه، بل عادوه وآذوه، فلم يعملوا بالتوراة و لم يؤدوا حقها.

فضرب الله تعالى لهؤلاء مثلا بالحمار الذي يحمل أسفارا، فهو لا يعرف قيمة ما يحمل، ولا ينتفع به، بل ليس له من ذلك إلا الكد والتعب.

---

[1] معالم التنزيل ١١٤/٨.

(بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ): أي ساء حال القوم الذين كذبوا بكتاب الله فهم قد ضموا إلى جهلهم بمعاني التوراة تكذيباً بآيات الله وهي القرآن.

(وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما دام الظلم لهم وصفًا، والعناد لهم نعتًا ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس.

أثر التشبيه:

هذا من التشبيه المرسل المجمل فقد ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، وهو تشبيه تمثيلي: يشبه الله تعالى فيه اليهود الذين حملوا أمانة التوراة علما بها ثم عملا وتبليغا فلم يحملوا هذه الأمانة، بالحمار الذي يحمل أسفار العلم والحكمة وهو جاهل بها.

و خص بعض العلماء المشبه بأنهم اليهود الذين كانوا معاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، و لم يؤمنوا به.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"(ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ) هم بنو إسرائيل الأحبار المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم"(1).

و المشبه به في هذا التشبيه التمثيلي هو الصورة المركبة من الحمار الذي يحمل أسفار العلم والحكمة وكونه جاهل بهذا الحمل لايدري ما هو ولا يعرف قيمته. لأن التشبيه بالحمار ليس لمعنى يختص به وحده، أو معنى يختص بالمحمول وهو الأسفار، أو كونه لا يعلم ما الذي يحمله، بل من مجموع هذه الأوصاف كلها؛ لأنه لو اختل أحد هذه الأوصاف لما حصل للمثل هذه الدلالة العظيمة، فلو أن الحمار كان يحمل الماء أو العلف أو التبن أو غيرها وليس أسفار الحكمة فلا يصح التمثيل به لأنه ربما انتفع مما يحمل لو حصل له، ولكنه لو حمل أسفار الحكمة لم يحصل له به وجه انتفاع، فلو نشرت بين عينيه لما استفاد منها مع عظيم ما تحمله وتحويه من الفوائد، كما أن اليهود قد وصلوا إلى حال اليأس من حمل التوراة والعمل بموجبها، مع أنها بين أيديهم يقرؤونها ويحفظونها، ولعل هذا من أسباب نقل النبوة منهم إلى العرب.

---

(1) المحرر الوجيز ١٦/٩.

قال عبد القاهر الجرجاني:"الشبهُ منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودَعُ ثَمَر العقول، ثم لا يُحسّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرِّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدَّلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقُلُ عليه، ويكُدُّ جنبيه فهو كما ترَى مُقْتضَى أمورٍ مجموعةٍ، ونتيجةٌ لأشياءَ أُلِّفت وقُرن بعضها إلى بعض، بيانُ ذلك: أنه احتيج إلى أن يراعَى من الحمار فعلٌ مخصوص، وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً، وهو الأسفار التي فيها أماراتٌ تدلّ على العلوم، وأن يُثلَّثَ ذلك بجهل الحمار ما فيها، حتى يحصل الشبه المقصود، ثم إنه لا يحصلُ من كل واحدٍ من هذه الأمور على الانفراد، ولا يُتصوّر أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه، من غير أن يقف الأول على الثّاني، ويدخل الثاني في الأول، لأن الشَّبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضاً بحَمْلِ الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جَهْل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره فما لم تجعله كالخيط الممدود، ولم يُمزَج حتى يكون القياسُ قياسَ أشياءَ يُبالغ في مِزاجها حتى تَتَحد وتخرُجَ عن أن تُعرَف صُورةُ كلِّ واحد منها على الانفراد، بل تبطُل صُوَرها المفردةُ التي كانت قبل المِزاج، وتحدُث صورةٌ خاصة غير اللواتي عهِدتَ، وتحصُلُ مَذَاقَةٌ لو فرضتَ حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج، فرضتَ ما لا يكون لم يتمَّ المقصود، ولم تحصل النتيجة المطلوبةُ، وهي الذمُّ بالشقاء في شيء يتعلق به غرضٌ جليلٌ وفائدةٌ شريفةٌ، مع حِرمان ذلك الغرض وعدمِ الوصول إلى تلك الفائدة، واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة، من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سبباً إلى نَيْلِ شيء من تلك المنافع والنِّعم"([1]).

و كون الحامل لهذه الأسفار هو الحمار ليس غيره فيه دلالات بالغة، فالحمار رمز على البلادة والجهالة، وفيه من الذل والحقارة مالا يكون في الغير، والغرض من الكلام في هذا المقام تعيير القوم بذلك وتحقيرهم، فيكون تعيين الحمار أليق وأولى.

ثم إن الحمار عندما يقوم بهذا الحمل فهو إنما يستعمل فيما خلق له، ولا تلحقه مذمة بذلك، ولكن اليهود كلفوا وخلقوا لعبادة الله تعالى ومن أعظم هذه العبادة حمل التوراة والعمل بموجبها، ولكنهم لم يقوموا بذلك فحصلت لهم المذمة، فهم أسوأ حالا من الحمير.

---

[1] أسرار البلاغة ١/٣٧-٣٨.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فهم أسوأ حالا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهمَ له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٩. وقال هاهنا: (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)"[1].

فلهذه الأوجه التي أشرنا إليها ناسب أن يكون حال اليهود عند تخليهم عن القيام والعمل بما في التوراة كحال هذا الحمار الذي يحمل أسفار الحكمة والعلم وهو غير عالم بما يحمل أو منتفع به مع أن فيها النفع كله والهداية كلها.

ثم إن الله تعالى وصف هذا المثال الذي ضربه لليهود بأنه بئس المثل للتنفير من مشابهة حالهم وفيه تحذير لهذه الأمة، حتى لا يحذوا حذوهم أو يكونوا مثلهم.

قال الإمام الرازي:"وقال أهل المعاني: هذا المثل مثل من يفهم معاني القرآن و لم يعمل به، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية"[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:"فقاس سبحانه من حمله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك و لم يحمله إلا على ظهر قلب فقرأه به بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به و لم يؤد حقه و لم يرعه حق رعايته"[3].

[1] تفسير القرآن العظيم ٣٥٢٢/٨

[2] مفاتيح الغيب ٥/٣٠.

[3] إعلام الموقعين١٦١/١.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ المنافقون: ٤

أركان التشبيه:

المشبه: المنافقون.

المشبه به: الخشب المسندة.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: الخواء وعدم الانتفاع.

تفسير الآية:

يخاطب الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بصفات المنافقين الحسية والمعنوية، من جمال الهيئات والمناظر، وفصاحة الألسن وحسن المنطق، مع ما تنطوي عليه قلوبهم من الرعب والخوف الشديد، فيقول سبحانه:

(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ): لاستواء خلقها وحسن صورها، والظاهر أن المراد بضمير الجمع واحد معيّن أو عدد محدود إذ يبعد أن يكون جميع المنافقين أحاسن الصور[١].

(وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ): لجهارة أصواتهم، وحسن منطقهم، واللام في (لِقَوْلِهِمْ ۖ) لتضمين معنى: تُصغِ أيها السامع، إذ ليس في الإِخبار بالسماع للقول فائدة لولا أنه ضمن معنى الإِصغاء لوعي كلامهم[٢].

و قد كان المنافقون يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم.

(كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ): أي: كأنهم خشب خاوية لا فائدة فيها فهي مسندة إلى الجدار،

(١) التحرير والتنوير ٢٣٩/١٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣٩/١٣.

لأن ما كان من الخشب نافعا وذا فائدة فإنه يكون في سقف أو جدار أو غيره مما ينتفع به.

و قيل مسندة: أي قطعت من مغارسها وقشرت وأسندت إلى الجدر لئلا يفسدها التراب، فهي بيض تلوح تعجب ناظرها(١).

ويجوز أن يراد بالخشب المسندة: الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان؛ شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم(٢).

(يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف، يعتقدون، لجبنهم، أنه نازل بهم، لأنهم في غاية الضعف والخَور والهلع والجزع والجبن(٣).

و قيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعَطَبهم(٤).

(هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) يحذر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام عداوة المنافقين فيقول: هم العدو الكاملون في العداوة؛ فإن ألسنتهم إذا لَقُوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فكأنهم عين لأعدائكم عليكم بل هم كذلك، فاحذرهم ولا تأمنهم ولا تغتر بظاهرهم.

(قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) هذا دعاء من الله تعالى عليهم باللعن والعذاب، كيف يعدلون عن الحق ويصرفون عنه، تعجباً من جهلهم وضلالتهم.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و المشبه به وهو الخشب مقيدة بوصفها مسندة، وهذا الوصف يدل على خلوها من أي منفعة فهي ليست قائمة على أصولها، أو مثمرة، أو مرفوعة في السقوف أو غيرها من الأماكن التي ينتفع بها من الخشب، وكذلك حال المنافقين، فهم يشبهون الخشب المسندة لأنهم لا خير

---

(١) نظم الدرر ٢٢/٩.

(٢) الكشاف ٦٤/٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٥٣٠/٨.

(٤) جامع البيان ١٢٢/٢٨، وانظر الكشاف ٦٤/٧.

عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول[١].

قال الإمام البغوي رحمه الله:"أراد أنها ليست بأشجار تثمر، ولكنها خشب مسندة إلى حائط"[٢].

و قال الزمخشري:"شبهوا في استنادهم – وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير – بالخشب المسندة إلى الحائط؛ ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع"[٣].

والخشب لا تعقل ولا تفهم، فكذلك أهل النفاق كأنهم في ترك التفهم، والاستبصار بمنزلة الخشب[٤].

و أيضا وصف الاستناد يدل على أن المنافقين لا يقومون بأنفسهم وإنما يعتمدون على الآخرين، وهو معلوم من أحوالهم فكلما أرادوا نشر فتنة أو الكيد بالمسلمين لم يظهروا أنفسهم بأنهم يقولون ذلك أو يؤيدونه، ولكنهم يجعلون من أتباعهم أو من جهلة المسلمين الذين ينقلون الكلام دون تعقل أو تفهم لما يراد منه نقلة لذلك الكلام وناشرين لتلك الفتنة.

و أشار الإمام الرازي إلى جملة من أوجه الشبه بين المنافقين الخشب المسندة فقال رحمه الله:" لم شبههم بالخشب المسندة لا بغيره من الأشياء المنتفع بها؟ نقول: لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد في الغير:

الأولى: قال في الكشاف: شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير، بالخشب المسندة إلى الحائط، ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بها الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحائط شبهوا بها في حسن صورهم، وقلة جداوهم.

الثانية: الخشب المسندة في الأصل كانت غصناً طرياً يصلح لأن يكون من الأشياء المنتفع

---

(١) جامع البيان ١٢٢/٢٨.

(٢) معالم التنزيل ١٣٠/٨.

(٣) الكشاف ٦٤/٧.

(٤) مفاتيح الغيب ١٥/٣٠.

بها، ثم تصير غليظة يابسة، والكافر والمنافق كذلك كان في الأصل صالحاً لكذا وكذا، ثم يخرج عن تلك الصلاحية.

الثالثة: الكفرة من جنس الإنس حطب، كما قال تعالى:(حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)الأنبياء: ٩٨. والخشب المسندة حطب أيضاً.

الرابعة: أن الخشب المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة، والآخر إلى جهة أخرى، والمنافقون كذلك، لأن المنافق أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة أهل الكفر، والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام"[1].

و على قول من قال: إنها قطعت من مغارسها لئلا يأكلها التراب فهي بيضاء تلوح تعجب الناظر إليها، فيكون ذلك بأن المنافقين في حسن هيئتهم وفصاحة ألسنتهم كذلك يعجبون الناظر إليهم السامع لقولهم.

وميل الخشب المسندة وعدم استوائها قائمة يدل على ميل قلوب المنافقين إلى الباطل، وعدم استقامتها على الحق.

و مع كل هذه الأوجه السابقة فإن هناك وجه حسي، حيث كان المنافقون يستندون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أن هذه الخشب مسندة.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦/٣٠.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم: ١٠ – ١٢

في هذه الآيات ثلاث تشبيهات، أما الأول فأركانه:

المشبه: الذين كفروا.

المشبه به: امرأة نوح وامرأة لوط.

أداة التشبيه: كلمة مثلا.

وجه الشبه: أن مخالطة الكافرين للمسلمين ومعاشرهم لهم، لا تجدي عنهم شيئًا ولا تنفعهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلا في قلوبهم.

وأما التشبيه الثاني فأركانه:

المشبه: الذين آمنوا.

المشبه به: امرأة فرعون.

أداة التشبيه: كلمة مثلا.

وجه الشبه: أن مخالطة الكافرين عند الحاجة إليهم لا تضر المؤمن شيئا، وأن المؤمن لا يدفعه دافع عن رضوان الله تعالى ولو كان في أسوأ منشأ.

وأما التشبيه الثالث فأركانه:

المشبه: الذين آمنوا.

المشبه به: مريم ابنت عمران.

أداة التشبيه: كلمة مثلا.

وجه الشبه: شدة التقوى.

تفسير الآيات:

يضرب الله المثل للذين كفروا بامرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، في أنهما كانتا تحت عبدين صالحين، وهما نوح ولوط عليهما السلام، ولم يذكر الله تعالى نبوتهما، وإنما وصفهما بالصلاح، تعظيما لشأن الصلاح، وثناء عليهما به، ولتكون الموعظة سارية إلى نساء المسلمين في معاملتهن أزواجهن فإن وصف النبوة قد انتهى بالنسبة للأمة الإسلامية، مع ما في ذلك من تهويل الأذى لعباد الله الصالحين وعناية ربهم بهم ومدافعته عنهم[1].

وقوله سبحانه:(فخانتاهما) أجمع المفسرون هنا على أن الخيانة ليست زوجية[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها؛ وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطًا أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء[3].

وقال: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدِّين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف، فإذا نزل بلوط ضيفٌ بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف[4].

فلم يغن نوح ولوط عليهما السلام عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهما أزواجهما شيئًا، ولم ينفعهما أن كانتا أزواجا لأنبياء[5].

وقيل لهما:(ادخلا النار مع الداخلين): وعبر بالماضي لتحقق الوقوع[6].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨/٣٧٥.

(٢) أضواء البيان ٨/٣٨١.

(٣) جامع البيان ٢٨/١٩١

(٤) زاد المسير ٦/٤٩.

(٥) جامع البيان ٢٨/١٩١

(٦) روح المعاني ٢٨/١٦٣.

وزيادة (مع الداخلين} لإفادة مساواتهما في العذاب لغيرهما من الكفرة الخونة. وذلك تأييس لهما من أن ينتفعا بشيء من حظوة زوجيهما[١].

وهذه الآية تقطع طمع مَن ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره.

وهذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عَصيا ربَّهما لم يُغْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما شيئاً"[٢].

قال الزمخشري:"وفي طيّ هذين التمثيلين تعريض بأميّ المؤمنين المذكورتين في أوّل السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشد ، لما في التمثيل من ذكر الكفر ... وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين ، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله ، فإنّ ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين"[٣].

وقال ابن عطية رحمه الله:"وفي هذا بُعد لأن النص أنه للكفار يبعد هذا"[٤].

ويدفع استبعاده أن دلالة التعريض لا تنافي اللفظ الصريح[٥].

ثم ضرب الله تعالى للذين آمنوا مثلا بامرأة فرعون، لما آمنت بموسى عليه السلام واتبعته، عذبها فرعون أشد العذاب فلم يصدها ذلك عن الإيمان، وقد نشأت في قصر فرعون الذي هو رأس الكفر فلم يكن سوء المكان الذي عاشت فيه أن يمنعها من معرفة الحق واتباعه، و لم يكن كفر زوجها ليضرها، أو أن تحمل من وزره شيئا.

قال قتادة:" قوله:(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ) وكان أعتى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فو الله ما ضرّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه"[٦].

وقوله تعالى:(إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) أخبر سبحانه عن دعائها لما

---

(١) التحرير والتنوير ٣٧٦/٢٨

(٢) زاد المسير ٤٩/٦.

(٣) الكشاف ٩٧/٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥٦/١٦.

(٥) التحرير و التنوير ٣٧٤/٢٨

(٦) جامع البيان ١٩٢/٢٨

عذبها فرعون بأنها اختارت جوار الله تعالى قبل أي شيء فقالت:(عندك) أولا ثم قالت:(في الجنة) فاختارت الجوار قبل الدار[١].

وقوله سبحانه:(ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) أي: استعاذت بالله تعالى من تعذيب فرعون، وتعذيب الظالمين التابعين له، والمعنى يتضمن: أن نجني من أن أعمل بمثل عمل فرعون وعمل الظالمين من الكفر بك ومعاداة أوليائك[٢].

ثم ضرب الله تعالى المثل للمؤمنين بمريم ابنة عمران في تقواها التي حملتها على إحصان فرجها، وتصديقها بكلمات ربها وكتبه، ودوامها على طاعة الله تعالى.

وقوله سبحانه:(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} أي: حفظته وصانته. والإحصان: هو العفاف والحرمة، { فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا } أي: بواسطة المَلَك، وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سَوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى، عليه السلام[٣].

وقوله سبحانه:(وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) أي: آمنت بعيسى، وهو كلمة الله، (وَكُتُبِهِ):أي التوراة والإنجيل، (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أي: وكانت من القوم المطيعين.

أثر التشبيه:

هذه تشبيهات مرسلة مجملة؛ حيث ذكرت أداتها و لم يذكر وجهها.

وبتأمل التشبيه الأول نجد أن وجه الشبه في المشبه به أقوى، إذ لا توجد منازل للإيمان التقوى أعظم من منازل الأنبياء، ولكن مع ذلك لم يكن ذلك ليغني شيئا عن من لم يؤمن ويستفد من وجوده في هذه البيئة الكريمة.

وكون بيوت الأنبياء أعظم إيمانا وتقوى يستفاد من كون منزلتهم عند الله تعالى أعلى إذ لا توجد منزلة أعلى من منازل الأنبياء، ولأنهم أقوم الناس بحق الله تعالى وطاعته

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٥٧٣/٨

(٢) جامع البيان ١٩٢/٢٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٥٧٤/٨

والدعوة إليه، فلا يظن بهم التقصير في دعوة أزواجهم، وبيان الحق لهن بكل وسيلة ممكنة.

وكون الأنبياء في أعلى المنازل عند الله تعالى لم ينفع من لم يؤمن من أقرب أقربائهم، فما الظن بمن هو دونهم في المنزلة والرتبة من سائر الخلق.

قال ابن عاشور:"ومناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط دون غيرهما من قرابة الأنبياء نحو أبي إبراهيم وابن نوح عليهما السلام لأن ذكر هاتين المرأتين لم يتقدم. وقد تقدم ذكر أبي إبراهيم وابن نوح، لتكون في ذكرهما فائدة مستجدة، وليكون في ذكرهما عقب ما سبق من تمالُؤِ أُمَّي المؤمنين على زوجهما صلى الله عليه وسلم تعريض لطيف بالتحذير من خاطر الاعتزاز بغناء الصلة الشريفة عنهما في الوفاء بحق ما يجب من الإِخلاص للنبي صلى الله عليه وسلم ليكون الشَّبه في التمثيل أقوى"(١).

وأما التشبيه الثاني فوجه الشبه في المشبه به أيضا أقوى بكثير، فكفر فرعون أشد الكفر، وقد تجرأ على مقام الربوبية فادعى أنه الرب وأنه الإله كما اخبر الله تعالى عنه: (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى)، وقال سبحانه:(قال يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري).

وقد حارب نبي الله موسى أشد محاربة، ووجد من أعوانه من يدفعه لذلك ويعينه عليه.

ومع كل هذا الطغيان والاستكبار عن طاعة الله تعالى والإيمان بموسى عليه السلام، فقد دخل الإيمان إلى جوف بيته، وآمن أقرب الناس إليه، فلم يكن سوء المنشأ، وخراب البيئة ليمنع أحدا من معرفة الحق والتعرف عليه، والإيمان به، وكذلك لم يكن هؤلاء المؤمنين ليحملوا من أوزار أولئك شيئا رغم عظم كفرهم وشركهم.

أما التشبيه الثالث فوجه الشبه في المشبه به قوي، والغرض منه تحريض المؤمنين والمؤمنات إلى الوصول إلى هذه المستويات الإيمانية العالية من العفة الكاملة، والقنوت الدائم على طاعة الله تعالى، والإيمان والتصديق بما جاء عن الله وفي كتب الله تعالى، ولا شك أن هذا الإيمان ليحمل أصحابه إلى الاجتهاد في طاعة الله تعالى، وشغل جميع أوقاتهم، واستغلال كل أعمارهم فيها، وكذلك يحملهم على البعد عن معصية الله تعالى، والنفرة

---

(١) التحرير والتنوير ٣٧٤/٢٨.

منها وعدم مجالسة أهلها، ومن حقق ذلك فهو من القانتين.

ومن لطائف التقييد بقوله تعالى:{للذين كفروا} في التشبيه الأول الدلالة على أن المقصد الأصلي هو ضرب المثل للذين كفروا وذلك من الاحتراس من أن تحمل التمثيل على المشابهة من جميع الوجوه والاحتراس بكثرة التشبيهات[1].

(١) التحرير والتنوير ٣٧٤/٢٨

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ القلم: ١٧

أركان التشبيه:

المشبه: ابتلاء الله تعالى لقريش.

المشبه به: ابتلاء الله تعالى لأصحاب الجنة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الابتلاء بالنعمة، مع الزهو والاغترار بها، والإعراض عن الشكر.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه أنه ابتلى المشركين من أهل مكة بمثل ما ابتلى به أصحاب الجنة، وهي البستان.

و أصحاب الجنة: هم قوم كانت لأبيهم هذه الجنة، فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي، وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل، وما في أسفل الأكداس، وما أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت، فكان يجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال، فحلفوا ليصرمنها، أي: يحصدوا ثمرها في الصباح خفية عن المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم قد أخطؤوا الطريق، ثم تبينوها فعلموا أن الله تعالى أصابهم فيها، فتابوا حينئذ وأنابوا وكانوا مؤمنين[١].

و ابتلاء قريش كان ببلوى بالخير فإن الله أمدّهم بنعمة الأمن، ونعمة الرزق، وجعل الرزق يأتيهم من كل جهة، ويسر لهم سبل التجارة في الآفاق بنعمة الإيلاف برحلة الشتاء ورحلة الصيف، ثم أكمل لهم النعمة بإرسال رسول منهم ليكمل لهم صلاح أحوالهم ويهديهم إلى ما فيه النعيم الدائم فلما دعاهم إلى الله وذكرهم بنعمه أعرضوا وطَغوا ولم يتوجهوا إلى النظر في النعم السالفة، فعاقبهم الله تعالى بسنين كسني يوسف استجابة لدعاء رسوله عليه الصلاة والسلام[٢].

---

(١) الكشاف ١٢٠/٧.

(٢) التحرير والتنوير ٧٩/١٤.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"هذا مَثَل ضَرَبه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهو بَعْثُهُ محمدًا صلى الله عليه وسلم إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة"(١).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و هو تشبيه تمثيلي، لأن وجه الشبه صورة مركبة من سعة النعمة على العبد، وأمره بشكر ربه على هذه النعمة، ثم الإعراض من العبد وعدم امتثال ما أمره الله تعالى فيها، وهو واضح من حال الطرفين.

قال ابن عاشور رحمه الله:"ووجه المشابهة بين حالهم وحال أصحاب الجنّة المذكورة هنا هو الإِعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته"(٢).

ثم إن المشابهة مستمرة فيما بعد وقوع البلاء، وذلك بأن التوبة معروضة على قريش، كما كانت معروضة على أصحاب الجنة فقبلوها ثم صاروا بعد ذلك صالحين.

قال ابن عطية رحمه الله:"فشبه الله تعالى قريشاً بهم، في أنهم امتحنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهداه كما امتحن أولئك بفعل أبيهم وبأوامر شرعهم، فكما حل بأولئك العقاب في جنتهم كذلك يحل بهؤلاء في جميع دنياهم وفي حياتهم، ثم التوبة معرضة لمن بقي منهم كما تاب أولئك"(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/٣٥٩٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/٧٩.

(٣) المحرر الوجيز ١٦/٨١.

قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ القلم: ٢٠

أركان التشبيه:

المشبه: جنة أصحاب الجنة.

المشبه به: الصريم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الهلاك والفناء.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن أناس كانت لهم جنة وبستان، فلما جاء وقت الحصاد والصرام، أجمعوا على أن يمنعوا المساكين من دخولها، وعلى منع حق الله فيها، فأنزل الله عقوبته على هذه الجنة في وقت غفلة أصحابها، فأصبحت كالصريم.

و اختلف في معنى الصريم على أقوال متعددة:

قيل: عني به الليل الأسود، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما([1])، وروي عنه أيضا أن المراد: الرماد الأسود([2]).

قال ابن عاشور رحمه الله:"وقيل الصريم: الرماد الأسود بلغة جذيمة أو خزيمة"([3]).

و قيل: أرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم([4]).

قال سعيد بن جُبير: هي أرض باليمن يقال لها ضَرْوان من صنعاء على ستة أميال([5]).

و قيل: المقصود: الصبح، وفيه يقول الأخفش:"كالصبح الصريم من الليل"([6]).

قال البغوي:"وأصل الصريم: المصروم. مثل: قتيل ومقتول، وكل شيء قطع فهو صريم؛

---

[1] – جامع البيان ٣٨/٢٩.

[2] – معالم التنزيل ١٩٥/٨.

[3] – التحرير والتنوير ٨٢/١٤.

[4] – جامع البيان ٣٩/٢٩.

[5] – جامع البيان ٣٩/٢٩.

[6] – معالم التنزيل ١٩٥/٨.

فالليل صريم، والصبح صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه"([1]).

و قيل: المعنى أنها صارت كالمصرومة لهلاك ثمرها([2]).

وقال الحسن رحمه الله:"أي صرم منها الخير فليس فيها شيء"([3]).

و قيل: رملة باليمن لا تنبت شيئا، ذكره الإمام ابن عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما([4]).

و ربما كان المقصود من هذه الرملة هي الأرض التي تدعى الصريم أو ضروان التي سبقت الإشارة إليها.

و قيل: الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعه الصرائم. ذكره الإمام الرازي([5]).

وإيثار كلمة الصريم هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية([6]).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يصرح بوجهه ليعم كل وجه يصلح للمشابهة بين الطرفين في إرادة الهلاك والفناء.

فعلى القول بأن الصريم هو الليل المظلم، أو الرماد الأسود، يكون المعنى بأن جنة أولئك قد احترقت واسودت، حتى صارت سوداء كالليل المظلم وكالرماد، ويجوز أن تشبه بالرماد الأسود في خفته وتطايره مع الريح وتفرق أجزائه كنتيجة حتمية للاحتراق، فكل شيء احترق احتراقا تاما يكون هذا مصيره، ويجوز أن تشبه به في عدم الفائدة منه والانتفاع به، لأن الرماد لا ينتفع به.

و على القول بأنه الصبح أو النهار، فالمعنى أن هذه الجنة قد ذهبت خضرتها ويبست

---

[1] – معالم التنزيل ١٩٥/٨.

[2] – الكشاف ٢٠/٧.

[3] – معالم التنزيل ١٩٥/٨.

[4] – المحرر الوجيز ٨١/١٦.

[5] – مفاتيح الغيب ٨٨/٣٠

[6] – التحرير والتنوير ٨٢/١٤.

وابيضت حتى صارت بيضاء كالنهار، أو أنها ابيضت وفرغت و لم يعد فيها شيء، من قولهم بيضت الإناء إذا أفرغته.

قال الزمخشري: وقيل: النهار أي: يبست وذهبت خضرتها. أو لم يبق شيء فيها، من قولهم: بيض الإناء، إذا فرغه.

و على القول بأنها أصبحت كالمصرومة لهلاك الثمر، فهذه مشابهة مقيدة، إذ إن الجنة بعد طواف طائف العذاب عليها، هلكت وذهب ثمرها فأشبهت المصرومة في ذهاب الثمر، وليس في كل وجه، لأن الأشجار التي يقع عليها الهلاك لا تشبه الأشجار التي صرم ثمرها إلا من هذه الجهة.

و إلى هذا المعنى أشار جمع من المفسرين:

يقول الرازي:"وههنا احتمالات –أي في معنى الصريم- أحدها: أنها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر، وإن حصل الاختلاف في أمور أخر، فإن الأشجار إذا احترقت فإنها لا تشبه الأشجار التي قطعت ثمارها، إلا أن هذا الاختلاف وإن حصل من هذا الوجه، لكن المشابهة في هلاك الثمر حاصلة"([1]).

و أما على القول بأنها أصبحت كأرض اليمن المسماة بالصريم أو الضروان، أو الرملة المعروفة باليمن أو القطعة من الرمل، فالجامع بينهما على هذا المعنى عدم الانتفاع منها بعد الهلاك حيث لا ثمر فيها ولا خير، كما أن هذه الرمال لا تنبت شيئا ولا ينتفع منها بشيء.

---

[1] - مفاتيح الغيب ٣٠/٨٨.

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾ القلم: ٣٣

أركان التشبيه:

المشبه: العذاب النازل على قريش بسبب تكذيبها وكفرها.

المشبه به: عذاب الله تعالى الواقع على أصحاب الجنة، حين عصوا الله تعالى.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الابتلاء بالنعمة مع الزهو والاغترار والإعراض عن الشكر، ويجوز أن يكون الحرمان من الأمر الذي خرجوا لطلبه وكانوا يظنون القدرة عليه والتمكن منه.

وقيل المشبه: عذاب الدنيا الواقع على أهل المعاصي والكفر، وعليه يكون المشبه به شاملا للعذاب الواقع على أصحاب الجنة وعلى قريش.

تفسير الآية:

بعد أن ذكر الله تعالى ما وقع على أصحاب الجنة من العذاب الواقع بجنتهم وتحولها من جنة فيها من أنواع الزروع والثمار إلى الصريم، توعد الله تعالى قريشا بأنها إذا استمرت في غيها وكفرها بأنه سينزل عليها العذاب كما نزل بأصحاب الجنة.

فقوله تعالى (كَذَٰلِكَ) إشارة إلى الطائف الذي نزل على جنة أصحاب الجنة، و(ٱلۡعَذَابُۖ) هو ما توعد الله به قريشا[1].

و قيل الإشارة شاملة للعذاب الذي نزل على جنة أصحاب الجنة وعلى قريش، وأن المقصود بـ(ٱلۡعَذَابُۖ) هو العذاب الذي ينزله في الدنيا على أصحاب المعاصي والآثام، والكفر بالله تعالى[2].

(وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ) أي: العذاب الذي ينتظر قريشا وكل من كفر بالله تعالى في الآخرة أشد وأنكى وأكثر إيلاما من عذاب الدنيا.

(لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ) أي: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر

---

(١) المحرر الوجيز ٨٤/١٦.

(٢) جامع البيان ٤٥/٢٩، والكشاف ١٢١/٧.

من عقوبته لهم في الدنيا، لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون[١].

و المقصود بذلك هم المشركون فإنهم كانوا ينكرون عذاب الآخرة فهددوا بعذاب الدنيا، ولا يصح أن يقصد به أصحاب الجنة لأنهم كانوا مؤمنين بعذاب الآخرة وشدته[٢].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و المشابهة بين الطرفين تقع من جهتين:

الأولى: سعة النعمة التي أولاهم الله إياها ثم الإعراض عن الشكر والقيام بما أوجب الله تعالى فيها، وهذا حاصل لكل الطرفين فأصحاب الجنة كانت لهم جنة عظيمة فأعرضوا عن أداء حق الله تعالى فيها فنزل العذاب بها، وكذلك قريش فقد أنعم الله تعالى عليهم بأن طعمهم من الجوع وآمنهم من الخوف، ومكن لهم الحرم يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من عنده سبحانه، وأرسل إليهم رسولا كريما فأعرضوا عن الإجابة و لم يشكروا المنعم عليهم، فأزال الله عنهم النعمة.

قال الإمام الطاهر رحمه الله:"والمماثلةُ بين المشبه والمشبه به مماثلة في النوع وإلاّ فإن ما تُوعدوا به من القحط أشد مما أصاب أصحاب الجنة وأطولُ"[٣].

و لذلك قال بعض المفسرين بأن العذاب الواقع على قريش هو الجدب الذي أصابهم سبع سنين، حتى رأوا الدخان وأكلوا الجلود[٤].

الثانية: الحرمان من الأمر الذي خرجوا لطلبه مع ظنهم القدرة عليه والتمكن منه، وهو ظاهر من حال الطرفين؛ فأصحاب الجنة خرجوا مصبحين لحصاد جنتهم فوجودها قد تحولت إلى الصريم، وأما حصول هذا لقريش فقد كان يوم بدر حين خرجوا كما وصفهم الله (بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ)الأنفال:٤٧. يتبجحون بالقوة، قد بلغت بهم الغطرسة مبلغها، فلم يحصل لهم ما

(١) جامع البيان ٤٥/٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٩٠/١٤.

(٣) التحرير والتنوير ٩٠/١٤.

(٤) المحرر الوجيز ٨٤/١٦.

أرادوا، بل رجعوا صاغرين منهزمين[١].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر، وحلفوا ليقتلنَّ محمداً وأصحابه، وليرجعوا إلى أهل مكة، حتى يطوفوا بالبيت، ويشربوا الخمر، وتضرب القيانُ على رؤوسهم، فأخلف الله ظنهم، وقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرم، فخابوا[٢].

قال أبو حيان:"وتشبيه بلاء قريش ببلاء أصحاب الجنة هو أن أصحاب الجنة عزموا على الانتفاع بثمرها وحرمان المساكين، فقلب الله تعالى عليهم وحرمهم. وأن قريشاً حين خرجوا إلى بدر حلفوا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإذا فعلوا ذلك رجعوا إلى مكة وطافوا بالكعبة وشربوا الخمور، فقلب الله عليهم بأن قتلوا وأسروا"[٣].

---

(١) مفاتيح الغيب ٩١/٣٠.

(٢) اللباب ٢٩٤/١٩.

(٣) البحر المحيط ٣١٣/٨-٣١٤.

قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ القلم: ٣٥

أركان التشبيه:

المشبه: المسلمون.

المشبه به: المجرمون.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم استواء الجزاء والعطاء في الآخرة، وهو وجه شبه منفي بالاستفهام الإنكاري.

تفسير الآية:

لما أخبر سبحانه أن للمتقين في الآخرة جنات النعيم، نفى سبحانه أن يسوي في كرامته وفضله بين المسلمين الذين خضعوا له بالطاعة، وذلوا له بإفراده بالعبودية، وخشعوا لأمريه ونهيه، وبين المجرمين الذين اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي وأعظمها الشرك، وخالفوا أمره ونهيه. وذلك بأسلوب الاستفهام الإنكاري.

وإنكار جعل الفريقين متشابهين كناية عن إعطاء المسلمين جزاء الخير في الآخرة وحرمان المشركين منه... وعبر عنهم بطريق الإظهار دون ضمير الخطاب لما في وصف المجرمين من المقابلة ليكون في الوصفين إيماء إلى سبب نفي المماثلة بين الفريقين(١).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته، و لم يذكر وجهه.

و هو مفيد لنفي التشابه بين المسلمين والمجرمين، وقد سبق بيان هذا الاختلاف بين الفريقين في الحياة وعند الموت وفي الآخرة بما أغنى عن إعادته هنا.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/٩٢.

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ القلم: ٤٨

أركان التشبيه:

المشبه: النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المشبه به: نبي الله يونس بن متى عليه السلام حين خرج من قريته مغاضبا.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: العجلة، والغضب ثم ترك التبليغ.

تفسير الآية:

يأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر لحكمه سبحانه القدري والشرعي، وهو شامل للصبر على تأخر تنزل النصر عليه، وإمهال قومه على تكذيبهم له، وما يعتريه من مصائب وأحوال، وعلى ما أوجب الله تعالى عليه من تبليغ الرسالة والقيام بما افترضه من أعمال.

ثم يذكره سبحانه وتعالى بقصة صاحب الحوت وهو نبي الله يونس بن متى عليه السلام، تذكيرا يراد منه التحذير[1]، وينهاه أن يكون حاله في الضجر من تكذيب قومه وإعراضهم عن اتباع الحق، والعجلة في نزول النصر عليه ونزول العذاب على قومه كحال يونس عليه السلام، حين خرج من قومه مغاضبا قبل أن يبلغهم رسالة ربه، حتى لا يصير حاله عليه الصلاة والسلام كحال نبي الله يونس عليه السلام فينادي كما نادى في بطن الحوت وهو مكظوم ممتلئ هما وغما.

قال قتادة:"لا تكن مثله في العجلة والغضب"[2].

وقال أبو حيان رحمه الله:"وليس النهي منصباً على الذوات، إنما المعنى: لا يكن حالك مثل حاله"[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/١٠٤.

(٢) جامع البيان ٢٩/٥٤.

(٣) البحر المحيط ٨/٣١٧.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و التشبيه هنا وارد للنهي عن المشابهة، كما يدل عليه النهي في الآية، ومن فوائده بيان عدم وقوع العجلة والغضب من النبي صلى الله عليه وسلم المؤدية إلى التقصير في تبليغ الرسالة؛ لأنه لو وقع منه ذلك لابتلي كما ابتلي يونس عليه السلام.

و من فوائده تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك وإن لم يقع منه.

و من فوائده تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا الإعراض والصدود الذي تجده من قومك قد وقع مثله للأنبياء السابقين فلا يحملنك هذا على الضجر واستعجال النصر ونزول العذاب.

قال تعـــالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ الحاقة: ٧

أركان التشبيه:

المشبه: قوم عاد بعد وقوع العذاب.

المشبه به: أعجاز النخل الخاوية.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: الخواء من الحياة والبلى وعدم النفع.

تفسير الآية:

ينبئنا الله تعالى أن سخر على قوم عاد الريح الصرصر العاتية الباردة شديدة الهبوب، التي لها صوت صرير من شدة هبوبها، وكذلك القوية التي أذن لها الله تعالى دون الخزان فخرجت عن سيطرتهم وأنها عتت على قوم عاد فلم يقدروا على الاستتار منها ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء في حفرة بأنه سبحانه سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما.

روى الطبري عن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنه لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي مَلك؛ فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخُزَّان، فطغى الماء على الجبال فخرج، فذلك قول الله:(إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ الحاقة:١١) ولم ينزل من الريح شيء إلا بكيل على يدي مَلك إلا يوم عاد، فإنه أذن لها دون الخزّان، فخرجت، وذلك قول الله:(بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ الحاقة: ٦): عتت على الخزّان([1]).

و الحسوم: قيل أنها المتتابعات بحيث لم تتوقف الريح أو تهدأ خلال هذه المدة([2]).

و قيل: تحسم كلّ شيء، فلا تبقي منهم أحدا.أو أنها مشائيم تحسم كل خير. وأصلها من الحسم وهو القطع.

[1] جامع البيان ٦١/٢٩

[2] جامع البيان ٦١/٢٩.

و قيل: إنها مصدر كالشكور والكفور، فيكون المعنى: سخرها عليهم لتحسمهم أي تستأصلهم.

قال الزمخشري:"الحسوم: لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود. أو مصدراً كالشكور والكفور؛ فإن كان جمعاً فمعنى قوله:(حُسُومًا) نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح: ماخفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء، مرة بعد أخرى حتى ينحسم.

وإن كان مصدراً: فإما أن ينتصب بفعله مضمراً، أي: تحسم حسوماً، بمعنى تستأصل استئصالاً. أو يكون صفة كقولك: ذات حسوم. أو يكون مفعولاً له، أي: سخرها للاستئصال..."([1]).

و لا يمتنع إرادة جميع هذه المعاني إذ ليس بينها تعارض.

قال ابن عاشور رحمه:"وكل هذه المعاني صالح لأن يذكر مع هذه الأيام، فإيثار هذا اللفظ من تمام بلاغة القرآن وإعجازه"([2]).

قوله تعالى:(فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ): أي ترى قوم عاد في ديارهم، لأن معنى الكلام يقتضيها وإن لم يلفظ بها([3])، أو في مهب الريح الصرصر، أو في هذه الليالي السبع والأيام الثمانية وهو أظهرها لأنه أقرب ومصرح به([4]).

و الصرعى: جمع صريع أي موتى.

(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ): ساقطت قد خلت أعجازها بلى وفسادا([5]).

و قال البقاعي:"كأنهم أصول نخل قد شاخت وهرمت فهي في غاية العجز والهرم خاوية متآكلة الأجواف ساقطة"([6]).

---

[1] الكشاف ٧/١٣٠- ١٣١.

[2] التحرير والتنوير ١٤/١١٧.

[3] المحرر الوجيز ١٦/٩٤.

[4] البحر المحيط ٨/٣٢١.

[5] المحرر الوجيز ١٦/٩٤.

[6] نظم الدرر ٩/١٤٦.

و قد يراد بالخاوية الخالية، كما قال ابن عاشور رحمه الله:"والخاوي: الخالي مما كان مالئاً له وحالاً فيه"([1]).

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه، والألفاظ المستخدمة فيه تنبئ عن شدته وهوله مثل: (صرصر، عاتية، حسوما، صرعى) وغيرها، وهو مناسب لعظم الجرم الواقع منهم من الكفر والشرك بالله تعالى، وقولهم: من أشد منا قوة، عتوا واستكبارا واغترارا بما أعطاهم الله تعالى من القوة والشدة في الأجسام كما قال سبحانه:(إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الفجر: ٧) وقال جل وعلا عن هود عليه السلام:(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً الأعراف:٦٩) فناسب أن يكون هلاكهم على قدر طغيانهم.

و في تشبيههم بالنخل الخاوية تناسب جيد من جهات متعددة، فالنخل الخاوية ميتة لا فائدة منها ترجى، وكذلك هم بعد وقوع العذاب عليهم كانوا جثثا هامدة مصروعة ميتة لا روح فيها ولا فائدة ترجى منها.

و النخل الخاوية أيضا مجتثة من أصولها قد خوى موضعها منها وكذلك هم قد خوت ديارهم منهم كما قال الله تعالى في سورة الأحقاف:(فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ الأحقاف:٢٥).

قال ابن عاشور رحمه الله:"وهذا الوصف لتشويه المشبه به بتشويه مكانه... فإن لهذا الوصف وقعاً في التنفير من حالتهم ليناسب الموعظة والتحذير من الوقوع في مثل أسبابها"([2]).

و النخل الخاوية كذلك قد سقطت فروعها وأغصانها فبقيت بدون رؤوس، وكذلك كان حالهم بعد إهلاكهم إذ كانت الريح تحملهم ثم تلقي بهم فتدك رؤوسهم ورقابهم وتفصلها عن أجسادهم فيصيرون جثثا بدون رؤوس.

قال ابن كثير رحمه الله:"جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتًا على أم رأسه،

---

[1] التحرير والتنوير ١١٨/١٤.

[2] التحرير والتنوير ١١٩/١٤.

فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان"([1]).

و يجوز أن يكون وجه التشبيه في أن أجسادهم قد خلت من أرواحهم، وأن الريح كانت تدخل أجوافهم فتخرج ما فيها من الحشو من أدبارهم فيصيرون جثثا فرغا، كما أن أعجاز النخل الخاوية قد خلى جوفها بسبب البلى والفساد.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) أي كأنهم أصول نخل خالية الأجواف لا شيء فيها... ويحتمل أن تكون الخالية بمعنى البالية لأنها إذا بليت خلت أجوافها، فشبهوا بعد أن أهلكوا بالنخيل البالية"([2]).

[1] تفسير القرآن العظيم ٣٦٠٧/٨.

[2] مفاتيح الغيب ١٠٥/٣٠.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ المعارج:٨-٩

أركان التشبيه:

في هذه الآية تشبيهان، أما التشبيه الأول فتحليله:

المشبه: السماء.

المشبه به: المهل.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: السواد والتلون.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: الجبال.

المشبه به: العهن.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: تنوع ألوان الجبال، وتخلخل أجزائها.

تفسير الآيات:

يخبرنا الله عز شأنه عن حال السماء يوم القيامة وأنها تكوّر شمسها وقمرها، وتنكدر وتتناثر نجومها وأفلاكها، وأنه يعتريها تلون بسبب هذه الأهوال فيكون حالها كالمهل، وهو: دردي الزيت وعكره، وقيل ذائب الفضة والذهب والنحاس.

و قد تقدم بيانه.

كما يخبرنا سبحانه عن حال الجبال في ذلك اليوم وأنها تكون كالعهن، وهو الصوف من غير تقييد، أو المصبوغ ألوانا.

قال البغوي:"كالصوف المصبوغ. ولا يقال:"عهن"إلا للمصبوغ"([1]).

قال الراغب:"و تخصيص العهن لما فيه من اللون"([2]).

---

[1] معالم التنزيل ٢٢١/٨.

[2] مفردات القرآن الكريم ٥٩٢.

وقال الحسن:"كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف"([1]).

والمعنى:"أن الجبال تلين بعد الشدة، وتتفرق بعد الاجتماع"([2]).

وما دلت عليه هذه الآية من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق، والرمل المتهايل يشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن،... وأصل العهن أخص من مطلق الصوف لأنه الصوف المصبوغ خاصة.

قال الشيخ السعدي:"فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ أليس حقيقا أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟"([3]).

أثر التشبيه:

هذان التشبيهان كغالب تشبيهات القرآن: مجملان مرسلان لذكر الأداة وترك الوجه.

و يفيدنا التشبيه الأول باسوداد السماء كاسوداد دردي الزيت وعكره، وهو الذي يكون في آخره؛ وذلك بتكوير الشمس والقمر وانكدار النجوم والأفلاك وذهاب ضوئها.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:"فهي لسوادها وانكدار أنوارها تشبه ذلك"([4]).

و كذلك السماء تشبه المهل في التلون، فإن المعادن من ذهب وفضة ونحاس إذا أذيبت فإنها تتلون، وكذلك حال السماء يوم القيامة كما في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرحمن: ٣٧.

عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله:(يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ) كالفضة المذابة في تلوّنها([5]).

[1] معالم التنزيل ٨/ ٢٢١.

[2] اللباب ٣٥٩/١٩.

[3] تيسير الكريم الرحمن ٨٨٦.

[4] المحرر الوجيز ١٠٩/١٦.

[5] الكشاف ١٤١/٧.

و قال قتادة: قوله:(يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ): تتحوّل يومئذ لونا آخر إلى الحمرة([1]).

و قال الإمام ابن عطية: والمهل أيضاً: ما أذيب من فضة ونحوها قاله ابن مسعود وغيره: فيجيء له ألوان وتميع مختلط، والسماء أيضاً -للأهوال التي تدركها- تصير مثل ذلك([2]).

أما التشبيه الثاني وهو تشبيه الجبال بالعهن، فلأنها ألوان كما أن العهن هو الصوف المصبوغ ألوانا كما قيده بذلك الراغب وغيره، فمن الجبال حمر وبيض وسود كما قال الله تبارك وتقدس:﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ ﴾ فاطر:٢٧.

و أيضا تشبه الجبال العهن من جهة الخفة والتخلخل فهي تسير على هيئتها وألوانها لكونها خفيفة كالعهن بسبب تسيير الرياح لها، ثم تصير بعد ذلك هباء منبثا.

قال مقاتل:"فإذا رأيت الجبل قلت: هذا جبل: فإذا مسسته لم تر شيئاً، وذلك من شِدَّة الهَوْل"([3]).

و إلى هذين الوجهين أشار جمع من المفسرين:

قال الزمخشري:(كَٱلۡعِهۡنِ):كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بست وطيرت في الجو: أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح"([4]).

و قال الإمام ابن عطية رحمه الله: فيجيء التشبيه من وجهين في الألوان وفي الانتفاش"([5]).

و قال الإمام ابن عاشور:"و وجه الشبه بالعهن تفرق الأجزاء كما جاءت في آية القارعة ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴾ القارعة: ٥) فإيثار العهن بالذكر لإكمال المشابهة لأن الجبال ذات ألوان... وإنما تكون السماء والجبال بهاته الحالة حين ينحلّ تماسك

---

[1] جامع البيان ٨٧/٢٩.

[2] المحرر الوجيز ١٠٩/١٦.

[3] زاد المسير ٢١٤/٩.

[4] الكشاف ١٤١/٧.

[5] المحرر الوجيز ٤١٧/٦.

أجزائهما عند انقراض هذا العالم والمصيرِ إلى عالم الآخرة"([1]).

[1] التحرير والتنوير ١٤/١٥٩.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المعارج:٤٣-٤٤

أركان التشبيه:

المشبه: إسراع الكافرين عند خروجهم من قبورهم نحو صوت الداعي.

المشبه به: إسراع المشركين نحو أصنامهم للعبادة، أو إسراع المتسابقين نحو علم منصوب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإسراع.

تفسير الآية:

يخبر سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم يوم القيامة إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى، لموقف الحساب يقومون من القبور، وينهضون سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون.

و نصبت كلمة (يَوْمَ) على البدلية من قوله تعالى:﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المعارج:٤٢.

و الأجداث بمعنى القبور، واحدها جدث بفتحتين.

و سراعا مصدر بمعنى الإسراع.

و المقصود بالنصب: العلم، أو ما نصب للعبادة.

و (يُوفِضُونَ) من الإيفاض وهو العدو بسرعة، أي: يسرعون.

قال الحسن رحمه الله:"يبتدرون إلى نصبهم أيهم يستلمه أوّل"(١).

و المعنى يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم(٢).

ولما كان إيفاضهم إلى الأنصاب على حال السرور، أخبر أن هذا على خلاف ذلك، وأن ذكر النصب وتصوير حالة الإتيان إليه ما كان إلا تهكماً بهم فقال: (خَٰشِعَةً) أي منكسرة متواضعة لما حل بها من الذل والصغار، وألحقها علامة التأنيث زيادة في هذا المعنى ومبالغة

---

(١) جامع البيان ١٠٧/٢٩.

(٢) الكشاف ١٤٤/٧.

فيه[1].

و (تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ) معناه: تظهر على وجوههم وتبدوا على قسماهم الذلة والهوان في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة

و خص الخشوع بالأبصار لأن الذلة والقلق إذا ملكا القلوب، واستوليا على الأفئدة، تخشع منه الأبصار، وتسكن منه الحركات، وتنقطع به الأصوات.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وإنما وصف جلّ ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع"[2].

و قال الزمخشري:"وخشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخزال، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما"[3].

(ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ) وهو يوم القيامة، كانوا يخوفون به ويحذرون منه فلم يستجيبوا، بل أنكروا، والآن قد عاينوه على الحقيقة.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه.

وهو يصور لنا حالة المشركين عند قيامهم من قبورهم واتجاههم نحو صوت الداعي فهم يسيرون إليه مسرعين، كحال سرعتهم عندما يتسابقون إلى علم منصوب إليه تنتهي غاية سباقهم، أو كحال سرعتهم عندما يرون أصنامهم التي نصبوها للعبادة، فيستبقون إليها أيهم يبتدرها أول.

و كلتا الحالتين تستدعي أن يسرع الإنسان بأقصى قوته ليحصل له السبق.

و لما كانت هذه السرعة مقرونة بالسرور والرغبة في الدنيا، قيد أن سرعتهم يوم القيامة إلى الداعي ليست مصحوبة بالسرور والغبطة بل مصحوبة بالخشوع والذلة لأنه قد بدا لهم

---

(١) نظم الدرر ١٨١/٩.

(٢) جامع البيان ١٠٥/٢٧.

(٣) الكشاف ٤٥٠/٦.

مصيرهم البائس، واتضحت عاقبتهم المخزية، فيستولي ذلك على قلوبهم ويعلوا على وجوههم.

قال الطاهر ابن عاشور:"شُبه إسراعهم يوم القيامة إلى الحشر بإسراعهم في الدنيا إلى الأصنام لزيارتها لأن لهذا الإِسراع اختصاصاً بهم، وفي هذا التشبيه إدماج لتفظيع حالهم في عبادة الأصنام وإيماء إلى أن إسراعهم يوم القيامة إسراع دَعٍّ، ودفع جزاء على إسراعهم للأصنام"[1].

---

(١) التحرير والتنوير ١٨٣/١٤.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ﴾ الجن: ٧

أركان التشبيه:

المشبه: ظن الجن.

المشبه به: ظن الإنس.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الاشتراك في الظن الخاطئ

و هذا التحليل على اعتبار أن الآية إخبار من الله تعالى بحال الجن، أما على اعتبار أن الآية من كلام الجن فيكون التحليل على النحو التالي:

المشبه: ظن الإنس.

المشبه به: ظن الجن.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الاشتراك في الظن الخاطئ

تفسير الآية:

هذه الآية يحتمل أن تكون من كلام الجن، ويحتمل أن تكون من جملة الوحي، فإن كانت من كلام الجن كان التقدير: وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن، وإن كانا من الوحي كان التقدير: وأن الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش.

و حمله على كلام الجن أولى لأن ما قبله وما بعده كلام الجن فإلقاء كلام أجنبي عن كلام الجن في البين غير لائق[(١)].

و قوله تعالى: (أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا) يحتمل معنيين أحدهما: بعث الحشر من القبور والآخر بعث آدمي رسولاً[(٢)].

قال أبو حيان رحمه الله: "الظاهر أنه بعثة الرسالة إلى الخلق، وهو أنسب لما تقدم من الآي

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥٧/٣٠.

(٢) المحرر الوجيز ١٣٥/١٦.

ولما تأخر[1].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و فيه دلالة على أن من الجن من يكون منكرا للرسالات والبعث فيكــون مــن جملــة الكافرين.

و أيا ما كان المشبه به فإنه يدل على عظم الإنكار الواقع من الإنس أو الجن حيث صار أصلا يشبه به، وما اعتبر هذا الإنكار عظيما إلا لما فيه من نسبة الظلم إلى الله تعالى كما قد سبق تقريره في آيات إثبات البعث، ولما فيه من إنكار الدلائل الشرعية والعقلية التي تدل عليه.

(١) البحر المحيط ٣٤٨/٨.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾ المزمل: ١٥

أركان التشبيه:

المشبه: إرسال رسول إلى قريش.

المشبه به: إرسال رسول إلى فرعون.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإرسال.

تفسير الآية:

بعد أن خوف الله تعالى قريشا بوعيد الآخرة، خوفهم سبحانه أيضا بوعيد الدنيا فقال: (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ).

و الخطاب عام للعالمين، لكن المواجهون به قريش[(١)] تهديدا لهم وتخويفا[(٢)].

و معنى (شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ): أي شاهدا يوم القيامة بإيمان من آمن منكم، وكفر من كفر.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"(رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ) بإجابة من أجاب منكم دعوتي، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة، يوم تلقوني في القيامة"[(٣)].

و قيل: الشهادة هنا بمعنى البيان، أي: مبينا وموضحا لكم الحق والهدى من الباطل والضلال.

قال الإمام الرازي:"وهذا بعيد لأن الله تعالى قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا)البقرة:١٤٣ أي عدولاً خياراً (لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ) البقرة:١٤٣ فبين أنه يكون شاهداً عليهم في المستقبل، ولأن حمله على الشهادة في الآخرة حقيقة، وحمله على البيان مجاز والحقيقة أولى"[(٤)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٦٤٨/٨.

(٢) زاد المسير ٣٩٤/٨.

(٣) جامع البيان ١٦٣/٢٩.

(٤) مفاتيح الغيب ١٨٣/٣٠.

ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان مبينا للحق من الباطل والهدى من الضلال، إذ البيان هو الغرض من الإرسال، والتصريح بالشهادة فيه مزيد خصوصية للرسول عليه الصلاة والسلام، ولا يمتنع أن تكون هذه الخصوصية شهادته على أمته يوم القيامة بإيمان المؤمن، وكفر الكافر، خاصة الذين عاصروه وماتوا على الكفر في حياته عليه الصلاة والسلام، كما أنه شهيد على صدق المسلمين في شهادتهم على الأمم بأن رسلهم أبلغوا إليهم رسالات ربّهم.

وقوله تعالى: (كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا) وهو موسى عليه السلام، و لم يصرح الله تعالى به في الآية إما لعدم دخله في التشبيه أو لأنه معلوم غني عن البيان[١]، أو لأن مناط التهديد والتنظير ليس شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو صفة الإِرسال[٢].

واختار لهم مثلا بفرعون لأنهم كان عندهم علم بما جرى له من الغرق والهلاك[٣].

قال الإمام الطاهر رحمه الله:"واختير لهم ضرب المثل بفرعون مع موسى عليه السلام، لأن الجامع بين حال أهل مكة وحال أهل مصر في سبب الإِعراض عن دعوة الرسول هو مجموع ما هم عليه من عبادة غير الله، وما يملأ نفوسهم من التكبر والتعاظم على الرسول المبعوث إليهم بزعمهم أن مثلهم لا يطيع مِثله كما حكى الله تعالى عنهم"[٤].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ حيث ذكرت أداته ووجهه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (أَرۡسَلۡنَآ).

و المشابهة واقعة في الإرسال؛ ولأجل ذلك لم يصرح باسم الرسول الذي أرسل إلى فرعون لعدم تعلق التشبيه به.

قال الإمام الطاهر رحمه الله:"وتنكير (رَسُولٗا) المرسَل إلى فرعون لأن الاعتبار بالإِرسال لا

---

(١) روح المعاني ١٠٨/٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧٣/١٤.

(٣) البحر المحيط ٣٦٤/٨.

(٤) التحرير والتنوير ٢٧٣/١٤.

بشخص المرسل إذ التشبيه تعلق بالإرسال في قوله: (كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ) إذ تقديره كإرسالنا إلى فرعون رسولاً، وتفريع ﴿ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ المزمل: ١٦ إيماء إلى أن ذلك هو الغرض من هذا الخبر وهو التهديد بأن يحلّ بالمخاطبين لَمَّا عصوا الرسول صلى الله عليه وسلم مِثلُ ما حلّ بفرعون"[١].

(١) التحرير والتنوير ٢٧٣/١٤.

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾ المدثر: ٣١

أركان التشبيه:

المشبه: ضلال المشركين وهداية المؤمنين حين علموا بعدد ملائكة سقر.

المشبه به: ضلال من شاء الله ضلاله، وهداية من شاء الله هدايته.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: خلق الله تعالى لأسباب الضلال والهداية.

تفسير الآية:

لما أخبر الله سبحانه وتعالى أن عدد الملائكة الذين على سقر تسعة عشر، تعجب المشركون من ذلك فقالوا: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر.

قال الطبري:"وإنما جعل الله الخبر عن عدّة خزنة جهنم فتنة للذين كفروا، لتكذيبهم بذلك، وقول بعضهم لأصحابه: أنا أكفيكموهم"[(١)].

فأخبر الله تعالى أنهم ملائكة، فلا طاقة لأحد بهم؛ لقوتهم وعظم خلقهم.

ثم أخبر سبحانه أنه إنما جعل عدتهم بهذا العدد فتنة للذين كفروا بسبب تكذيبهم، واستقلالهم لهم، واستهزائهم بذلك، واستبعادهم تولى تسعة عشر لتعذيب أكثر الثقلين.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"هذا العدد إنما صار سبباً لفتنة الكفار من وجهين الأول: أن الكفار يستهزئون، يقولون: لِمَ لَمْ يكونوا عشرين؟ وما المقتضى لتخصيص هذا العدد بالوجود؟ الثاني: أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر خلق العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام القيامة؟ وأما أهل الإيمان فلا يلتفتون إلى

(١) جامع البيان ١٩١/٢٩.

هذين السؤالين"[١].

و أيضا جعل الله عدتهم على هذه العدة ليستيقن أهل الكتاب أنك رسول الله تعالى، وأن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى؛ لأن هذا الخبر جاء موافقا لما في كتبهم، التي لا علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بها، و لم يكن له اطلاع عليها، وأيضا يزداد الذين آمنوا إيمانا؛ لأنهم مصدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما يخبرهم به عن الله تعالى من الوحي المنزل. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم[٢].

و أيضا في زيادة اليقين وتأكيده قال:(وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ)، ونفي الريب بعد ذكر اليقين للتأكيد لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك. كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر، ولأن فيه تعريضاً بحال من عداهم، كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر[٣].

(وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ) من التكذيب أو الشك، لأن أهل مكة لم يكن فيهم منافقون، ولكن كان بعضهم مكذبا، وبعضهم شاكا.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله:"هو سوء النية في القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشرك مثل الأخنس بن شَرِيق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض المنافقون لأن المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكية[٤].

و قيل: إن ذكر الذين في قلوبهم مرض إخبار بما سيكون في المستقبل من ظهور المنافقين بعد الهجرة كسائر المغيبات[٥].

و قولهم: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟ مرادهم إنكاره من أصله، وأنه ليس من عند الله، وأنه

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠٤/٣٠.

(٢) جامع البيان ١٩١/٢٩.

(٣) الكشاف ١٨٣/٧.

(٤) التحرير والتنوير ٣١٧/١٤.

(٥) الكشاف ١٨٣/٧.

لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص[١].

فأجابهم الله تعالى بأنه كما ضل من ضل بسبب عدة الملائكة، واهتدى من اهتدى كذلك يضل سبحانه بحكمته وعدله من شاء ضلالته، ويهدي بفضله ورحمته من شاء هدايته.

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) أي: ما يعلم جنده وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص، وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة (إِلَّا هُوَ) ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو: وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو، فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها[٢].

وقال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر؟[٣].

وقال عطاء: يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى: إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم إلا الله عز وجل[٤].

ثم رجع سبحانه إلى الإخبار عن النار فقال:(وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ): أي: سقر إنما جعلها الله تعالى تذكرة لمن أراد أن يتعظ ويتذكر.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

والغرض منه –و الله جل وعلا أعلم- تقريبُ المعنى المعقول وهو تصرف الله تعالى بخلق أسباب الأحوال العارضة للبشر، إلى المعنى المحسوس المعروف في واقعة الحال، تعليماً للمسلمين

---

(١) الكشاف ١٨٣/٧.

(٢) الكشاف ١٨٣/٧.

(٣) معالم التنزيل ٢٧١/٨

(٤) معالم التنزيل ٢٧١/٨.

وتنبيهاً للنّظر في تحصيل ما ينفع نفوسهم(١).

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/٤٢٠.

قوله تعالى:(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾)المدثر

أركان التشبيه:

المشبه: إعراض المشركين الكفرة ونفرة قلوبهم عن سماع المواعظ والتذكير بها.

المشبه به: الحمر الوحشية عندما ينفرها القسورة سواء كان الأسد أو القناص.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: شدة النفور.

تفسير الآية:

يقول سبحانه: يا نبينا ورسولنا مال هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والجزاء عن التذكرة التي يذكرون بها في آيات هذه السورة وغيرها معرضين إنه أمر عجيب!

أي شيء يجعلهم يعرضون عنها هاربين منها فارين، حتى كأنهم في نفارهم عن هذه المواعظ حمر وحشية.

(مُّسْتَنفِرَةٌ) قرئت بفتح الفاء وكسرها. فمن قرأ بفتح الفاء أراد: مذعورة، استنفرت فنفرت. ومن قرأ بكسر الفاء أراد: نافرة.

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُمُرٌ مستنفَرة. وناس من العرب يكسرون الفاء. والفتح أكثر في كلام العرب[١].

(فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ): اختلف في معنى القسورة:

فقيل: الأسد. قاله أبو هريرة وابن عباس -في رواية-عنه وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن[٢].

و قيل: القناص.قاله سعيد بن جبير. وهي رواية عطية عن ابن عباس[٣].

و قيل: جماعة الرماة. وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول الجمهور[٤].

---

(١) زاد المسير ٤١٢/٨

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٦٦٣/٨

(٣) معالم التنزيل ٢٧٤/٨

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٣٦٦٣

و قال مجاهد وقتادة والضحاك:"القسورة": الرماة، لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس[١].

و قيل: لغط الناس وأصواتهم. قاله ابن عباس[٢].

و قيل: ظلمة الليل. قال عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة[٣].

و قيل: هم رجال أقوياء وكل شديد عند العرب فهو قسور وقسورة. قاله: زيد بن أسلم[٤].

و قيل: حبال الصيادين. رواه عكرمة عن ابن عباس[٥].

و المعنى أنها نفرت من كل ما يخيفها سواء كان الأسد أو الرماة أو القناصين، أو غير ذلك مما قيل.

قال الألوسي: وأياً ما كان فقد شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر وحشية جدت في نفارها مما أفزعها[٦].

أثر التشبيه:

يشبه الله تعالى المشركين في حال إعراضهم عن سماع التذكرة ونفرة قلوبهم من تلقي الموعظة التي يبينها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحمر الوحشية حال نفورها مما يفزعها من أسد أو رام أو غير ذلك، وفي تشبيههم بالحمر مذمة وتهجين لحالهم وشهادة عليهم بالبلادة والجهل.

قال الزمخشري: وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بيّن، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة: ٥، وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل[٧].

---

(١) معالم التنزيل ٨/٢٧٤

(٢) جامع البيان ٢٩/ ٢٠٢

(٣) معالم التنزيل ٨/ ٢٧٤

(٤) معالم التنزيل ٨/٢٧٤

(٥) معالم التنزيل ٨/٢٧٤

(٦) روح المعاني ٢٩/ ١٣٤

(٧) الكشاف ٧ / ١٨٦

وقال ابن عطية رحمه الله: إثبات لجهالتهم لأن الحمر من جاهل الحيوان جداً[1].

و شبه نفورهم وإعراضهم عن الحق بنفور الحمر الوحشية لأنه أمر معــروف عنــدهم ومشاهد وقد اشتهر في أشعارهم تشبيههم الإبل الخفيفة السريعة مدحا لها بالحمر الوحشية، وكذلك لأنهم يعلمون أنه لا شيء أشد نفورا من حمر الوحش إذا أحست بما يريبها.

قال الزمخشري: ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رأبهــا رائــب؛ ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدّة سيرها بالحمر، وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص[2].

و قال ابن حيان: ولا شيء أشدّ نفاراً من حمر الوحش، ولذلك شبهت بها العرب الإبل في سرعة سيرها وخفتها[3].

و سبب هذه المذمة في تشبيههم بالحمر أنهم يفرون مما فيه صلاحهم ورشادهم ونجاتهم.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا من بديع التمثيل فإن القوم من جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله كالحمر فهي لا تعقل شيئا فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عمــا يهلكها ويعقرها[4].

قال البقاعي: وذلك من أعجب العجب، لأن طبع الإنسان إذا حذر من شيء حذره أشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع في طريقه فإنه يبذل جهده في الحيدة عنه والحذر منه وإن كان المخبر كاذباً، فكيف يعرضون عن هذا المحذور الأعظم والمخبر أصــدق الصــادقين، فإعراضهم هذا دليل على اختلال عقولهم واختبال فهومهم، وزاد ذلك عجباً شدة نفارهم[5].
نفارهم[5].

و قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: إنه أمر عجيب أي شيء يجعلهم يعرضون عنها

---

(1) المحرر الوجيز ١٦/ ١٦٧

(2) الكشاف ١٨٦/٧

(3) البحر المحيط ٨ / ٣٨١

(4) إعلام الموقعين ١/ ١٦٠

(5) نظم الدرر ٢٥٣/٩

هاربين منها فارين (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ) وحشية (مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) أي فرت هاربة أشد الهرب من أسد من أسود الصحراء الطاغية، إن فرارهم من هذه الدعوة وإعراضهم عنها ليس عن قصور في أدلتها وضعف في حجتها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى كتاباً من الله يأمره فيه بالإيمان واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو العناد والمكابرة وصاحبهما غير مستعد للإيمان بحال من الأحوال[1].

و يقول سيد قطب: ومشهد حمر الوحش وهي مستنفرة تفر في كل اتجاه، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه، مشهد يعرفه العرب، وهو مشهد عنيف الحركة، مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون! حين يخافون! فكيف إذا كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذي يتحولون به من آدميين إلى حمر، لا لأنهم خائفون مهددون بل لأن مذكراً يذكرهم بربهم وبمصيرهم، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف الزري المهين، وذلك المصير العصيب الأليم؟![2].

و يزيد التشبيه قوة وبلاغة تقييد المشبه به وهي الحمر الوحشية بأنها (مُّسْتَنفِرَةٌ) وهو يتضمن معنى زائدا فيه بيان للمبالغة في النفرة عن الحق وشدة الإعراض.

قال الزمخشري:"والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه"[3].

قال ابن عاشور: والسين والتاء في (مُّسْتَنفِرَةٌ) للمبالغة في الوصف مثل: استكمل واستجاب واستعجب واستسخر واستخرج واستنبط، أي نافرة نفاراً قوياً فهي تعدو بأقصى سرعة العدو[4].

و قال الألوسي:" والأحسن أن استفعل للمبالغة كأن الحمر لشدة العدو تطلب النفار من نفسها، والمعنى مشبهين بحمر نافرة جداً"[5].

و فيه أيضا معنى أن بعضهم يحث بعضا على هذا الإعراض والنفور عن الحق فلا يكتفى

---

(1) أيسر التفاسير ٤/ ٣٣٦

(2) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٧

(3) الكشاف ١٨٦/٧

(4) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٣٠

(5) روح المعاني ٢٩/ ١٣٤

أحدهم بإعراضه حتى يكون صادا عن الحق وداعيا إلى الضلال والعياذ بالله.

قال ابن القيم رحمه الله: وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وحضه على النفور فإن في الاستفعال من الطلب قدرا زائدا على الفعل المجرد فكأنها تواصت بالنفور وتواطأت عليه(١).

و لما كان سبب نفور الحمر هو خوفها مما يرهبها فإنه نفور ممزوج برعب وهلع، وكذلك المشركون فإنهم وإن أعرضوا إلا أن إعراضهم ممزوج بخوف ورعب مما تضمنه قوارع القرآن لما استقر في نفوسهم من صدق النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. وحوادث كثيرة في السيرة تصدق هذا منها ما رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حضرتهم ـــ أي قريش ـــ وقد اجتمعوا في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد، ويقول: انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا(٢).

و كذلك لما كانت غزوة أحد نادى أبي بن خلف: أين محمد لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه. فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منها انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة،فطعنه فيها طعنة تدأدأ ـــ تدحرج ـــ منها عن فرسه مرارا، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير، فاحتقن الدم قال: قتلني والله محمد. قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة:

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ١٦٠

(٢) الرحيق المختوم ٩٩ـــ ١٠٠.

أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون به إلى مكة. وفي رواية أنه كان يخور خوار الثور ويقول: والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعا(١).

و قال سعد بن معاذ ــ وهو بمكة ــ لأمية بن خلف: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنهم ــ أي المسلمين ــ قاتلوك، ففزع فزعا شديدا وعهد أن لا يخرج عن مكة، ولما ألجأه أبو جهل للخروج يوم بدر اشترى أجود بعير بمكة ليمكنه من الفرار، وقالت له امرأته: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟. قال: لا والله ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا(٢).

فهذه الحوادث وغيرها تدل على أنه استقر في نفوس المشركين صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يقول شيئا أو يعد بشيء إلا وقع، ولهذا كان الرعب يدخل قلوبهم كلما أخبرهم عليه الصلاة والسلام بشيء مما يكرهون.

---

(١) الرحيق المختوم ٢٧٥.

(٢) الرحيق المختوم ١١٩.

قال تعالى (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾)الإنسان.

أركان التشبيه:

المشبه: الولدان المخلدون.

المشبه به: اللؤلؤ المنثور.

أداة التشبيه: فعل الرجحان (حَسِبْتَهُمْ)

وجه الشبه: الحسن والجمال والكثرة والتفرق في خدمة أهل الجنة.

تفسير الآية:

وردت هذه الآية في سورة الإنسان، وتتميز هذه السورة بوصف نعيم أهل الجنة وصفا مطولا ومن هذا النعيم أنه يطوف على أهل الجنة ويسعى في خدمتهم (وِلْدَانٌ): والولدان جمع وليد أي المولود حديثا فهو فعيل بمعنى مفعول، وهذه الصفة أحسن ما تكون في الخدم؛ لأنهم أخف حركةً وأسرع مشياً ولأن المخدوم لا يتحرج إذا أمرهم أو نهاهم[1].

ثم وصف الله تعالى هؤلاء الولدان بأنهم:(مُّخَلَّدُونَ) واختلف في معناها فقيل: أي باقون على هذه الصفة لا يشبون ويكتهلون، فلا تتغير صفاتهم فهم وِلدان دَوْماً وإلاّ فإن خلود الذوات في الجنة معلوم فما كان ذكره إلاّ لأنه تخليد خاص[2].

قال قتادة[3]:أي: لا يموتون.

وقيل: عني به أنهم دائم شبابهم، لا يتغيرون عن تلك السنّ. وذُكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره: إنه لمخلَّد؛ كذلك إذا كبر وثبتت أضراسه وأسنانه قيل: إنه

---

(1) التحرير والتنوير ١٤/٣٩٧.

(2) التحرير والتنوير ١٤/٣٩٧

(3) جامع البيان ٢٩/٢٦١.

لمخلد، يراد به أنه ثابت الحال، وهذا تصحيح لما قال قتادة من أن معناه: لا يموتون، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة فلم يتغيروا بهرم ولا شيب ولا موت، فهم مخلَّدون[1].

قال الرازي: والأقرب أن المراد به دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها، وذلك يتضمن دوام حياتهم وحسنهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة[2].

و قيل: إنهم مزينون ومحلون بالخلدة وهي حلية توضع في الآذان كالقرط.

قال أبو عبيدة: (مُخَلَّدُونَ): محلَّون بالخِلدَة بوزن قِرَدَة. واحدها خُلْد كقُفل وهو اسم للقُرط في لغة حِمير [3].

قال الفراء: يقال(مُخَلَّدُونَ): مسورون. ويقال: مقرطون. وروى نفطويه عن ابن الأعرابي مخلدون: محلون [4].

و لا يمتنع عنهم إرادة الوصفين فمن القواعد المقررة في علم التفسير أنه إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها[5].

(إِذَا رَأَيْتَهُمْ) أي متفرقين في خدمة أهل الجنة (حَسِبْتَهُمْ) من حسنهم وجمال هيئتهم وكثرتهم (لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) أي في صفائه وبياضه ولمعانه.

أثر التشبيه:

هذا التشبيه من التشبيه المرسل المجمل فقد ذكرت أداته و لم يذكر وجه الشبه فيه ليعم جميع الجهات التي تصلح أن تكون وجه شبه، وبما أن سياق الآية في ذكر نعيم أهل الجنة فكل وجه مناسب لأن يدل على النعيم فهو مراد.

و بالنظر إلى المشبه نجد أنه مشبه مقيد بوصفين: الولدان، والمخلدون وكلاهما وصفان معتبران فالولدان يدل على: القوة والنشاط في طاعة أهل الجنة وعدم استحياء المخدوم من

(1) جامع البيان ٢٩/٢٦١-٢٦٢.

(2) مفاتيح الغيب ٣٠/٢٥١

(3) التحرير والتنوير ١٤/٣٩٧.

(4) مفاتيح الغيب ٣٠/٢٥١

(5) قواعد التفسير ٢/ ٨٠٧

أمرهم ونهيهم.

و المخلدون على كلا المعنيين الواردين في التفسير يدل على: الجمال والحسن والنضارة بسبب بهاء الطلعة وجمال الخلقة التي خلقهم الله عليها، وما زينهم الله به من الحلي والزينة وهذه زينة الظاهر مع ما جملهم الله تعالى به من زينة الباطن وعدم امتناعهم واستكبارهم أو تأففهم من الخدمة وكذلك البقاء على صفة الولدان المشعرة بالقوة والنشاط.

و هذا فيه دلالة على زيادة نعيم أهل الجنة فالنفس تأنس وتسعد بأن يكون خدامها في غاية الحسن والجمال، وخاصة أن الخدم يكثر دخولهم وخروجهم ويدل عليه في الآية لفظ المضارع:(وَيَطُوفُ) المشعر بالتجدد والتكرار، ففي كل مرة يدخل الخدم وينظر إليهم المخدومون وهم في غاية حسنهم وجمالهم يتجدد النعيم والأنس والسعادة.

و بالنظر إلى المشبه به نجد أنه مقيد بوصف المنثور، وهو أحسن في المنظر من المنظوم قال القاضي: هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على البعض فيكون مخالفاً للمجتمع منه[1].

و يدل الوصف بالمنثور على تفرقهم في خدمة أهل الجنة لأنهم لو كانوا على صف واحد ما قيد المشبه به بالمنثور، ولأن عملهم وهو خدمة أهل الجنة يقتضي التفرق والانتشار.

قال البغوي رحمه الله: قال أهل المعاني: إنما شُبِّهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفًا لشبهوا بالمنظوم[2].

و يدل الوصف بالمنثور كذلك على كثرتهم لأن القليل من اللؤلؤ المنثور قد لا يظهر حسنه بوضوح، فدل على كثرتهم. روى الطبري عن قتادة في قوله تعالى:(لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا) قال: من كثرتهم وحُسْنِهِم[3].

وقال قتادة: عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو، قال: ما من أهل الجنة من أحد إلا ويسعى عليه ألف غلام، كلّ غلام على عملٍ ما عليه صاحبه[4].

---

(1) مفاتيح الغيب ٢٥١/٣٠.

(2) معالم التنزيل ٢٩٧/٨.

(3) جامع البيان ٢٦٢/٢٩

(4) جامع البيان ٢٦٢/٢٩

قال الإمام الرازي: وفي كيفية التشبيه وجوه أحدها: شبهوا في حسنهم وصفاء ألـــوانهم وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور، ولو كان صـــفاً لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، ألا ترى أنه تعالى قال:(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ) فإذا كانوا يطوفـــون كـــانوا متناثرين وثانيها: أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا انتثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء[1].

و يستفاد من التشبيه حسن وجوه أهل الجنة المخدومين؛ لأنه إذا كان من إكرام الله تعالى لهم بأن جعل خدمهم على هذه الصفة من الجمال والإشراق فكيف يكون إكرامه لهم وهم من أحبهم ورضي عنهم وسخر ما في الجنة لخدمتهم. فلا شك أنهم أحسن وجوها وأكثـــر إشراقا، وأجمل ظاهرا وباطنا.

و مع كل ما ظهر للخيال من حسن هؤلاء الولدان المخلدون فإنهم أحسن من اللؤلـــؤ المنثور ولاشك. وإنما كان تشبيههم به للتقريب والتمثيل؛ فالجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(1) مفاتيح الغيب ٢٥١/٣٠.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ المرسلات:١٦-١٨.

أركان التشبيه:

المشبه: هلاك المجرمين.

المشبه به: هلاك الأولين والآخرين من الأمم الكافرة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإجرام، وذلك بالاستكبار عن الإيمان بالله تعالى ورسله.

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن إهلاكه للأولين والآخرين من الأمم المكذبة به سبحانه وبما أرسل به رسل، وذلك باستفهام التقرير (أَلَمْ).

وإهلاك الأولين له حالتان: حالة غير اعتيادية تنشأ عن غضب الله تعالى، وهو إهلاك الاستئصال مثل إهلاك عاد وثمود، وحالة اعتيادية وهي ما سَن الله عليه نظام هذا العالم من حياة وموت، وكلتا الحالتين يصح أن تكون مراداً هنا، فأما الحالة غير الاعتيادية فهي تذكير بالنظر الدال على أن الله لا يرضى عن الذين كذبوا بالبعث، وأما الحالة الاعتيادية فدليل على أن الذي أحيا الناس يميتهم فلا يتعذر أن يعيد إحياءهم[١].

و يجوز أن يكون المراد بالهلاك: الإماتة المستعقبة للذم واللعن؟ فكأنه قيل: إن أولئك المتقدمين لحرصهم على الدنيا عاندوا الأنبياء وخاصموهم، ثم ماتوا فقد فاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة الأخروية دائماً سرمداً، فهكذا يكون حال هؤلاء الكفار الموجودين ومعلوم أن مثل هذا الكلام من أعظم وجوه الزجر[٢].

وحرف (ثُمَّ) للتراخي الرُتبي لأن إهلاك الآخرين أشدّ من إهلاك الأولين لأنه مسبوق

---

(١) التحرير والتنوير ٤٢٨/١٤.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦٢/١٦.

بإهلاك آخر[١].

و قرئت (نُتۡبِعُهُمُ) بضم العين على استئناف الخبر وإسكانها عطفا على (نُهۡلِكِ) وبحسب هاتين القراءتين يجيء التأويل في (ٱلۡأَوَّلِينَ)، فمن قرأ الأولى جعل (ٱلۡأَوَّلِينَ) الأمم التي قدمت قريشاً بأجمعها، ثم أخبر أنه يتبع (ٱلۡأَخِرِينَ) من قريش وغيرهم سنن أولئك إذا كفروا وسلكوا سبيلهم، ومن قرأ الثانية جعل (ٱلۡأَوَّلِينَ) قوم نوح وإبراهيم ومن كان معهم، و(ٱلۡأَخِرِينَ) قوم فرعون وكل من تأخر وقرب من مدة محمد صلى الله عليه وسلم[٢].

ويجوز أن يكون الجزم للتخفيف وليس للعطف فتكون (نتبعهم) مرفوعة بضمة مقدرة[٣].

(كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ) أي: كما أهلكنا هؤلاء بكفرهم بي، وتكذيبهم برسلي، كذلك سنتي في أمثالهم من الأمم الكافرة، فنهلك المجرمين بإجرامهم إذا طغوا وبغوا[٤].

و المجرمون هم المشركون، لأن الشرك من أعظم الجرم والظلم.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مفصل؛ ذكرت أداته ووجهه، وهو مستفاد من قوله تعالى(بِٱلۡمُجۡرِمِينَ)، فهو مقتض للاشتراك في الإجرام، لأنه العلة التي وقع بسببها هلاك الأولين والآخرين في الدنيا، وفيه أيضا بيان لاستحقاقهم العذاب في الآخرة.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"أي هذا الإهلاك إنما نفعله بهم لكونهم مجرمين، فلا جرم في جميع المجرمين، لأن عموم العلة يقتضي عموم الحكم"[٥].

و التشبيه أيضا يدل على عظم الهلاك الواقع على الأولين والآخرين من الأمم المكذبة؛

(١) التحرير والتنوير ١٤/٤٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ١٦/٢٠٠.

(٣) مفاتيح الغيب ٣٠/٢٧١، وروح المعاني ٢٩/١٧٤.

(٤) جامع البيان ٢٩/٢٧٩.

(٥) مفاتيح الغيب ٣٠/٢٧٢.

لأنه قد صار أصلا يشبه به، وهذا يوجب الاعتبار والحذر من اتباع سبيلهم في الإجرام.

و إلى هذين الوجهين أشار الإمام الماوردي رحمه الله فقـــال:"(كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ) يحتمل وجهين: أحدهما: أنه تهويل لهلاكهم في الدنيا اعتباراً، الثاني: أنه إخبـــار بعـــذابهم في الآخرة استحقاقاً[1].

(١) النكت والعيون ٤/٣٦٨.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) ﴾ المرسلات: ٣٢-٣٣

في هاتين الآيتين تشبيهان، أما الأول فتحليله:

المشبه: الشرر الذي ترمي به جهنم.

المشبه به: القصر.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: العظم والضخامة والارتفاع في الهواء.

و أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: الشرر الذي ترمي به جهنم.

المشبه به: الجمالة الصفر.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة.

تفسير الآيات:

الضمير في قوله تعالى:(إِنَّهَا) يعود إلى النار.

و الشرر: ما تطاير من النار متبددا في كل جهة[١].

و القصر: هو واحد القصور.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كالقصر العظيم[٢].

و قال ابن مسعود رضي الله عنه: يعني الحصون.

و قال محمد بن كعب القرظي: إن على جهنم سورا فما خرج من وراء السور مما يرجع

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٧٦/٣٠.

(٢) جامع البيان ٢٨٤/٢٩.

فيها في عظم القصر، ولون القار[1].

و قيل: القصر: هو الغليظ من الخشب، كأصول النخل وما أشبهه.

روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك، فنرفعه للشتاء، فنسميه القَصَرَ[2].

و روي مثله عن مجاهد وقتادة والضحاك[3].

و قيل المقصود بها الأعناق: أي أعناق الإبل أو أعناق النخل، وهذا تفسير من قرأ (كالقصر) بفتح القاف والصاد[4].

و قال تعالى:(بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) و لم يقل كالقصور، -والشرر جمع- توفيقا بين رءوس الآيات ومقاطع الكلام، لأن العرب تفعل ذلك كذلك، وبلسانها نزل القرآن[5].

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وأولى التأويلات به أنه القصر من القصور، وذلك لدلالة قوله:(كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) على صحته، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية"[6].

و قوله تعالى:(كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) هذا تشبيه ثانٍ للشرر، وهو أنه كالجمالة الصفر، واختلف في المقصود بها:

فقيل: الجمالة جمع جِمال، كرجال ورجالات، والصفر: أي السود؛ سميت بذلك لأن سوادها مشوب بصفرة.

قال الطبري رحمه الله:"وقالوا: الصفر في هذا الموضع، بمعنى السود قالوا: وإنما قيل لها صفر وهِي سود، لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة، ولذلك قيل لها صُفْر، كما سميت الظباء أدما، لما يعلوها في بياضها من الظلمة[7].

---

(١) جامع البيان ٢٩/٢٨٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير –تفسير سورة المرسلات– باب كأنه جمالت صفر، برقم (٤٩٣٣).

(٣) جامع البيان ٢٩/٢٨٤-٢٨٥.

(٤) الكشاف ٧/٢١٢، والمحرر الوجيز ٦/٤٧٤.

(٥) جامع البيان ٢٩/٢٨٦.

(٦) جامع البيان ٢٩/٢٨٥-٢٨٦.

(٧) جامع البيان ٢٩/٢٨٦، ومعالم التنزيل ٨/٣٠٧.

و قيل: بل الصفر الفاقعة لأنها أشبه بلون الشرر بالجمالات[1].

و قيل المقصود بالجمالت: قلوس السفن التي تجمع فتوثق بها السفن.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قُلُوس سفن البحر يجمل بعضها على بعض، حتى تكون كأوساط الرجال.[2]

و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا أنه قال: قطع النحاس[3].

قال الرازي: وهو مروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن عباس ومعظم أهل اللغة لا يعرفونه[4].

قال الإمام الطبري رحمه الله:"وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُنِي بالجمالات الصفر: الإبل السود، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأن الجِمالات جمع جِمال، نظير رِجال ورِجالات، وبُيوت وبُيوتات[5].

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان مرسلان مجملان، ذكرت أداهما و لم يذكر وجههما.

و قد شبه الله تعالى الشرر بشيئين:

الأول: القصر، وسواء كان المراد به: واحد القصر، أو الخشب الغليظ، أو الأعناق؛ فكلها تدل على العظم والضخامة بالنسبة لما هو معهود من شرر الدنيا.

و أيضا لما كان الشرر يتطاير متبددا في كل جهة نحو الارتفاع، فهو يشبه القصور من هذا الجانب إذ هي مرتفعة في الهواء، عالية البناء

و هذا يدل على عظم النار وشدة حرارتها ووقودها حيث ترمي بمثل هذا الشرر.

الثاني: الجمالة الصفر، وهو تشبيه للشرر في لونه، وكثرته، وتتابعه، وسرعة حركته.

فشرر النار مع ما أفاده التشبيه الأول من العظم والضخامة، فهو سريع التطاير متتابعه،

---

(١) المحرر الوجيز ٢٠٣/١٦.

(٢) جامع البيان ٢٨٧/٢٩.

(٣) جامع البيان ٢٨٨/٢٩.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٧٦/٣٠.

(٥) جامع البيان ٢٨٨/٢٩.

وهذا فيه مزيد خوف وهلع للمعذبين في النار.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"المسألة الثانية: اعلم أنه تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر، وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر، وقيل: أيضاً إن ابتداء الشرر يعظم فيكون كالقصر ثم يفترق فتكون تلك القطع المتفرقة المتتابعة كالجمالات الصفر"(١).

و قال الزمخشري:"وقال أبو العلاء:

حَمْرَاءُ سَاطِعَةُ الذَّوَائِبِ فِي الدُّجَى... تَرْمِي بِكلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافِ

فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة، وكأنه قصد بخبثه: أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سوّل له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله «حمراء"توطئة لها ومناداة عليها، وتنبيها للسامعين على مكانها، ولقد عمي: جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ ؛ فإنه بمنزلة قوله: كبيت أحمر؛ وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين: من جهة العظم، ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس: تشبيه من ثلاث جهات: من جهة العظم والطول والصفرة، فأبعد الله إغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه"(٢).

و استدرك الإمام الرازي على الزمخشري فقال:"ثم زعم صاحب الكشاف أنه ذكر ذلك معارضة لهذه الآية، وأقول: كان الأولى لصاحب الكشاف أن لا يذكر ذلك، وإذ قد ذكره فلا بد لنا من تحقيق الكلام فيه، فنقول: تشبيه الشرارة بالطراف يفيد التشبيه في الشكل والعظم، أما الشكل فمن وجهين الأول: أن الشرارة تكون قبل انشعابها كالنقطة من النار، فإذا انشعبت اتسعت فهي كالنقطة التي تتسع فهي تشبه الخيمة فإن رأسها كالنقطة ثم إنها لا تزال تتسع شيئاً فشيئاً الثاني: أن الشرارة كالكرة أو الأسطوانة فهي شديدة الشبه بالخيمة المستديرة وأما التشبيه بالخيمة في النظم فالأمر ظاهر، هذا منتهى هذا التشبيه.

وأما وجه القدح فيه فمن وجوه الأول: أن لون الشرارة أصفر يشوبها شيء من السواد، وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر وغير حاصل في الخيمة من الأديم الثاني: أن الجمالات متحركة والخيمة لا تكون متحركة فتشبيه الشرار المتحرك بالجمالات المتحركة أولى والثالث:

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٧٧/٣٠.

(٢) الكشاف ٢١٢/٧.

أن الشرارات متتابعة يجيء بعضها خلف البعض وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر وغير حاصل في الطراف الرابع: أن القصر مأمن الرجل وموضع سلامته فتشبيه الشرر بالقصر تنبيه على أنه إنما تولدت آفته من الموضع الذي توقع منه الأمن والسلامة، وحال الكافر كذلك فإنه كان يتوقع الخير والسلامة من دينه، ثم إنه ما ظهرت له آفة ولا محنة إلا من ذلك الدين، والخيمة ليست مما يتوقع منها الأمن الكلي الخامس: أن العرب كانوا يعتقدون أن كل الجمال في ملك الجمال وتمام النعم إنما يحصل بملك النعم، ولهذا قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ النحل:٦. فتشبيه الشرر بالجمال السود كالتهكم بهم، كأنه قيل لهم: كنتم تتوقعون من دينكم كرامة ونعمة وجمالاً إلا أن ذلك الجمال هو هذه الشرارات التي هي كالجمال، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف السادس: أن الجمال إذا انفردت واختلط بعضها بالبعض فكل من وقع فيما بين أيديها وأرجلها في ذلك الوقت نال بلاء شديداً وألماً عظيماً، فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها يفيد حصول كمال الضرر، والطراف ليس كذلك السابع: الظاهر أن القصر يكون في المقدار أعظم من الطراف والجمالات الصفر تكون أكثر في العدد من الطراف فتشبيه هذه الشرارات بالقصر وبالجمالات يقتضي الزيادة في المقدار وفي العدد وتشبهها بالطراف لا يفيد شيئاً من ذلك، ولما كان المقصود هو التهويل والتخويف كان التشبيه الأول أولى الثامن: أن التشبيه بالشيئين في إثبات وصفين أقوى في ثبوت ذينك الوصفين من التشبيه بالشيء الواحد في إثبات ذينك الوصفين، وبيانه أن من سمع قوله: (إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) تسارع ذهنه إلى أن المراد إثبات عظم تلك الشرارات، ثم إذا سمع بعد ذلك قوله: (كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ) تسارع ذهنه إلى أن المراد كثرة تلك الشرارات وتتابعها ولونها. أما من سمع أن الشرار كالطراف يبقى ذهنه متوقفاً في أن المقصود بالتشبيه إثبات العظم أو إثبات اللون، فالتشبيه بالطراف كالمجمل، والتشبيه بالقصر وبالجمالات الصفر، كالبيان المفصل المكرر المؤكد. ولما كان المقصود من هذا البيان هو التهويل والتخويف، فكلما كان بيان وجوه العذاب أتم وأبين كان الخوف أشد، فثبت أن هذا التشبيه أتم. التاسع: أنه قال في أول الآية:﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ﴾ المرسلات:٣٠) والإنسان إنما يكون طيب العيش وقت الانطلاق، والذهاب إذا كان راكباً، وإنما يجد الظل الطيب إذا كان في قصره، فوقع تشبيه الشرارة

بالقصر والجمالات، كأنه قيل له: مركوبك هذه الجمالات، وظلك في مثل هذا القصر، وهذا يجري مجرى التهكم بهم، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف العاشر: من المعلوم أن تطاير القصر إلى الهواء أدخل في التعجب من تطاير الخيمة، لأن القصر يكون مركباً من اللبن والحجر والخشب.

وهذه الأجسام أدخل في الثقل والاكتناز من الخيمة المتخذة إما من الكرباس أو من الأديم، والشيء كلما كان أثقل وأشد اكتنازاً كان تطايره في الهواء أبعد، فكانت النار التي تطير القصر إلى الهواء أقوى من النار التي تطير الطراف في الهواء، ومعلوم أن المقصود تعظيم أمر النار في الشدة والقوة، فكان التشبيه بالقصر أولى الحادي عشر: وهو أن سقوط القصر على الإنسان أدخل في الإيلام والإيجاع من سقوط الطراف عليه، فتشبيه تلك الشرارات بالقصر يفيد أن تلك الشرارات إذا ارتفعت في الهواء ثم سقطت على الكافر فإنها تؤلمه إيلاماً شديداً، فصار ذلك تنبيهاً على أنه لا يزال يسقط عليه من الهواء شرارات كالقصور بخلاف وقوع الطراف على الإنسان، فإنه لا يؤلم في الغاية الثاني عشر: أن الجمال في أكثر الأمور تكون موقرة، فتشبيه الشرارات بالجمال تنبيه على أن مع كل واحد من تلك الشرارات أنواعاً من البلاء والمحنة لا يحصي عددها إلا الله، فكأنه قيل: تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بأنواع المحنة والبلاء، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف فكان التشبيه بالجمالات أتم.

واعلم أن هذه الوجوه توالت على الخاطر في اللحظة الواحدة ولو تضرعنا إلى الله تعالى في طلب الأزيد لأعطانا أي قدر شئناً بفضله ورحمته، ولكن هذه الوجوه كافية في بيان الترجيح، والزيادة عليها تعد من الإطناب، والله أعلم"(١).

وفي مجيء التشبيه بـــ(كأن) التي تفيد الاهتمام بالمشبه إشارة إلى أن هذا الشرر مما يحصل به العذاب لأهل النار، خاصة قبل دخولها عندما يرونها وهي ترمي بمثل هذا الشرر المتتابع السريع العظيم الضخم. فهذا يخلع قلوب أصحابها قبل دخولها، ويملأها رعبا.

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٠/٢٧٧-٢٧٨.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المرسلات: ٤٤

أركان التشبيه:

المشبه: جزاء المحسنين

المشبه به: جزاء المتقين الموصوف في الآيات السابقة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإكرام، وحسن الثواب.

و يجوز أن يكون المشبه به: الجزاء الموصوف في الآيات على قول أن المحسنين هم المتقون الذين ذكرهم الآية أولا.

تفسير الآية:

هذه الآية وردت بعد أن ذكر الله تعالى نعيم المتقين وأنهم يكون يوم القيامة في ظلال وعيون، وفواكه مما يشتهون، وأنه يقال لهم: كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون، وهذا فيه زيادة نعيم وإكرام لهم.

ثم قال تعالى بعد ذلك: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ) فيحتمل أن يكون الكلام مستأنفا للإخبار عن جزاء المحسنين، ويكون المعنى: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان فى طاعتهم إيانا، وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لا نضيع في الآخرة أجرهم.

ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله:﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المرسلات:٤٣ فيكون خطابا للمتقين، ويكون معناه: أن هذا النعيم الذي أنعمتُ به عليكم هو سُنتنا في جزاء المُحسنين، فإذْ قد كنتم من المحسنين فذلك جزاء لكم نِلتموه بأنكم من أصحاب الحق في

مثله(١).

و يحتمل أن يكون خطابا للكافرين، فبعد أن وصف لهم نعيم المتقين، قال لهم ذلك زيادة في عذابهم وحسرتهم.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"اعلم أن هذا هو النوع الثامن من أنواع تهديد الكفار وتعذيبهم، وذلك لأن الخصومة الشديدة والنفرة العظيمة كانت في الدنيا قائمة بين الكفار والمؤمنين، فصارت تلك النفرة بحيث أن الموت كان أسهل على الكافر من أن يرى للمؤمن دولة وقوة، فلما بين الله تعالى في هذه السورة اجتماع أنواع العذاب والخزي والنكال على الكفار، بين في هذه الآية اجتماع أنواع السعادة والكرامة في حق المؤمن، حتى أن الكافر حال ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والخزي والخسران، ويرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة والمنقبة، تتضاعف حسرته وتتزايد غمومه وهمومه، وهذا أيضاً من جنس العذاب الروحاني، فلهذا قال في هذه الآية:﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المرسلات:٤٥"(٢).

و قال:"أن هذه السورة من أولها إلى آخرها مرتبة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم عليه، فهذه الآية يجب أن تكون مذكورة لهذا الغرض، وإلا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها، والنظم إنما يبقى لو كان هذا الوعد حاصلاً للمؤمنين بسبب إيمانهم، لأنه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره، وجب أن يقرن ذلك بوعد المؤمن بسبب إيمانه حتى يصير ذلك سبباً في الزجر عن الكفر، فأما أن يقرن به وعد المؤمن بسبب طاعته، فذلك غير لائق بهذا النظم والترتيب"(٣).

والمراد بالمحسنين المتقون السابق ذكرهم إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير مدحاً لهم بصفة الإحسان أيضاً مع الإشعار بعلة الحكم، ويجوز أن يراد بالمتقين والمحسنين الصالحون من المؤمنين(٤).

---

(١) التحرير والتنوير ٤٤٤/١٤.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٨٢/٣٠.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٨٢/٣٠.

(٤) روح المعاني ١٧٨/٢٩.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و هو يتضمن تعظيم جزاء المتقين، حيث كان أصلا يشبه به، وعلى القول بأن المحسنين هم المتقون الذين ذكرتهم الآية، ففيه زيادة بيان أن نعيم المتقين قد بلغ من الحسن والإكرام والثواب بحيث أننا لو أردنا تشبيهه لم نجد شيئا نشبهه به إلا نفسه.

و تأكيد التشبيه بإن لإِفادة الاهتمام بالخبر، وإفادة التعليل، فإن هذا الجزاء لهم كان بسبب عملهم الصالح الذي اجتهدوا في إتمامه حتى بلغ مرتبة الإحسان مما يدل على تقواهم لله تعالى وتعظيمه.

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ ﴾ النبأ: ٦ - ٧

في هذه الآيات تشبيهان: أما الأول فأركانه:

المشبه: الأرض.

المشبه به: المهاد.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: الانبساط.

أما التشبيه الثاني فأركانه:

المشبه: الجبال.

المشبه به: الأوتاد.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: التثبيت.

تفسير الآية:

لما كانت قضية البعث من القضايا الكبيرة في العقيدة الإسلامية، وكان المشركون منكرون لها غاية الإنكار، ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة جملة من الآيات الدالة على قدرته وعظمته، بحيث تكون حجة على المشركين، بأن من قدر على هذا وهو أعظم من خلق الناس، فهو قادر على البعث بطريق الأولى، و يمكن أن يقال: إن الذي خلق هذه الأمور العظيمة، منزه عن العبث لا يخلق شيئا إلا لحكمة، وإنكار البعث يؤدي إلى أنه

خلق هذه الأشياء عبثا، وليس لها حكمة، وهو قول باطل[١].

وأول هذه الدلائل على قدرة الله تعالى، أنه سبحانه جعل الأرض مهادا، أي: ممهدة منبسطة كالمهاد والفراش، وذلك لعظمها واتساعها، حتى أنها تشمل المخلوقات الكثيرة دون أن تضيق عليهم.

وثاني هذه الدلائل أنه خلق الجبال مثبتة للأرض كالأوتاد لها، كما أن الأوتاد تثبت الخيمة، ولولا وجود هذه الجبال لكانت الأرض تميد بمن عليها، وتتزلزل، ولا تكون مستقرة صالحة للعيش عليها، فثبتها الله بهذه الجبال لتكون مستقر للمخلوقات.

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان بليغان لم تذكر أداتهما ولا وجههما.

والغرض منهما بيان قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء على بعث الناس من قبورهم، وإعادة خلقهم من جديد.

قال ابن عاشور رحمه الله:"وعلى كل فهو تشبيه للأرض به إذ جُعل سطحها ميسراً للجلوس عليها والاضطجاع وبالأحرى المشي، وذلك دليل على إبداع الخلق والتيسير على الناس، فهو استدلال يتضمن امتناناً وفي ذلك الامتنان إشعار بحكمة الله تعالى إذ جعل الأرض ملائمة للمخلوقات التي عليها فإن الذي صنع هذا الصنع لا يعجزه أن يخلق الأجسام مرة ثانية بعد بِلاها"[٢].

ثم قال:"وأيضاً فإن كثرة الجبال الناتئة على وجه الأرض قد يخطر في الأذهان أنها لا تناسب جعل الأرض مهاداً فكان تشبيه الجبال بالأوتاد مستملحاً بمنزلة حسن الاعتذار، فيجوز أن تكون الجبال مشبهة بالأوتاد في مجرد الصورة مع هذا التخييل... ويجوز أن تكون الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة في أنها تشد الخيمة من أن تقلعها الرياح أو تزلزلها بأن يكون في خلق الجبال للأرض حكمة لتعديل سَبح الأرض في الكرة الهوائية إذْ نُتُوّ الجبال على الكرة الأرضية يجعلها تكسر تيار الكُرة الهوائية المحيطة بالأرض فيعتدل تيّاره حتى

(١) الكشاف/٧/٢١٧ – مفاتيح الغيب ٣١/٥

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ١٤.

تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة .

على أن غالب سكان الأرض وخاصة العرب لهم منافع جمّة في الجبال فمنها مسايل الأودية، وقرارات المياه في سفوحها، ومراعي أنعامهم، ومستعصمهم في الخوف، ومراقب الطرق المؤدية إلى ديارهم إذا طرقها العدوّ. ولذلك كثر ذكر الجبال مع ذكر الأرض(١).

وأيضا لما كان الجبل جزء منه ظاهر على الأرض، وجزؤه الأكبر غائر في باطن الأرض للتثبيت فكذلك الوتد الذي يظهر منه جزء يسير وجزؤه الأكبر داخل في الأرض للتثبيت.

ومجيء التشبيه هنا تشبيها بليغا للدلالة على كون المشبه هو عين المشبه به، فالأرض كالمهاد، والجبال كالأوتاد.

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/٣٠.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ ﴾ النبأ: ١٠

أركان التشبيه:

المشبه: الليل.

المشبه به: اللباس.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: الستر والتغطية.

تفسير الآية:

تستمر الدلالات الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته، لتأكيد أمر البعث، ومن هذه الدلالات، أنه سبحانه جعل الليل لباسا، والمراد به: أنه جعل الليل للعباد غشاء يتغشاهم سواده، وتغطيهم ظلمته، كما يغطي الثوب لابسه ليسكنوا فيه عن التصرّف.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه بليغ؛ حيث حذفت أداته ووجهه.

والغرض منه بيان مقدار النعمة على العباد، والاستدلال به على أمر البعث.

وتظهر المشابهة بين الطرفين من جهة أن الليل ساتر للإنسان كما يستره اللباس، فالإنسان في الليل يختلي بشؤونه التي لا يرتكبها في النهار لأنه لا يحب أن تراها الأبصار.

و من جهة الرفق باللاَّبس والملاءمة لراحته، فلما كان الليل راحة للإنسان وكان محيطاً بجميع حواسه وأعصابه شُبه باللباس في ذلك.

ومن جهة ثالثة أيضا وهي جهة الوقاية ، فاللّيل يقي الإنسان من الأخطار والاعتداء عليه ، فكان العرب لا يغير بعضهم على بعض في الليل وإنما تقع الغارة صباحاً

وقد أشار إلى هذه الأوجه الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله[1].

قال تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ النبأ: ١٩ - ٢٠

في هاتين الآيتين تشبيهان، أما الأول فأركانه:

المشبه: السماء.

المشبه به: الأبواب.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: التشقق والانفتاح

أما التشبيه الثاني فأركانه:

المشبه: الجبال.

المشبه به: السراب.

أداة التشبيه: تشبيه بليغ محذوف الأداة.

وجه الشبه: أن يحسب شيئا وهو ليس بشيء.

تفسير الآية:

يذكر سبحانه وتعالى في هذه الآيات طرفا من أهوال يوم القيامة، ومن ذلك تفتح السماء حتى تكون كالأبواب، ومعناه: تتفطر وتتشقق حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجداران، أو تتقطع السماء قطعاً صغاراً حتى تكون كألواح الأبواب.

قال ابن عطية رحمه الله:"والقول الأول أحسن"[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٠-٢١.

ومن أهوال القيامة أيضا أن تسير الجبال فتكون كالسراب، بمعنى لا شيء، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً[٢].

أثر التشبيه:

هذان تشبيهان بليغان؛ حيث لم تذكر أداتهما ولا وجههما.

والغرض منه بيان أهوال يوم القيامة التي تصيب الأجرام العظيمة فتغيرها من حالتها إلى حالة أخرى، بعيدة كل البعد عن حالتها الأولى.

وبتأمل التشبيه الأول، نجد أن السماء بعد أن كانت مشدودة متماسكة، تصبح في يوم القيامة أبوابا لكثرة الشقوق التي فيها، وتفطرها وتقطعها حتى تكون كقطع الخشب الذي تكون منه الأبواب.

وقد ورد في القرآن الكريم عدة آيات تبين حالة السماء في ذلك اليوم كمثل قوله تعالى:"إذا السماء انشقت".، وقوله تعالى:"فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان".

و بتأمل التشبيه الثاني، نجد أن الجبال بعد أن كانت صلبة راسية، لا يقادر قدرها، جعلها الله تعالى كالسراب في تفرق أجزائها وتناثرها، مما يجعل الرائي يحسبها من بعيد شيئا وهي في الحقيقة ليست بشيء.

فالتشبيه بالسراب ليس في تفرق أجزائها فقط، ولكن أيضا مع حسبان أنها شيء وهي ليست بشيء.

وقد كثر في القرآن ذكر أحوال الجبال.

قال الرازي:" اعلم أن الله تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة، ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله: وهو أن أول أحوالها الاندكاك، والحالة الثانية لها: أن تصير كالعهن المنفوش، والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء وذلك أن تتقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن، والحالة الرابعة: أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة

---

(١) المحرر الوجيز ٢١٠/١٦

(٢) مفاتيح الغيب ٦/٣١.

قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها، والحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساماً جامدة وهي الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها صيرها مندكة متفتتة، ثم بين أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره ، فقال : { ويوم نسير الجبال } [الطور : ١٠]، الحالة السادسة : أن تصير سراباً ، بمعنى لا شيء ، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً ، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً ، والله أعلم(١).

قال الألوسي:" والجامع أن كلاً من الجبال والسراب يرى على شكل شيء وليس هو بذلك الشيء، وجوز أن يكون وجه الشبه التخلخل إذ تكون بعد تسييرها غباراً منتشراً"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ١١- ١٢... مختصرا بتصرف.

(٢) روح المعاني ١٣/٣٠.

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ النازعات: ٤٦

أركان التشبيه:

المشبه: حال المنكرين للساعة عند قيامها.

المشبه به: حال من لم يلبث إلا مدة يسيرة كمدة العشية أو الضحى.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: قصر المدة، واحتقارها.

تفسير الآية:

يقول جلّ ثناؤه: كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة، وعلى رأسهم كفار قريش، يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها، لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم، أو ضحى تلك العشية، والضحى: أول النهار، والعشية آخره.

و إنما أضيف الضحى إلى العشية جريا على عادة العرب في قولهم: آتيك العشية أو غَدَاتَها، وآتيك الغداةَ أو عشيتها، فيجعلون معنى الغداة بمعنى أوّل النهار، والعشية: آخر النهار[1].

قال الفرّاء: ليس للعشية ضحى، إنما الضحى لصدر النهار، ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداها، إنما معناه: آخر يوم أو أوله[2].

أو أضاف الضحى إلى العشية من حيث هما طرفان للنهار، وقد بدأ بذكر أحدهما

(١) جامع البيان ٦٣/٣٠.

(٢) معالم التنزيل ٣٣١/٨.

فأضاف الآخر إليه تجوزاً وإيجازا[١].

قال الزمخشري:"فإن قلت: كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية؟ قلت: لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد. فإن قلت: فهلا قيل: إلا عشية أو ضحى وما فائدة الإضافة؟ قلت: الدلالة على أن مدّة لبثهم كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً، ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه؛ فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته"[٢].

أو لأن الضحى أسبق من العشية.

قال ابن عاشور رحمه الله:"ومسوغُ الإِضافة أن الضحى أسبق من العشية إذ لا تقع عشية إلا بعد مرور ضحى، فصار ضحى ذلك اليوم يعرَّف بالإِضافة إلى عشية اليوم لأن العشية أقرب إلى علم الناس لأنهم يكونون في العشية بعد أن كانوا في الضحى، فالعشية أقرب والضحى أسبق"[٣].

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل؛ ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و المقصود منه تقليل مدة اللبث في الحياة الدنيا، وتحقيرها؛ حيث شبهت بشيء يسير لا يشعر الإنسان به، وهو العشية أو الضحى.

و إنما اختير للتشبيه العشية أو الضحى، لأنها أوقات عمل تذهب سريعا لا يشعر الإنسان بسرعة سيرها، بخلاف ساعات الليل التي تكون للفكر والتأمل فإنها ساعات طويلة في شعور الإنسان.

و العطف في التشبيه لزيادة التقليل والتحقير.

قال ابن عاشور رحمه الله:"وقوله:(أَوْ ضُحَىٰهَا) تخيير في التشبيه... وفي هذا العطف زيادة في تقليل المدة لأن حصة الضحى أقصر من حصة العشية[٤].

(١) المحرر الوجيز ٢٢٧/١٦.

(٢) الكشاف ٢٣٢/٧.

(٣) التحرير والتنوير ٩٨/١٥-٩٩.

(٤) التحرير والتنوير ٩٨/١٥.

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ القارعة: ٤ – ٥

أركان التشبيه:

في هذه الآيات تشبيهان يكونان في يوم القارعة وهو يوم القيامة، فالتشبيه الأول:

المشبه: الناس في ذلك اليوم.

المشبه به: الفراش المبثوث.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: متعدد: التفرق، والانتشار، والطيش، والكثرة، والضعف، والذل والهوان،...الخ.

أما التشبيه الثاني فتحليله:

المشبه: الجبال.

المشبه به: العهن المنفوش.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التلون والخفة والضعف وتفرق الأجزاء.

تفسير الآيات:

يذكر الله جل وعلا يوم القيامة ويسميه بالقارعة لأنه يقرع القلوب بالفزع والخوف، ثم يذكر سبحانه بعض أحوال ذلك اليوم، من ذلك:

أن يكون حال الناس فيه من شدة الأهوال، وعظيم الكرب، وهول القارعة، كحال

الفراش المبثوث.

قال الزجاج: الفراش هو الحيوان الذي يتهافت في النار"([1]).

وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك كغوغاء الجراد، يركب بعضه بعضا"([2]).

و المقصود بالمبثوث: المتفرق

و هذا حال الناس عند بعثهم من قبورهم.

قال الإمام ابن عطية: وقال بعض العلماء: الناس أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث، لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام([3]).

و خص بعض المفسرين الناس هنا بالكفار.

قال الإمام الماوردي رحمه الله:"وإنما شبه الناس الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث لأنهم يتهافتون في النار كتهافت الفراش"([4]).

و أيضا يكون حال الجبال فيه –أي في يوم القيامة- كالعهن: وهو الصوف المصبغ ألواناً؛ لأنها ألوان، وقيدت بالمنفوش لتفرق أجزائها.

قال الزمخشري:"وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألواناً؛ لأنها ألوان، وبالمنفوش منه؛ لتفرّق أجزائها"([5]).

و تخصيص العهن لما فيه من اللون([6]).

و النفش: خلخلة الأجزاء وتفريقها عن تراصها([7]).

قال مقاتل:"وتصير الجبال كالصوف المندوف، فإذا رأيت الجبل قلت: هذا جبل، فإذا مسسته لم تر شيئاً، وذلك من شِدَّة الهَوْل"([8]).

---

[1] مفاتيح الغيب ١٧/١٧٨.

[2] جامع البيان ٣٠/٣٤١.

[3] المحرر الوجيز ١٦/٣٥٦.

[4] النكت والعيون ٤/٤٤٨.

[5] الكشاف ٧/٣٢٠.

[6] مفردات القرآن ٥٩٢.

[7] المحرر الوجيز ١٦/٣٥٧.

[8] زاد المسير ٩/٢١٤.

و قيل المراد: جبال النار تكون كالعهن لحمرتها وشدة لهبها، لأن جبال الأرض تسير ثم تنسف حتى يدك بها الأرض دكّا([1]).

أثر التشبيه:

هذان التشبيهان كغالب تشبيهات القرآن تشبيهان مرسلان مجملان؛ ذكرت أداتهما و لم يذكر الوجه فيهما؛ ليعم كل وجه مناسب يدل على الهول والفزع الموافق لسياق الآيات.

ففي التشبيه الأول يقول الزمخشري:"شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار"([2]).

و قال الإمام ابن عادل رحمه الله:"في تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتَّى: منها الطيشُ الذي يلحقهم، وانتشارهم في الأرض، وركوب بعضهم بعضاً، والكثرة والضعف والذلة، والمجيء من غير ذهاب، والقصد إلى الداعي من كل جهة، والتطاير إلى النار"([3]).

فالناس من شدة هول القارعة التي قرعت قلوبهم بالفزع تطيش قلوبهم وعقولهم فعندما ينبعثون من قبورهم يكونون في حيرة واضطراب ويتجهون إلى كل جهة في طيش وتفرق وانتشار كحال الفراش عندما يثار ليس له وجهة معينة، وإنما يطير إلى كل جهة.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"أما وجه التشبيه بالفراش، فلأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى، يدل هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا، واختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة"([4]).

و هذا مناسب لحال طيش الفراش وتفرقه وانتشاره الذي يضرب به المثل فيقال: أطيش من فراشة([5]).وعليه يدل قول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾

---

[1] مفاتيح الغيب ٧٢/٣٢. النكت والعيون ٤٤٨/٤.

[2] الكشاف ٣٢٠/٧.

[3] اللباب ٤٧١/٢٠.

[4] مفاتيح الغيب ٧٢/٣٢.

[5] فتح القدير ٦٥٤/٥.

الحج:١-٢.

أما حال الذل والهوان والضعف في الفراش فأمر ظاهر فهو من أضعف خلق الله، ويشبهه حال الكفار يوم القيامة إذ يكونون ذليلين، لا يقدرون على جلب خير لأنفسهم ولا دفع شر عنها ثم يؤمر بهم إلى العذاب خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، والفراش لا يعذب فهم أهون منه وأذل.

و من أوجه الشبه أن الفراش يطير بجناحيه ليلقي نفسه في النار أو السراج، مع ما فيه من الإحراق والإتلاف، وكذلك الكفرة والعصاة يقودون أنفسهم إلى ما فيه هلاكها وإتلافها مع ما أعطاهم الله من نعمة العقول والأفهام.

و يؤكد هذا الوجه الحديث المتفق عليه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذُبُّهن عنها، وأنا آخذ بِحُجزِكم عن النار وأنتم تفلّتون من يدي"([1]).

و على القول بتخصيص الكفار بالتشبيه بالفراش يكون وجه الشبه التهافت على النار كما قال الإمام الماوردي رحمه الله:"وإنما شبه الناس الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث لأنهم يتهافتون في النار كتهافت الفراش"([2]).

و من أوجه التشبيه العامة التي لا تكون بسبب القارعة أن الفراش ينبهر بالنور ويتجه نحوه وكثير من الناس يتبعون كل داع وناعق من غير نظر في صحة ما يدعو إليه من عدمه.

و فيه أيضا بيان حاجة الناس إلى الضياء والنور الذي يهدي عقولهم وينير أفهامهم كما يتجه الفراش إلى هذا النور معبرا عن حاجته إليه وفرحه به.

و في التشبيه الثاني يشبه الله الجبال بالعهن المنفوش، وهو الصوف المصبوغ ألوانا، وذلك لأن الله تعالى ذكر للجبال ألوانا فقال سبحانه:﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ

[1] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى(ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب. برقم(٣٤٢٦).

صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في التحذير مما يضرهم، برقم(٢٢٨٥)، وهذا لفظ مسلم.

[2] النكت والعيون ٤/٤٤٨.

﴿ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ فاطر: ٢٧.

و من أوجه الشبه أنها تتفرق أجزاؤها بعد أن كانت راسية ثابتة صلبة، وهذا بعض أحوال الجبال يوم القيامة.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"قد وصف الله تعالى تغير الأحوال على الجبال من وجوه أولها: أن تصير قطعاً، كما قال:﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ الحاقة:١٤ وثانيها: أن تصير كثيباً مهيلاً، كما قال﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ النمل: ٨٨ ثم تصير كالعهن المنفوش، وهي أجزاء كالذر تدخل من كوة البيت لا تمسها الأيدي، ثم قال: في الرابع تصير سراباً، كما قال: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ النبأ:٢٠ "([1]).

و قال:"إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال، كأنه تعالى نبه على أن تأثير تلك القرعة في الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه"([2]).

واختيار الصوف وتقييده بالمنفوش للتشبيه به يدل على خفة الجبال يومئذ وتخلخلها وتفرق أجزائها، وهو تقريب للصورة لما هو معهود في الأذهان.

---

[1] مفاتيح الغيب ٣٢/٧٢-٧٣.

[2] مفاتيح الغيب ٣٢/٧٢.

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ الفيل: ٥

أركان التشبيه:

المشبه: أصحاب الفيل بعد وقوع العذاب عليهم.

المشبه به: العصف المأكول.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الهلاك والتفرق.

تفسير الآية:

يخبر جل وعز عن قدرته وكمال عظمته في حفظ بيته الحرام وإهلاك المعتدين عليه من أهل الحبشة، وذلك أنهم لما أرادوا هدم الكعبة، واصطحبوا معهم الأفيال، ووصلوا إلى مقربة من الحرم، وقف بهم الفيل، فلم يتقدم في جهة الحرم، وإنما كان يجري معهم في أي جهة أخرى يوجهونه إليها، وفي هذه الأثناء أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم الله تعالى بعد نزول الحجارة عليهم كالعصف المأكول.

و اختلف في معنى العصف على أقوالٍ:

أحدها: كزرع أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرّقت أجزاؤه.

قال ابن زيد:"ورق الزرع وورق البقل، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار رَوْثا"([1]).

وقال الإمام الرازي رحمه الله:"كزرع وتبن قد أكلته الدواب، ثم ألقته روثاً، ثم يجف وتتفرق أجزاؤه... إلا أن العبارة عنه جاءت على ما عليه آداب القرآن، كقوله: ﴿ كَانَا

[1] - جامع البيان ٣٦٩/٣٠.

يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾المائدة:٧٥.وهو قول مقاتل، وقتادة وعطاء عن ابن عباس"([1]).

الثاني: أنه القشر الخارج الذي يكون على حبّ الحنطة من خارج، كهيئة الغلاف لها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:"البرّ يؤكل ويُلقى عصفه الريح. والعصف: الذي يكون فوق البرّ: هو لحاء البرّ"([2]).

الثالث: أنه بمعنى طعام مطعوم، أي يصلح للأكل والطعم.

قال الإمام الرازي رحمه الله:"الوجه الثالث في التفسير أن يكون معنى: مأكول أنه مما يؤكل، يعني تأكله الدواب يقال: لكل شيء يصلح للأكل هو مأكول"([3]).

الرابع: أنه بمعنى كالحب إذا أكل فصار أجوف، وهو مروي عن عكرمة([4]).

و قيل المراد به التبن، وهو مروي عن سعيد بن جبير([5])،و قتادة([6]).

و المراد أن الله تعالى أهلكهم وجعلهم عبرة للمعتبرين، وحمى بيته الحرام من كيدهم.

أثر التشبيه:

هذا تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته و لم يذكر وجهه.

و التشبيه مقيد الطرفين، فبالنسبة للمشبه يدل على التقييد قوله تعالى:(فَجَعَلَهُمْ): أي صيرهم، وهذا يدل على أن التشبيه بهم واقع بعد حصول العذاب عليهم.

و أما بالنظر إلى المشبه به فهو مقيد بأنه مأكول، أي بعد أكله وإخراجه.

و كلا القيدين مؤثر في التشبيه.

و تحصل المشابهة بين الطرفين في أن أصحاب الفيل بعد وقوع العذاب عليهم تقطعت أوصالهم وتساقطت أعضاؤهم كما تتفرق وتتجزأ أجزاء العصف بعد أكله ثم جفافه ويبسه.

---

[1] - مفاتيح الغيب ١٠١/٣٢.

[2] - جامع البيان ٣٧٠/٣٠. وانظر تفسير القرآن العظيم ٣٨٦٢/٨.

[3] - مفاتيح الغيب ١٠٢/٢٣.

[4] - معالم التنزيل ٥٤١/٨.

[5] - تفسير القرآن العظيم ٣٨٦١/٨.

[6] - معالم التنزيل ٥٤١/٨.

قال الإمام الطبري رحمه الله:"شبَّه تقطُّع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرّق آراب أبدانهم بها، بتفرّق أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع"([1]).

و قال الثعالبي:"والمعنى صَارُوا طَحِيناً ذَاهِباً كَوَرَقِ حِنْطَةٍ أَكَلَتْهُ الدَّوابُّ، ورَاثَتْهُ، فَجَمَعَ لَهُمْ المهَانَةَ والخِسَّةَ والتَّلَفَ"([2]).

و ذكر ابن هشام في سيرته: أن أَبْرَهَةُ أُصِيبَ فِي جَسَدِهِ وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ تَسْقُطُ أَنَامِلُهُ أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً كُلّمَا سَقَطَتْ أُنْمُلَةٌ أَتْبَعَتْهَا مِنْهُ مِدّةٌ تَمُثّ قَيْحًا وَدَمًا، حَتّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطّائِرِ فَمَا مَاتَ حَتّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ فِيمَا يَزْعُمُونَ"([3]).

و هذا يدل على حقارتهم وتشويه حالهم.

قال ابن عادل:"(كَعَصْفٍ) هو المفعول الثاني للجعل، بمعنى التصيير، وفيه مبالغة حسنة، وهو أنه لم يكفهم أن جعلهم أهون شيء من الزَّرع، وهو ما لا يجدي طائلاً، حتى جعلهم رجيعاً"([4]).

و يمكن أن يكون التشبيه واقع في أن أصحاب الفيل بعد وقوع العذاب عليهم أصبحوا في حال من الضعف والذل والهوان بحيث لا يمتنعون على أحد، ولا يملكون قدرة للدفاع عن أنفسهم كقشر حب الحنطة الذي لا يمتنع من الريح أن تعصف به إلى أي جهة، ولا يمتنع من الناس الدواب أن يطؤوه ويدوسوه، أو كالروث لا يمتنع منهم كذلك.

قال الألوسي:"جعلهم في حكم التبن الذي لا يمنع عنه الدواب أي مبتذلين ضائعين لا يلتفت إليهم أحد ولا يجمعهم ولا يدفنهم كتبن في الصحراء تفعل به الدواب ما شاءت لعدم حافظ له"([5]).

أو أن يكون التشبيه واقع في صفة العذاب على أن الحجارة من سجيل كانت تقع على رأس أحدهم فتخرج من دبره بسبب حرارتها، كما أن الدود يأكل الحب فيتركه أجوفا.

أو أن العصف لما خلا من الحب أشبه أجساد أصحاب الفيل بعد هلاكهم وخروج

[1] – جامع البيان ٣٦٩/٣٠.

[2] – تفسير الثعالبي ٢٨٣/٤

[3] – سيرة ابن هشام ٥٢/١.

[4] – اللباب ٥٠٢/٢٠.

[5] – روح المعاني ٢٣٧/٣٠.

أرواحهم من أجسادهم فبقوا جثثا هامدة. وأيضا فإن العصف بعد خلوه من الحب لا فائدة منه ولا خير فيه كذلك أصحاب الفيل بعد هلاكهم أصبحوا لا نفع فيهم ولا خير يرتجى منهم.

قال الألوسي:"والتشبيه بذلك لذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم أو لأن الحجر بحرارته يحرق أجوافهم"([1]).

و قال البقاعي:"(كَعَصۡفٍ مَّأۡكُولِۭ) أي: ورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود ويجوفه، لأن الحجر كان يأتي في الرأس فيخرق بما له من الحرارة وشدة الوقع كل ما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه أسود لما له من النارية"([2]).

و قوله تعالى:(فَجَعَلَهُمۡ) مشعرة بسرعة وقوع العذاب عليهم، وإحاطته بهم، وعدم قدرتهم على الفرار منه، وسرعة إهلاكهم([3]).

---

[1] - روح المعاني ٢٣٧/٣٠.

[2] - نظم الدرر ١٢/١٠.

[3] - أضواء البيان ٥٢٥/٩.

الخاتمة

و في ختام البحث أسأل الله تعالى أن يتقبله عنده، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، كما أسأله سبحانه أن يرزقنا الفهم لكتابه، وأن يفتح علينا فيه بالعلم والعمل.

لقد كان العيش مع كتاب الله تعالى نعمة عظيمة، خاصة وأن التدبر لـــه والتأمل لمعانيه مما يستخرج به المتأمل كنوزه وأسراره، ومهما أوتي الإنسان من فهم ثاقب، وبلاغة فائقة فإن كتاب الله تعالى يبقى مليئا لا ينفد عطاؤه لمن أقبل عليه.

ومن هذه النتيجة فإنني في ختام هذا البحث لأؤكد أن تشبيهات القــرآن الكريم تبقى مليئة بالأسرار والمكنونات التي لم نستخرجها بعد، وكلمـــا زاد تأمل هذه التشبيهات، والغوص في معانيها، ومقارنتها بالتشبيهات المماثلة لها، كلما ظهرت معان أخرى لم تخطر على بال المتأمل من قبل.

إن تشبيهات القرآن تستمد عناصرها من الطبيعة المحيطة بالإنسان، الـــتي يستطع أن يدركها بكل سهولة ويسر، ولذلك فهي أكثر تأثيرا، وأبقى أثـــرا، وأشد سهولة، وأقرب للإنسان، ثم إنها مع ذلك تحمل في طياتها ومعانيها الخير والهداية للإنسان، فتدفعه للفضائل، وتدله على المكارم، تجعل في نفسه أنفة من مقاربة الرذائل، ومقارفة الآثام.

لقد اتجهت في بحثي للتشبيهات إلى الأثر على المعنى، واستنباط الـــدلالات

من الألفاظ والسياقات، و لم أستطع الإحاطة بكل معانيها، وبقيت الـــدلالات الإيمانية والتربوية، التي تحمل في جوانبها الأدب، لم أستطع الإشارة إليهـــا في بحثي هذا، خشية من الإطالة، ومن الخروج عن موضوع الرسالة، المتعلق بالأثر على التفسير، ولا شك أن هذه الدلالات لها أهمية بالغة؛ لأن القرآن الكـــريم كتاب هداية وإرشاد، فهي جديرة بالدراسة، وأن تفرد بالتأليف.

و أيضا لتشبيهات القرآن الكريم أثر عظيم في الاحتجاج والإقناع، ومجادلة الخصوم، بما يقطع الشبهة، ويثبت الحجة، ولا تزال هذه الجوانب بحاجـــة إلى التفكير فيها ودراستها دراسة وافية.

و إني لأقر بالقصور والخلل في هذا البحث، لأن كل باحث إذا أعاد النظر في بحثه لقدم وأخر، وحذف وأضاف، وغير وبدل، وهذا دليل على عجز البشر وضعفهم، واستيلاء النقص عليهم، لكنني أسأل الله تعالى أن يســـد الخلـــل، ويرأب الصدع، وأن يفيد منه كل باحث وطالب للمعرفة.

وأستغفر الله تعالى إنه هو الغفور الرحيم

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- أدوات التشبيه واستعمالاتها في القرآن الكريم، د.محمود موسى حمدان، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٢٨ هـ.
- أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢ هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١٤١٣ هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ.
- الإعجاز البلاغي، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط ١٤٢٧ هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، ضبط و تعليق و تخريج محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني المعروف بالخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ.

- البحر المحيط، للإمام أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- البحر المديد، لابن عجيبة.
- البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر، ط٦، ١٤٢٠هـ.
- البيان في ضوء أساليب القرآن، د.عبد الفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٩٢م.
- التحرير والتنوير، لسماحة الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس.
- التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧ ١٤٢.
- التعريفات، للسيد علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت
- الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المبارك فوري، دار السلام للنشر، ١٤١٤هـ.
- السيرة النبوية لابن هشام، حققها مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الخير، ط١، ١٤١٢هـ.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ.
- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣ هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري.

- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بتارودانت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٩٥هـ.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازاني الهروي، المكتبة الأزهرية للتراث.
- المنهاج الواضح للبلاغة، د.حامد عوني، مكتبة العلوم والحكم. بدون ذكر الطبعة وتاريخها.
- النكت والعيون، للإمام علي بن محمد الماوردي.
- نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن للنشر، ط٢، الرياض، ١٤١٥
- أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري
- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع عام ١٤١٤هـ.
- تأويل مختلف الحديث، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد محي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٩ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي.

- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق محمد بن إبراهيم البنا، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ.
- تفسير النيسابوري
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ
- حاشية المير سيد شريف على كتاب المطول، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠ هـ
- ديوان بشار بن برد، قدم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ط٤، ١٤٠٧هـ.
- شروح التلخيص الصادر عن دار الكتب العلمية.
- صحيح البخاري، للإمام ابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت:٢٥٦ هـ)، دار السلام الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.
- صحيح سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٥هـ)، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- صحيح سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:٢٧٥هـ)، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
- صحيح سنن الترمذي، للحافظ محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

- صحيح سنن النسائي، للحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- صحيح مسلم:للإمام ابي الحسين مسلم بن الحجاج،(ت:٢٦١ هـ)، دار السلام الرياض الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- عروس الأفراح، للبهاء السبكي، من ضمن شروح التلخيص.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبها وأبوابها محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، ط١، ١٤١٨هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤١٨.
- فن التشبيه، لعلي الجندي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط١، ١٩٥٢م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١٤١٥ ٢٣,هـ.
- قواعد التفسير جمعا ودراسة، لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان،ط١، ١٤١٧هـ.
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري المعروف بابن منظور، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤.
- معالم التنزيل، لمحي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تأليف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (ت:٧٦١)، تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١٤١٠هـ.
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، حققه وقدم له عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠

- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم بدمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

١.	**الإهداء**	**٥**
٢.	**المقدمة:**	**٦**
٣.	أهمية الموضوع وأسباب اختياره:	٨
٤.	الدراسات السابقة:	٨
٥.	خطة البحث:	١٠
٦.	منهج البحث:	١٠
٧.	حدود البحث:	١١
٨.	**الفصل الأول / تعرف التشبيه، وأركانه، وأقسامه:**	**١٣ -٣٣**

٩.	تعريف التشبيه لغة:	١٤
١٠.	اصطلاحا:	١٦
١١.	**أركان التشبيه:**	**١٧**
١٢.	**الأول والثاني: المشبه والمشبه به:**	**١٧**
	أقسام الطرفين باعتبار الحس والعقل:	
١٣.	الأول: أن يكون الطرفان حسيين.	١٨
١٤.	الثاني: أن يكون الطرفان عقليين.	١٩
١٥.	الثالث: تشبيه المعقول بالمحسوس:	٢١
١٦.	الرابع: تشبيه المحسوس بالمعقول:	٢٢
	أقسام الطرفين باعتبار الإفراد والتركيب:	
١٧.	الأول: أن يكون الطرفان مفردين	٢٣
١٨.	الثاني: أن يكون الطرفان مركبين:	٢٤
١٩.	الثالث: أن يكون المشبه مركبا والمشبه به مفردا:	٢٥
٢٠.	الرابع: أن يكون المشبه مفردا والمشبه به مركبا:	٢٥
٢١.	**الركن الثالث: أداة التشبيه:**	**٢٦**
٢٢.	أداة التشبيه الكاف:	٢٧
٢٣.	أداة التشبيه كأن:	٢٧
٢٤.	**أقسام التشبيه من جهة الأداة:**	**٢٩**
٢٥.	**الركن الرابع: وجه الشبه:**	**٢٩**
٢٦.	**أقسام التشبيه من جهة الوجه**	**٣٠**
٢٧.	**أقسام التشبيه:**	**٣١**
٢٨.	التشبيه البليغ:	٣١
٢٩.	التشبيه الضمني:	٣١
٣٠.	التشبيه التمثيلي	٣٢
٣١.	**خصائص التشبيهات القرآنية**	**٣٣**

٣٢. الفصل الثاني/الدراسة التطبيقية لتشبيهات القرآن الكريم ٣٤

قال تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الروم: ١٩ ٣٥

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الروم: ٢٨ ٣٩

قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الروم: ٥٠ ٤٦

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الروم: ٥٥ ٤٩

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الروم: ٥٩ ٥٢

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ لقمان: ٧ ٥٤

قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ لقمان: ٢٨ ٥٨

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ لقمان: ٣٢ ٦٠

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ ﴾ السجدة ٦٣

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾ الأحزاب: ٦ ٦٦

قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي
يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ
يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ ﴾ الأحزاب: ١٩ ٧٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ
ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ
ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ
عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ الأحزاب: ٣٢ – ٣٣ ٧٥

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ
ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ الأحزاب: ٦٩ ٨٠

قال تعالى: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ
ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ سبأ: ١٣ ٨٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ
مُّرِيبِۭ ٥٤ ﴾ سبأ: ٥٤ ٨٦

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾ فاطر: ٩ ٨٩

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ

مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨ ٩٢

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم
مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ فاطر: ٣٦ ٩٦

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ يس: ٣٩
٩٨

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾
الصافات: ٣٣ – ٣٤ ١٠٢

قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ الصافات:٤٨–
٤٩ ١٠٤

قوله تعالى: ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ الصافات: ٦٥ ١٠٨

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الصافات: ٧٩ –
٨٠ ١١٣

قال تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿١٠٥﴾ ﴾ الصافات: ١٠٤ – ١٠٥ ١١٥

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ الصافات: ١٠٩ – ١١٠
١١٧

قال
تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾
الصافات: ١٢٠ – ١٢١ ١١٨

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ الصافات: ١٣٠ –
١٣١ ١١٩

قال تعالى: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ

ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ ص: ٢٨ ١٢٠

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ
يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر: ٢٩ ١٢٣

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾
غافر: ٦ ١٢٦

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم
بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ
مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ
ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ غافر: ٣٤-٣٥
١٢٩

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ غافر: ٦٣
١٣٤

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ
نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ غافر: ٧٣ – ٧٤ ١٣٦

قال تعالى ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ فصلت: ١٣
١٤٠

﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ
كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ ١٤٢

قال تعالى ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ
ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ فصلت: ٣٩ ١٤٥

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ الشورى: ٣

١٤٧

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ الشورى: ٧ — ١٥٠

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشورى: ٣٢ — ١٥٥

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢

١٦٠

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الزخرف: ١١ — ١٦٥

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزخرف: ٢٣ — ١٦٨

﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الدخان: ٢٥ – ٢٨ — ١٧١

قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الدخان: ٤٣ – ٤٦ — **١٧٢**

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الدخان: ٥٤ — ١٧٦

قال تعالى: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ الجاثية: ٨ — ١٧٨

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الجاثية: ٢١ — ١٨١

﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الجاثية:

٣٤ ١٨٤

قال تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٥ ١٨٦

قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٣٥

١٨٩

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ محمد: ٣ ١٩٥

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ محمد: ١٢ ١٩٨

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد: ١٤ – ١٥ ٢٠١

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ محمد: ٢٠ ٢٠٥

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن

قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ الفتح: ١٥ – ١٦ ٢١٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩ ٢١٣

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الحجرات: ٢ ٢١٨

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠ ٢٢١

قال تعالى: ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ ق: ١١ ٢٢٤

قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الذاريات: ٢٣ ٢٢٧

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ الذاريات: ٣٠ ٢٣٠

قال تعالى: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ الذاريات: ٤٢ ٢٣٢

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ الذاريات: ٥٢ ٢٣٤

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾ الذاريات: ٥٩ ٢٣٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ الطور: ٢٤ ٢٣٩

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) ﴾ النجم: ٨-٩. ٢٤٣

قال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) ﴾ القمر: ٧
٢٤٦

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ (٢٠) ﴾ القمر: ١٩-٢٠ ٢٤٩

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) ﴾ القمر: ٣١ ٢٥٣

﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) ﴾ القمر: ٣٥ ٢٥٦

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴾ القمر: ٥٠ ٢٥٧

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) ﴾ الرحمن: ١٤ ٢٦٠

قال تعالى: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤)) الرحمن: ٢٤ ٢٦٣

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) ﴾ الرحمن: ٣٧ ٢٦٦

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) ﴾ الرحمن: ٥٨ ٢٧١

قال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) ﴾ الواقعة: ٢٣ ٢٧٤

قال تعالى ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا
يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) ﴾
الحديد: ١٦ ٢٧٧

قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ
ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ الحديد: ٢٠ - ٢١ ٢٨٠

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥ ﴾ المجادلة: ٥ ٢٨٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨ ﴾ المجادلة١٨ ٢٨٧

قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ
ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦
فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾ الحشر: ١٥-١٧.
٢٨٩

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾ الحشر:
١٩ ٢٩٣

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ
ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣ ﴾ الممتحنة: ١٣ ٢٩٥

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ
٤ ﴾ الصف: ٤ ٢٩٩

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ
قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ
فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ الصف: ١٤ ٣٠٣

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ
مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾ الجمعة: ٥ ٣٠٧

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ

يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾ المنافقون: ٤ ٣١١

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ
عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي
عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ
ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ
وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾ التحريم: ١٠ – ١٢ ٣١٥

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) ﴾ القلم ٣٢١

قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ﴾ القلم: ٢٠ ٣٢٣

قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ القلم: ٣٣ ٣٢٦

قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) ﴾ القلم: ٣٥ ٣٢٩

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) ﴾ القلم: ٤٨
٣٣٠

قال تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) ﴾ الحاقة: ٧ ٣٣٢

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) ﴾ المعارج: ٨-٩
٣٣٦

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ
الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴾ المعارج: ٤٣-٤٤ ٣٤٠

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) ﴾ الجن: ٧ ٣٤٣

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) ﴾ المزمل: ١٥

٣٤٥

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾ المدثر: ٣١ ٣٤٨

قوله تعالى: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١))المدثر ٣٥٢

قال تعالى (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩))الإنسان. ٣٥٨

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) ﴾ المرسلات:١٦-١٨. ٣٦٢

قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) ﴾ المرسلات: ٣٢-٣٣ ٣٦٥

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) ﴾ المرسلات: ٤٤ ٣٧١

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) ﴾ النبأ: ٦ – ٧ ٣٧٤

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) ﴾ النبأ: ١٠ ٣٧٧

قال تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) ﴾ النبأ: ١٩ – ٢٠ ٣٧٨

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) ﴾ النازعات: ٤٦ ٣٨١

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) ﴾ القارعة: ٤ – ٥ ٣٨٣

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾ الفيل: ٥ ٣٨٨

٣٣. الخاتمة	٣٩٢
٣٤. قائمة المصادر و المراجع	٣٩٥
٣٥. فهرس الموضوعات	٤٠١